كتاب
حرف الـ « ح »
وفـجـر المـغـامـرة التجريبية

د. صبـرى حـافـظ

ها هو كتاب بدر الديب الهام حرف الـ « ح » يصدر بعد أربعة عقود من كتابته حـاملاً فى أعطـافه عبق تلـك الروح التجريبية الزاهرة التى شاعت فى مصر فى أواخر الأربعينات ، مفجرة كل تناقضات الواقع المصرى آنذاك ، ومعلية من شأن الجانب العقلى فى التعامل مع قضاياه . فيبدو برغم بعد الشقة الزمنية وكأنه طالع من قلب اللحظـة الحضاريـة والثقافيـة الراهنة . وكأن قضاياه منبثقة عن الانشغال بعبء الواقـع الراهن فى عالمنا الثقافى والاجتماعى والسياسى . فبرغم بعد الشقة بين زماننا والزمن الذى كتب فيه ونشر بعضه منجما فى مجلة البشير التجريبية التى كانت تصدر أواخر الأربعينات ، فإن قضيته المحورية وهى أهمية الاحتفاء بأصالـة المعرفـة وصـلابتها الحسيـة والعقلية وضـرورة التحرر من القيـود للمغامرة والإبداع لا تزال من أهم القضايا التى يحتـاجها واقعنا الراهن . بل إن حاجة واقعنا الذى تزحف عليه الظلمة بشكل حثيث إليها أشد من حاجة الزمن الـذى كتبت فيه . ولا يمكن الفصل بين تأخر هذا الكتاب طوال هذه السنوات وبين مسألة انه كان سابقا لعصره بشكل ملحوظ ، وها هو قد آن الأوان لظهوره وبعد أن نضج المناخ لتقبل رؤاه وادراك بعض أبعاد مغامرته ، خاصة بعد أن ظهرت تأثيرات الكتاب الواضحة فى أعمال إدوار الخراط الأخيرة وفى أشعار مرحلة السبعينات ، وبعد أن امتدت تجربة الحرف لتشمل مختلف الفنون التشكيلية والتعبيرية من شعر ونثر ودراسة . لقد أثر الكتاب برغم عدم نشره ككتاب فى دائرة صغيرة من المثقفين ومن مبدعى الثقافة لأن كاتبه من الطراز الـذى يدعـونه فى الغرب بكاتب الكتاب ، أى الكاتب الذى يستمتع به الكتاب ويدركون أسرار عالمه التى تستعصى على القارىء العادى .

ومن يقرأ استرسـالات بدر الـديب مع الحـروف فى هذا الكتاب ، وخاصة فى التجارب النومية بـه ، يجد الأسـلاف الذين انحدرت منهم كل تجارب إدوار الخراط فى هذا المجال ، وإن كانت تجربة الحرف هنا أكثر التصـاقاً بـالعالم الـذى تقدمه ،وأبعد ما تكون عن المبالغات الالاعيب اللفظية التى تقع فيها بعض محاولات الخراط فى هذا المضمار ، والواقع أن هذا الكتاب قد أثر على كثير من الكتاب بالرغم من عدم نشره . كما أن تعبيزه عن حالة عقلية وعن « حساسية » أدبية وفكريـة جديدة فى المرحلة التى صدر فيها هو الذى يجعله أقدر على التعامل مع واقعنا الثقافى الراهن لأن الحساسية الأدبية التى بشر بها ، ووضع الكثير من لبناتها الأولى قد نمت وتبرعمت على مد العقود التى انصرمت منذ كتابته حتى الآن . ولهذا فإن القارىء الذى عجز عن التعامـل مع نصـوص هذا الكتـاب الصعبة ، سيجد الآن أن فى وسعه التواصل معها ، بعد أن وصلته بعض رؤاها فى صورة أقل تـركيزاً وأيسر منـالا عبر أعمال الذين تأثروا به . ولا يمكن هنا أن ننسى أن هذا الكتاب أيضاً يقدم الانطلاقة الحقة للمغامرة التجريبية التى بدأت فى أواخر الأربعينات فى الكتـابة العـربية ، والتى خـرجت من إهابها حركات وتيارات ثقافية متناقضة ، من السيريالية فى أقصى الطـرف إلى الواقعيـة الاشتراكيـة فى أقصى الطـرف الآخر . ومن التشدد الإسلامى فى طرف إلى الأيديولوجيات اليسارية المتعددة فى الطرف الآخر .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وأهم ما يميز هذا العمل الأدبي الجميل الذى يتّخذ لنفسه مكانا على التخوم الفاصلة بين الشعر والنثر هو روح الثورة السارية فيه . والتى تعبر عن نفسها بتثوير بنية الكتابة ، وتفجير كل علاقاتها الراسخة ، لتأسيس مجموعة من التقاليد الجديدة . أولها أن الكتابة هم ثقافى بالدرجة الأولى وإن انطوت على مجموعة متراكبة من الهموم الاجتماعية أو السياسية أو الحضارية . ولهذا فإن نصوص هذا الكتاب الجميل مثقلة بمجموعة كبيرة من الاحالات النصية والثقافية الفاعلة فيها ، من الأساطير القديمة والكتب السماوية حتى أبرز نصوص الأدب الانساني القديم منه والحديث . وثانيها أن ثقافية هذا الهم هى التى تفترض انشغاله بمشاكل الوجود الكبرى واحتواءه على تحطيم كل القيود التى كبلت انطلاق الكتابة والإنسان . وثالثها أن علاقة الكتابة بهموم العالم الذى تصدر عنه تنهض على أساس التناظر بين مملكة الكتابة ومملكة الوجود . وهى علاقة تفترض الجدل الخلاق بين المملكتين واستقلالية كل منهما عن الأخرى دون استقلالها عنها كلية . أو انغلاقها على ذاتها ، ولهذا كانت الاستعارة من أبرز أدواته البنائية . وكان التحرر من قوالب الكتابة الثابتة فيه هو التبدى الشكلى أو الظاهرى للتحرر من قوالب التفكير الجامدة ، وهو الصياغة التى تناسب كشوف الكتاب الأساسية القائمة على رفض التاريخ المكتوب والتاريخ الذى كان يُصَنَّع إبان كتابته وعلى إدراك أن قوالب التعبير تطلمس إمكانات الإفضاء ولا تفصح عن مكنوناتها ، وأن طرق المعرفة غير مفضية إلى الحقيقة . وأن « طقوس » الأديان قد حجبت الدعوة الحقيقية للحياة الحقيقية فى الدين .

ومن هنا يطرح الكتاب المعرفة الحدسية والمعرفة الحسية التى تنطلق من البدن نفسه فى مقابل المعارف المؤسسية المقولبة التى تطمس الحقيقة أكثر مما تكشف عنها ، فهى معرفة معطاة لا معرفة مكتشفة ، ومن هنا فإن محتواها الإدراكى ضحل إلى أقصى حد . أما المعرفة التى يطرحها فهى معرفة الاكتشافات الأولى ، أو معرفة العودة إلى فجر ذاتها . إنها المعرفة الطالعة من خضم الحيرة المتشبثة بالمرئى والمحسوس من ناحية ، وبجمحات الخيال من ناحية أخرى . لذا كان حرص الكتاب على العودة لبدايات الخلق ، وللحظات السحرية الغامضة باعتبارها نقطة البداية للمعرفة وللتعبير ، واجتراؤه على الكثير من الرواسخ والمحظورات قرين اهتمامه بتأسيس بدايات جديدة ، تنطلق أساساً من الحيرة الصادقة والبحث المخلص ، ومن طرح التساؤلات الجوهرية التى تطلع من إهابها الإشكاليات الكبرى التى تشغل كاتبها وتجعل تجربة الحرف عنده هى الوليد الطبيعى لتلك الإشكاليات الفكرية والفلسفية . وأهم ما يقدمه الكتاب فى هذا المجال أن حيرته وبحثه لم يتحققا فى النص على صعيد الموضوع وحده وإنما على صعيد البنية النصية نفسها . ومن هنا تسفر تلك الحيرة عن نفسها من خلال روح الثورة السارية فى العمل كله ، والتى تعبر عن حقيقتها بتثوير بنية الكتابة وتفجير كل علاقاتها الراسخة . كما يكشف هذا البحث عن نفسه عبر تغير الصوت ، وتغير الإيقاع ، وتبدل القاموس ، وانشغال النص بالبنية الفنية لكل جزء فيه ، بنفس القدر الذى تسفر به عن نفسها من خلال التيمات والرؤى التى تطرحها قطع الكتاب المختلفة فى تفردها وفى تناسقها وتداخلها معا .

فالاستراتيجيات النصية فى هذا الكتاب هى فى الواقع رؤى فكرية تتجلى فى أشكال من الكتابة الجديدة ، وليست مجرد أدات فنية منفصلة عما تطرحه من أفكار . فمن أبرز استراتيجيات هذا الكتاب النصية استخدامه الحاذق للإشارات النصية — أى التى تحيل القارىء بلفتة أو كلمة إلى نص آخر — الموجزة التى تستدعى عوالم كاملة من المعنى ، وتضفى على التعبير قدراً كبيراً من الكثافة والتركيز . لكن أهم وظائف هذه الاستراتيجية البنائية هى طرح النص فى أفق نصى جديد ليعقد معه حواراً وجدلا دائمين . ذلك لأن تلك الإشارات ليست نوعا من الاستطرادات أو التنويعات على نفس اللحن كما يحدث فى كثير من الأعمال التى تلجأ إلى هذا المنهج . وإنما هى وسيلة لخلق تفاعل نصى غالبا ما يكون بالتعارض والمفارقة أكثر مما يكون بالتوازى والاتفاق . لأن أحد مهام هذه النصوص هى حثنا على رؤية النصوص السابقة بعيون جديدة . ومن تجارب هذا الكتاب التى تكشف عن رؤية جديدة بحق التجارب المسماة بالتجارب النومية . ففى هذه التجارب يتحول ايقاع الكتابة كلية ليصبح تجسيدا نصياً لعملية النوم ، بتدفق حركتها المسترخية المطوطة . وباستدعاءات حروفها المتعاقبة التى يكتسب الحرف فيها دلالات صوتية ومعنوية معا . وفى بحور النوم تختلط المفردات وتمتزج اللغات العديدة التى تضمها لحظة النوم معا وتدفع عن صاحبها الملام وقد حملته الحروف فى طواياها . بل إن تلك التجارب تسجل لنا ميلاد الوعى وطفولة الإدراك وقد لفتها فى حنايا الوسن . وكأن النوم نفسه تحرف وعبور من مملكة إلى أخرى ومن حالة وجود إلى أخرى ، ومن مزاج لفظى وتعبيرى إلى مزاج وقاموس آخرين .

لكن أهم ما يتميز به هذا الكتاب هو أنه تجربة رائدة فى اللغة تلك اللغة التى يعشقها الكاتب ، ولكنها فى الوقت نفسه لغته التى تفتح له فراديس الحلم وتحيل صحراء حياته

خضرة يانعة . لأن القانون الأساسى الذى يحكمه هو قانون التغير والتحرر من القيود ، ولهذا يصرخ فى أكثر من موقع « أبعدوا أرضى عنى وانزعوا منى الجذور » ، ويتوق فى أكثر من مكان إلى التحرر من الماضى ومن مواريثه الباهظة التى يضيق بها جميعا عدا الميراث اللغوى الذى يهيم به ويواصل عبره مواصلة التجريب والتغيير . حيث يتغير الصوت ويتغير الإيقاع ويتغير القاموس اللغوى ذاته من قطعة إلى أخرى . ولهذا كان انطلاقه من لبنة اللغة الأولى وهى الحرف ، واختياره لحرف الحاء لأنه مطلع كلمة الحرف نفسها ، ومرتكز الكلمات ــ القيم : الحياة والحب والحرية والرحلة فى الزمان وفى المكان معا ، وهذه الكلمات القيم هى محاور عالم المعنى فى تجربة بدر الديب الأدبية الشائقة ، والمغامرة بالتجريب فى اللغة هى اجتراء على أهم مناطق الفكر والمعرفة ، لأنها تدور فى منطقة تأسيس العلاقة بين الإدراك والعالم الواقعى والتجريدى . وهذا ما يمنح الكتاب بعده الفلسفى وديمومته ، لكن ما يؤسس أهميته فى اللحظة الراهنة هو تعبيره عن الأزمة الفكرية والحضارية التى يعانى منها الوطن وهو فى حالة من التردى والخضوع أمام الموجة الأمريكية الغامرة للفكر الغربى بكل ما فيها من تحليل وتفسير ، ومحاولته لطرح بديل جذرى لتلك الموجة العاتية التى تشد الوطن إلى قيعان التردى والخضوع . ويرتبط هذا البديل فى الكتاب بالإلحاح على العودة إلى اللحظات السحرية الغامضة لبداية الخلق على أنها نقطة البداية للمعرفة والتعبير ، وبالعمل على تكسير القوالب الجامدة وتأسيس كتابة تنداح فيها الفواصل بين الأشكال الراسخة ، وتنهض على الحوار بين الخصائص التعبيرية المتناقضة ، والجدل بين الخصائص الكيفية المتنافرة . فمن هذا الجدل تتفجر طاقات الإنسان على الإبداع وتتخلق أو بالأحرى تتجذر آليات الحرية : وهى كلمة ــ قيمة تبدأ هى الأخرى بحرف الـ « ح » .

ويهتم الكتاب بالإضافة إلى هذا كله بمعمار العمليه الإبداعية والإدراكية معا . فهذا المعمار هو الذى يكشف جدل الوحدة والتعدد ، وهو الذى يمكن تجربة الحرف عنده من استيعاب الكليات برغم إغراقها البادى فى الجزئيات . ويرتكز المعمار فى كثير من أجزاء الكتاب على الثنائية المفجرة للجدل والحوار . سواء أكشفت هذه الثنائية عن نفسها فى اللجوء إلى الطابع الحوارى ، أو فى التكرار المفضى إلى إدراك ازدواجية الدلالة ، أو فى استخدام صيغة المثنى ، أو إقامة العالم على قطبين ، أو قريتين ــ يربط بينهما ــ كقريتى النص ــ جسر . ويفصل بينهما نهر من التباينات . وتمكنه تلك البنية التثائية من إدارة مجموعة من لعب تبادل الأدوار من ناحية ، ومن إشعال نيران الجدل الفلسفى المفجر للرؤى والدلالات من ناحية أخرى . وليس أدل على هذه البنية من « قريتان » إذ نجد أنفسنا بمواجهة قريتين يفصل بينهما نهر صغير ، وإزاء راوٍ لا يعيش فى أى من القريتين وإنما تحت الجسر الموصل بينهما ، وكأن وجوده نفسه هو التجسيد الكامل لحالة العبور والعرضية التى يتسم بها الوضع الإنسانى . وهو أيضا تجسيد لهشاشة الوعى لأن الراوى يتوسل إلينا ألا نسأل عن الضفة التى يقيم فيها ، بل ويفزعه أن يدرك حقيقتها كما يفزع الإنسان أن يعرف بالضبط حقيقة وضعه فى العالم . لكن ما يهمه أنه يدرك أن وجوده فيه محكوم بتلك القريتين اللتين مهما توجه وأنى قصد يجد واحدة أمامه والأخرى وراءه . وكأنهما الماضى والمستقبل ، أو الحياة والموت ، أو المعرفة والجهل ، أو التعاسة والشقاء ، فجزئيات النص ثرية بالدلالات وليس المهم فى تلك النصوص أن تضع يدك على الدلالة الدقيقة لتلك الإحالات الرمزية ، ولكن المهم أن تنقل لك النصوص حالة الوجود على الوتر المشدود بين المتناقضات .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وحتى ندرك أهمية هذه الحالة فإن النص يعمد إلى تأكيد تبادل المراكز بين هاتين الحالتين : « كانت القريتان إحداهما ورائى والأخرى أمامى ، ولكنى كنت أذكر فى تاريخى أنهما يتبادلان دائما هذا الوضع » وهذا التبادل الدائم للأوضاع لا يشير فحسب إلى التغير الدائم فى الوضع الإنسانى ، ولكنه يؤكد عرضيته كذلك ، ومدى حيرة الإنسان إزاء تبدلاته . وبعد أن ترسم « القريتان » تفاصيل هذه الحالة بإيجاز دالّ تضعنا معها أمام الحماقة الإنسانية وقد اتشحت برداء الحكمة ، وتطرح هذا الوضع كله فى ساحة مشكلة الزمن . حيث نواجه الراوى المترع بالنصائح من أجلنا وهو عاجز عن التقدم فى الزمن . والزمن الذى تشير إليه هنا هو الزمن التاريخى والفلسفى معا . ولذلك كان طبيعيا أن يدرك أن لدى سكان القريتين فيضاً منه . أما هو فيعانى من افتقاره إليه .

وحين يقف الإنسان على ذلك الوتر المشدود بين الماضى والمستقبل يدرك أنه دفع دفعا إلى هذا العالم . وقذف به إلى ذلك الوجود العرضى الهش وتبدأ رؤيته الخاصة فى التخلق تحت وقع المعاناة ، ولا تكتمل هذه الرؤية عادة إلا بعد فوات الأوان ، وحينما يقبل الموت أو تتقدم النهاية . لكن الحياة الإنسانية ذاتها هى القيمة الأساسية التى يحتفى بها هذا الكتاب مهما كانت طبيعة المعاناة التى يتعرض لها الإنسان فى مقارعتها . ولذلك كان من الطبيعى أن تتكرر فى نصوصه تنويعات مختلفة على رفض الحرب والدمار ونزعات التكالب المادية « أبعدوا البنادق والمقاعد وهذا المكتب الثقيل . إنها تسرق منكم الضوء وتنعم به فى داخلها الخشبى المظلم » فهذه النصوص طالعة بصروة من الصور من إهاب مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية بدمارها وإحباطاتها القومية المعروفة .

لندن : د. صبرى حافظ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اليمامة الخضـــراء والأحـــلام المســـتحيلة

عبـد اللـه خـيرت

يحُدِّد الشاعر بدر توفيق طريقه والهموم التى تشغله فى أول صفحة من ديوانه الجديد « اليمامة الخضراء » ؛ فيثبت قائمة بأسماء أصدقائه الذين فاجأهم الموت حين كانوا ينتظرونه . وهم أصدقاء من جيل الشاعر عصفتْ بأحلامهم ثم بحياتهم نفسها الأحداث فى الربع الأخير من هذا القرن ، سواء أكانوا يخوضون مع الشاعر حروباً خاسرة ومعارك تنتهى قبل أن تبدأ ، أم كانوا يجسِّدون الأمانى الباطلة فنا رفيعاً صادقا مثل : صلاح عبد الصبور وأمل دنقل وصلاح جاهين ويحيى الطاهر عبد الله . الصفحة الأولى من الديوان تضم أسماء هؤلاء وغيرهم من الفنانين الذين حين تجمعوا معاً أدركنا ، ولم نكن ننتبه ، أن الموت حصد منهم جمعاً غفيراً ، وتضم كذلك أسماء زملاء الشاعر فى الجيش الذين رأى وقائع استشهادهم وهى تقطر بالدم .

الجيش والفن إذن هما الميدانان اللذان عاش الشاعر حياته ضاربا فى دوربهما ، وحكى رحلته فيهما لحظة بلحظة فى دواوينه السابقة « إيقاع الأجراس الصدئة » عام ١٩٦٥ « قيامة الزمن المفقود » عام ١٩٦٨ ، وكان وقتها يعمل بالجيش ، ثم « رماد العيون عام ١٩٨٠ وأخيراً الديوان الجديد « اليمامة الخضراء » .

والتجارب الحادة من هذا النوع هى حلم الفنان ، حيث يعيش الأحداث ويلذعه لهيبها . وبعض الفنانين ، كما نعرف ، يقصدون إلى خوض هذه التجارب باختيارهم ليقفوا على حافة الخطر ويحسوا بلحظاته الحرجة . إن رؤية جسم يجرى من غير رأس ، أو دبابة تُسوِّى الأجساد الحية بالأرض ، أو أشلاء دافئة تتناثر شلْواً شلواً ... هذه الفظائع المستحيلة تقع فى ساحة الحروب ، ومن الطبيعى أن يكون الذين عاشوا هذا المستحيل هم أقدر الفنانين على نقل الصورة للمتلقى كاملة .

وقد عاش الشاعر بدر توفيق تجربة أشد قسوة : فلم يعد من رحلات الحرب مكللا بغار النصر ، وحين قامت حرب عام ١٩٧٣ كان قد أحيل إلى التقاعد . إن حياته وحياة أصدقائه من الموتى والأحياء الذين اشترك معهم فى الحرب مطابقة لحياة بطل رواية « صحراء التتار » للكاتب الإيطالى المعاصر دينو بوتزاتى بوقائعها العجيبة (وسوف أتبع هنا طريقة بدر توفيق الأثيرة فى الكتابة عن زملائه من الشعراء ، حين يولى حياتهم الخاصة أهمية أكبر بكثير من أهمية العمل الفنى ، فأقرر أن بدر توفيق يهيم بهذه الرواية ، وأنه يعيد قراءتها مرة بعد مرة .) لقد كان بطل هذه الرواية ضابطا كذلك ، وظل منذ التحاقه بالخدمة يستعد لحرب وهمية ، ويمنى نفسه بأنها واقعة لا محالة ، ويسمع نداءها يقترب ، ويتخيل بلاءه فيها ، وكيف سيعود منها منتصراً ، مُثْخنا بالجراح سعيداً .. وتضيع حياة هذا البطل الحالم فى وهم الانتظار ، وحين تبدأ الحرب الحقيقة بعد ثلاثين عاماً يكون قد أصبح عجوزاً أحيل إلى التقاعد ، وفى الوقت الذى كانت العربة تنحدر به بعيداً عن أرض المعركة ، كان الشباب الذين جاءوا للاشتراك فى الحرب يصعدون إلى القلعة وهم يغنون .. وعلق أحدهم حين رأى هذا الضابط العجوز يسير فى الاتجاة المعاكس :

ـــ إن العجائز لايهتمون بالأمر .

ومع ذلك فإن هذه الملاحظة لم يعقبها ضحك ، فبينما هم ذاهبون إلى المعركة ، كان هو يهبط نحو الوادى مجرداً من المجد .. فياله من ضابط يدعو إلى السخرية ، كما يرى فيه هؤلاء الجنود .

هذه حياة جيل أو أجيال من الجنود العرب ، كتب عليهم أن يخوضوا غمار الحروب القاسية ، وأن يحموا رؤوسهم من شمسها اللافحة وطائراتها بأشجار وارقة من المعانى المطلقة الغامضة كالفخر والشجاعة والوطن والانتصار ، ويهيئوا أنفسهم للموت فى سبيلها ولكن هذا كله بقى حلماً ، فهم حين تأتى اللحظة الحاسمة غائبون أو مبعدون .

ومن الطبيعى أن تنعكس هذه الحياة ـــ بالانفصام التام بين أوهامها وواقعها ـــ فى شعر بدر توفيق . وإذا كان قد وجد فى دواوينه الأولى لحظات قصيرة من الفرح الحقيقى أو المتخيَّل ، فإنه فى هذا الديوان لايسمح لنفسه بابتسامة واحدة . ومن المهم هنا ملاحظة أن ديوانيه الأوَّلينْ صدرا فى خلال ثلاث سنوات ، فى حين انتظر ديوانه الثالث اثنى عشر عاماً .. أما الديوان الأخير فقد صدر بعد ذلك بتسع سنوات إنه الوهن والانتظار الطويل للأحلام التى لاتتحقق .. انتهى هذا الزمن الذى كان الشاعر فيه :

غارقاً فى بحار المنَى ، ومحيط الهوى المشتعل
فالقصيد حروف نضجن على الوَهَج المنفعل
والعيون دروع التحدى ، سيوف النِّزال الأوَل

« اليمامة الخضراء ـــ اسم القصيدة »

وجاءت الأيام التى يجد نفسه فيها يمشى تائها فى مدينة الموتى أو مدينة الغرقى كما يسميها فى القصيدة التى تحمل الديوان . « اليمامة الخضراء ».

ـــ أيتها المدينة التى
أفقد فيها الأمن والبشائر
ـــ هاهى المدن العربية فى نزقها المستديم
ـــ رأيت فيما بَيْنَ بين
مدائنا من الدماء
ـــ هذه المدينة الملتهبة

وهى ليست مدينة بعينها تلك التى تغرق أو تموت أو تلتهب فكل المدن هكذا :

وقلت لى ـــ ونحن غارقان فى مدينة الغرقى ـــ
هذى مدينة الذى يهوى ولا يلقى
شوارع تفُضى إلى المبكى
تَزَاوجتْ فى سوقها الفتنة والفُرقان
فحملتْ إفكاً .. وأفرختْ رهَقَا .

وعلاقة الشاعر بالمدينة تجربة أخرى مريرة خاض أهوالها ، فبدَّل مدينة بأخرى متوهما أن العيب فى المكان .. ولكنه بعد التجوال المرهق يكتشف أنَّ :

كل أركان هذه الأرض قفر ومكر وقهر وغبن..أو يستنيم إلى وهم آخر فيندم على رحلاته الخائبة :

لو ظلَّت الأشجار فى مكانها الأليف
لم تقتلعها الريح
ولم يطمر فروعها الجليد .

والخطأ بالطبع ليس فى المدينة .. وأذكر هنا أن بدر توفيق أرسل لى من مدينة « كولونيا » بألمانيا ، بطاقة وبداخلها قصيدة الشاعر اليونانى كفافيس « المدينة » وكنا قد قرأناها فى القاهرة معاً وأعجبنا بها إعجاباً شديداً .. فلما ذهب الشاعر إلى ألمانيا ووضحت له الحقيقة أعاد ترجمة القصيدة التى يجرى فيها كفافيس حواراً بينه وبين نفسه ، فيتوهم أنه إذا ترك هذه المدينة فسوف ينجو من خراب حياته الأسود ، ولكنه يجيب نفسه وقد اكتشف زيف هذا الوهم :

لاأرض جديدة يا صديقى هناك
ولا بحر جديد ..
فالمدينة ستتبعك
وفى نفس الشوارع ستهيم إلى الأبد
وضواحى الروح نفسها ستنزلق
من الشباب إلى الشيخوخة .
وفى البيت نفسه سوف تشيب وتموت .
المدينة قفص
ولا أمكنة أخرى هناك .. بل هذه دائما ـــ
منياؤك الأرضىّ ، ولا سفن هناك
تُجليك عن نفسك ..
ألا ترى أنك حين دمَّرت حياتك فى هذا المكان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قد دمرت قيمة حياتك فى كل مكان آخر
على وجه الأرض ؟

وهذا الجزء بالتحديد من قصيدة كفافيس كان بداية حديثنا حين نلتقى فأسأله بعد عودته من رحلاته إلى بون أو كولونيا أو مسقط أو الرياض ، عن « الفوائد السبع » التى حققها من السفر ، وتكون إجابته هذه الأبيات الصادقة التى تنفى أنه حقق شيئاً ، فهو مقيم أبداً فى تلك المدينة القفص التى يحملها فى داخله أينما حلّ .

لقد ظن حين ترك الجيش بعد معارك ٥٦ ، ٦٢ فى اليمن و٦٧ الجرح الشخصى النازف فى قلبه ، أنه سينجو بنفسه إذا شد الرحال إلى المدن الأجنبية أو العربية ، وارتبط خروجه من الجيش بخروجه كذلك من حياته الاجتماعية ، فأصبح تركه للقاهرة محتما ، ولكن إلى أين ؟ .. هذه ليلة فى مدينة أجنبية بعيدة .

عندما يصعب النوم ، حين يكون السُّهاد
سكناً قاحلاً يتمدد فيه خيال الصبا وظنون الشباب
ويصير سواءً إذا أمطرت وإذا أشمست
ولو كرّت السنوات شتاء غريب السِّمة
نتلاقى إذن .. ونظرة معرفة مؤلمة .
هكذا كلما همّك الليل فى المدن الأجنبية
وإذا ما ارقْتَ وحيداً .. واعطت يدُ الوهم
قلبك نبضا يُردّ صداه اغترابك فى كلمات اللغة :
لاتهدهد خيالك بالحب والمجد والنور والأوسمة
وتكسر على الشط موجة صمت بأحلامك المضغمة

فالأرق والوحدة والطبيعة القاسية وفقدان التواصل ، ثم هذه الخيالات التى تنبعث فى الليل صوراً متحركة حزينة .. هذه الهموم تُسوِّرُ المدينة التى صنعها الشاعر وتمنعه من تجاوز حدودها .

والحلم المستحيل التحقيق هو النقمة الأساسية بهذا الديوان لأن الأحلام حين تتحقق لاتكون هى الأحلام :

مابين فكرة تَهز القلب فى إغماءة الأوهام والمخدرات .
وبين فكرة تهزّ القلب فى المنى وفى التأملات
تكتب الأنغام والخواطر
تنكفىء الأحلام والبشائر
وتسقط المنائر
فتُسْرعين بالهروب المر
نحو الشاطىء الأخر

وقد تكون هذه الأحلام شراكا نُصبت لنا حتى يزيد الإحساس بالألم :

إنها الدنيا .. فلا تفرح :
لأن الطائر الهاوى على الأرض قتيلا
داعب الصيادَ يوماً
واطمأنت فطرة فيه إلى غُصن الحبائل
إننى فى سالف العصر تراقصتُ على حُسن الخمائل
وتمثلت وجودى .. فإذا الصمت أمام الرقص حبل المشأمة

وهو انا طائر
ينزف أنغام المساء الحالمة

إلى أن يصل الشاعر إلى هذا اليقين اليائس

قمر يأفُل .. قمر ينمو حتى يأفل
قمر يرحل .. قمر يرقى حتى يرحل
كوكبة تترجّل
هرم يتهدل
باب أبدىٌ يُقفل

ولكن بقى للشاعر بعد هذه التجارب الحزينة ، شعر دافىء تجسده لغة يجهد الشاعر فى أن تكون قوية حادة ، حتى تتناسب مع الأحداث التى تجسِّدها ورحلة الشعر وهى شاقة كذلك ، جعلته يحكم بناء قصائده وينقى منها الحشو الكثير الذى كان يشتت الاحساس بها فى بعض قصائد من دواوينه الأولى .. إن هذا الانتباه لما فى لغة الشعر من خصوصية يجب أن يكون هدف الشاعر .. وقد صنع صلاح عبد الصبور والبياتى وحجازى عالما من التراكيب اللغوية المبتكرة فى قصائدهم الأخيرة .. وهكذا فعل بدر توفيق أيضا ، ونشير هنا إلى قصيدة « الفراشة » وهى قصيرة وتمثل المدى الذى وصل إليه الشاعر فى الاحساس باللغة :

فراشة على الرُّبى كانت تهيم
انتصف النهار

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهى من شجيرة إلى شجيرة
تبدو وتستتر
تخفق ثم تستكين
فى مظلاّتٍ من الزهور والصُور
كانها فى شوقها المرتحل المقيم
تلتزم الحذر
فتستجيب للروائح التى يطلقها النسيم
منصتة للنغمات الخافيات
فى السماء والأديم

والقصيدة إلى جانب لغتها الموحية ، تمثل طريقاً جديدة يسلكها الشاعر بعيداً عن العالم الخاص الذى سكن فيه طويلاً ، وإن كانت القصائد التى من هذا النوع قليلة .

وفى الديوان كذلك مراثى لبعض الشعراء ولبعض زملاء الشاعر فى الحرب .. وفيه أيضا قصيدة فى رثاء عبد الناصر .. وهذه القصيدة نُشرت فى عام ١٩٧٠ أى فور وفاة عبد الناصر ، وكان من الطبيعى أن تنشر فى ديوان « رماد العيون » ١٩٨٠ لا فى « اليمامة الخضراء » بعد تسعة عشر عاماً . إن الديوان يضم قصائد قديمة أثبت الشاعر تاريخ نشرها ، ولكن هذه القصيدة تأخر نشرها فى رأيى لأن « النشر » فيها كثير .. ولأنها لاتصدر عن أعماق الشاعر ، مثل رثائه لصلاح عبد الصبور مثلاً ، فقد جاء المعنى أيضا مباشراً :

هذا يوم الفقراء
يَسْتَبقُون العربات إلى « قصر القبة »
يعتقدون أنهم رجال ناصر
فيصرخون عله يطل من رحابة الشرفة ..
سيسال الأحفاد هذا الجيل ذات يوم :
ماذا يعنى الإقطاع ؟
والبدل النقدى للجندية ؟
سنقص عليهم سيرة عبد الناصر .

ومادام الشاعر قد أجّل نشر هذه القصيدة فى ديوان نحو عشرين عاماً ، فقد كان من الأفضل أن يستمر فى تأجيل نشرها .. ومن المؤكد أن السنوات الطويلة قد كشفت له الحياة القصيرة لكثير من شعر المناسبات وملاحقة الحوادث السياسية والاجتماعية .

إن الشعر يجب أن يظل بعيداً عن تلك المناطق التى يتشابه فيها القول ، وعن المعانى العامة التى يتصف بها هذا وذاك من الناس وتسهل كتابتها على كل الشعراء .. ولا نستطيع — بدر توفيق وأنا — أن نحصى عدد القصائد التى أنشدت فى المناسبات ، ولكن الجيد منها قليل العدد إلى درجة عجيبة ، لأنها حتى لو كانت تكتب من القلب ، تحتاج إلى وقت طويل لصقلها وبنائها .

ويلوح لى أن هذا الديوان — باستثناء بعض قصائده — خط جديد يصعد فيه الشاعر ليحقق حلمه فى الفن مادامت الأحلام الأخرى استعصت على التحقيق حتى الآن .

القاهرة : عبد الله خيرت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من أجل الحياة صراع حتى الموت

د. محمد حسن عبد الله

« عطش الصبّار » عنوان صادق على هذه الرواية ، للأديب يوسف أبو رية والصبار من أصبر النباتات على تحمّل العطش ، فعطشه يعنى الجفاف والموت ، وهو نبات يحمل دلالات متباينة إنه زينة الحدائق ومداخل القصور الزاهية بفرح الحياة ، وهو وحده القادر على معايشة الصمت والنسيان ، فى المقابر المنزوية . يحتمى الصبّار بأشواكه الحادة ، فإذا تغلبت عليها وجدته يفيض من وراء الأشواك بعصارة غضة ، لا تلبث أن تتناقض ـ مرة أخرى ـ فتكشف عن مرارة موجعة .

فى رواية « عطش الصبّار » كل هذه المعانى ، وكأن الكاتب اختار عنوانها بعد أن حاور كل شخصياتها ، وابتلى نيّاتهم قبل أعمالهم ؛ لأن الصبّار « الحقيقى » لم يظهر إلاّ فى مشهد عابر ، فى زيارة المقبرة ، لكن الدلالة المجازية ، أو الرمزية تمتد لتصنع النسيج الروائى كله ، وتلقى عليه ظلالها ، بدرجة يصعب علينا فيها أن نفرّق بين الموت والحياة ، أو أن نحكم : هل شخصيات الرواية « المؤثرة » هى زبيدة أو إبراهيم ، وأخوها يسرى ، وأبناء عمّها وبناته ، بكل ما بينهم من صراعات أبناء العمومة ، ثم أبناء الضرائر ، أم أن هذه الشخصيات « المؤثرة » ، هى فى الحقيقة تمارس تأثيرها من القبر ، لأن الآباءوالأمهات هم الذين غرسوا بذور الصراع وأسسوه ، وأورثوه أبناءهم قبل أن يرحلوا !

هذ قضية ذات وجه فلسفى ، واجتماعى ، ونفسى ، ولكننا نتأملها من وجهة البناء الروائى ، والنقطة المركزية الجاذبة للاهتمام فى تكوينه الشامل .

من الناحية الموضوعية ، تقتحم « عطش الصبّار » مساحة مجهولة ، أو تكاد ، من المجتمع ، ومن حركة التطوّر العمرانى ؛ إنها الرواية الأولى ـ فيما نرجّح ـ التى تتوقف فى (وليس تعبر بـ) قرية تحولت منذ وقت قريب إلى مدينة ، أو مركز . وكما يعكس مظهرها الخارجى جوانب من شكل القرية ونشاط الريف وجوانب أخرى تنتمى إلى المدينة ، فى إمتدادها وحركتها ، فإن العلاقات والطبائع والأخلاق كانت

تعكس هذا المزيج المختلط أيضاً ، وإن كنا نشعر ـ فى مواقف ليست قليلة ـ أن تفكير الشخصيات ـ فى عمومها ـ وتطلعاتها ، قد غادر القرية ، ولكنه لم يدخل المدينة بعد . واعتقد أن هذه إضافة رهيفة ، عالجها الكاتب بحرْص وتنبّه إلى حد بعيد ، فحافظ على هذه « البينية » باطّراد ، ودون نصّ عليها ، ودون تناقض أيضاً ، رغم تعدد الخيوط الممتدة من أول الرواية إلى آخرها . ولعل اسم القرية التى اختارها يومى بهذا الفهم (بصرف النظر عن انه اسم حقيقى أو مخترع) ، إذ أن « الجزيرة البيضاء » يحمل معنى التناقض ، فالجزيرة ـ فى التصوّر المصرى ـ عادة خضراء ، خصبة ، ووصفها بالبياض يعنى انها « جرداء » ناضبة الثمار ، كالأرض المملحة ، ولا يعنى البراءة أو الفطرة . وفى الرواية ينتشر العقم بين نساء هذه الأسرة ، والرحيل بحثاً عن هدف غامض ، أو هرباً من هدف مستحيل بين رجالها ، كما أن الوشائج العائلية تعلن عن تماسكها وتفتتها ، فى تناقض تكاملى واقعى ، بما يجعل من « عطش الصبار » رمزاً جامعاً ، ومن الجزيرة البلقع بيئة مقبولة لهذا الرمز .

لقد خضعت الرواية لنوع خاص من التشكيل ، يقوم على التوازن بين المحدد ، واللامحدد ، فى الشخصيات ، والزمان ، والمكان ، وربما المشاعر أيضاً ، فالشخصيات الحية من أسرة واحدة ، تمتلك طاحونة ، وحين مات إبراهيم آل نصيبه إلى زوجته وابنيها : يسرى وزبيدة ، ولمّا مات محمد ورثه أولاده (بنين وبنات) من زوجتين ، وبقى الأخ الثالث : الحاج على ، قابعاً على الميزان ، وبجواره واحد من أولاد محمد . إن الطاحونة ، وفدادين موروثة من الأرض الإصلاح ، هى المحور الأساسى للصراع . ولأن أطراف الصراع من القرابة بمكان ، فأنهم يتناصرون ـ بعضهم على بعض ـ بقرابات أخرى ، وبغرباء أحياناً ، ويستندون فى دعاواهم لمزاعم الأموات وآمالهم ، مما يوسع من رقعة الشخصيات فى الرواية ، حتى تتجاوز ضعف الماثلين الأحياءمنهم . وقد حسمت زيارة زبيدة الأخيرة لدار أبيها المدى الزمنى الخارجى ، فقد زادت علّتها ، وعجز زوجها عن تمريضها ، فجاء بها من الاسكندرية لتجد من يخدمها ، وغادرها ، فتبادلت معه رسالتين فى شهرين ، لعله عاد بعد شهرين آخرين ليس إلى زوجته المريضة بزواجه الجديد ، فيضع بهذا ختاماً قريباً لحياتها ، فمع أن الكاتب لم يحرص على رصد ملامح الطبيعة لا ستغراقه فى رسم حركات الأشخاص ، يمكن تقدير المدى الزمنى بما لا يجاوز بضعة أشهر ،لكن الزمن الروائى الداخلى بلا ضفاف ، كالشخصيات . إنه يتحرك بكثير من الحرية ، ليستدعى مواقف وأحداثاً من أزمنة تتجاوز أعمار الشخصيات الحاضرة . وهكذا المكان ، المحدّد بالدار والطاحونة ، بل ببعض الغرف والمداخل ، ولكنه ينطلق منها ، أو عنها ، ليكشف عن جذور التحول من قرية إلى مدينة ، وملامح التحول فى طبائع المكان وشخصيته ، ويشار إلى مدرسة سموحة وشقة الإسكندرية ، والإعارة إلى ليبيا ، وفروع وقرابات فى المدينة الكبيرة ، وفى قرية نائية متخلفة ، لتوسيع المجال ، ودعم الإحساس بالواقع البيئى ، وتقديم تعليل مقبول لكثير من التغيرات السلوكية ، والجغرافية العمرانية ، على السواء .

وطرفاً الصراع ـ كما عرفنا أو أطرافه فى الرواية ، هم أبناء عم ، وإخوة لعلاّت (ضرائر) وأبناء خالات أيضاً ، كما يشيع فى الريف والطبقة الشعبية أن يتزوج الأخوان من أختين ! ! ومع هذه القرابة القريبة فإن الحنان أو التعاطف يصدر غالباً عن تقدير مصلحى ولهدف مادى ، والعنف هو السياسة المستمرة تجاه الآخرين . إن هذا ما دفعنا إلى القول بأن هذه الشخصيات غادرت طبيعة الأخلاق الريفية ، ولم تدخل بعد فى أخلاق المدينة . إن أهل الريف يتصارعون على ملكية الأرض ، وقد تسيل الدماء من أجل قطرة ماء ، أو إعتداء حيوان على شجرة مثلاً . ولكن هذا الصراع لا يقوم به الأفراد فى إطار الأسرة أو العائلة الواحدة ، بل تمارسه العائلة ضد عائلة أخرى منافسة ، ونحن نستخدم العائلة هنا فى حدود الإنتماء إلى الجّد الأعلى ، أما النزاعات الصغيرة فى إطار العائلة الواحدة ، فهى تحدث أيضاً ، ولكنها لا تأخذ الشكل الحاد الجذرى الذى عرضها به الكاتب عادة .إن هذا قد يعنى أن « يوسف أبو رية » ينطلق فى روايته من فلسفة ، ويلتزم بمدرسة أدبية معنية ، سنحاول أن نحدّد ملامحها كما انعكست فى « عطش الصبار » .

غير أننا نحب أن نستكمل هنا تصورنا للجوهر أو الهيكل الذى قام عليه الشكل الفنى فى هذه الرواية ، وهو فى راينا يقوم على التوازن بين المحدد واللامحدد ، من جانب ، وتقاطع عنصرى الزمان والمكان من جانب آخر . إن هذا يذكرنا ـ فى معماره ـ بالأبراج الحديدية ، التى تقوم على توازى أعمدة رأسية ، توصل بينها وصلات متقاطعة على هيئة المقص .إن الشخصيات والحدث النامى ، والصراعات الدائرة حوله هى الأعمدة أو الركائز الأصلية ، الرأسية ، أما التشكيل « الزمكانى » فهو « المقصّات » التى تثبت هذه الأعمدة ، وتمنح الشكل الفنى جماليته الفريدةفى هذه الرواية .

من توازنات المحدد واللامحدد أن انقسام أولاد محمد (الأخ الأكبر من بين الثلاثة ملاّك الطاحونة) لم يخضع بدقة

للانتماء للأم ، بصفة عامه اجتمع الأشقاء فى عصبة واحدة ، ولكن « حسين » أكبر الجميع انضم لإخوته من أبيه ضدّ شقيقيه حسن والحاجة سنية ، وطلق يسرى زوجته القاهرية استرضاءً لأخته المريضة ، ورفضت زبيدة أم محمد استضافة ابنة عمها زبيدة أم ابرهيم فى محنتها ، ومع هذا لم تخضع لأى لوم ، بل وجدت من يعتذرعنها ، وتسامح يسرى فحمل أسرة عمه فى سيارته إلى البندر وكأن إهانة لم تلحق منهم بأخته ! ! إن هذا يعنى أن الكاتب ـ معبراً عن واقع النفس الإنسانية وتكشفها حيناًبعد حين عن أسرار وانفعالات خبيئة لا تدرى هى ذاتها بكل ما تكنه او تجنُّه ـ لا ينطلق من تصوّر جاهز ، أو أطر معدّة سلفاً ، أو حدود جامدة توجه الأفعال والأخلاق .

ومن توازنات المحدد واللامحدد ذلك الموقع الذى اختاره للجزيرة البيضاء ، بين القرية والمدينة ، إذ غادرت الأولى ، ولم تدخل فى الأخرى ، وموضوع الصراع الرئيسى ينتمى إلى هذه المساحة المجهولة ، فهو ليس صراعاً ريفياً على الأرض ، وليس صراعاً مدنياً على المادة أو المصلحة ، إنه صراع متشابك تتداخل فيه عوامل اجتماعية ومادية ونفسية ، وتلعب فيه البدوات والهبّات الوقتية ، أو الظروف العابرة دوراً لا يخفى ، ولا يثبت الأشخاص فى مواقف جامدة ، بل قد يتبادلون المواقع لأسباب غاية فى السذاجة . إنهم ينظرون إلى القرى الأصغر نظرة فوقية ، ولهذا فشل زواج زبيدة أم محمد ، لأن زوجها المدرس ، رغم ثرائه النسبى ، حملها إلى قريته المظلمة ، التى لا تسمع فيها غير نقيق الضفادع وطنين البعوض ! ! ، ومع هذا ينظر إليهم أهل المدينة الكبيرة على أنهم « فلاحون ولاد كلب » . ويتبع هذا العنصر أن عدداً من شخصيات الرواية يعمل فى مواقع حضرية متقدمة ، ومع هذا إما أن يزهدها ويهجرها إلى ما هو أدنى ، أو يلازمها ، ولكنه فى الحالين لا يظهر على أخلاقه وسلوكه العام أى أثر يمكن أن يتركه العمل فى موقع مثل الطاقة الذرية ، والتأمينات ، والتدريس ، وبهذا تجمع بين الانتساب إلى المدينة ، ومجافاة التأثر بها .

ومع أن الرواية تبدأ بجملة قاتمة : « الآن واروها التراب » وتنتهى بمشهد أفراد العائلة عقب دفن زبيدة أم إبراهيم ، وقد تفرقت بهم سبل العودة من المقبرة إلى دورهم ، وبعضهم يفكر كيف يفيد من الميراث ومن الظروف المترتبة على هذه الوفاة ، مع هذا فإن « عطش الصبار » ليست قصة هذه المرأة العقيم التعسة الحظ ، بل ليست حكاية شبابها الأنيق الطامح ، وعاقبتها الآسية فى الإصابة بسرطان الثدى ، وتهرب زوجها الذى أحبته من الوقوف إلى جانبها حتى النهاية ، نهايتها ، ليس هذا كله بأهم ما فيها ، بل إنها لا تصلح أن تكون خطاً موازياً ، أو رمزاً ، أو معادلاً موضوعياً لعلاقة أطراف الأسرة فيما بينهم ، أو علاقتهم بالأسباب المادية للصراع (الأرض ، والطاحونة) . لقد صنع الكاتب من علاقات هذه الأسرة شجرة ، أو برجاً على النحو الذى تصورنا ، وجعل من تقاطع علاقات الزمان والمكان ، واختراق مواقف الشخصيات بحوادث متجددة ، وسيلته الفنية لإقامة البناء المترامى فى مساحاته حول دعائم ثابتة .

فى ضحى هذا اليوم وصلت زبيدةوزوجها ، طرقت باب البيت باليد الحديد التى تمسك نصف الليمونة . هذه بداية توحد فيها الزمان والمكان والشخصية ، فى أعقاب هذه البداية (فى صدر الفصل الأول) عنوان مكانى : « البيت » ، ثم : « البنت الوحيدة » فيتحرك الزمان ، ثم « الميزان » فنعود إلى موقع آخر من المكان (فى الطاحونة) ثم « المصطبة القديمة » فيتعانق الزمان والمكان . ولا نريد أن نزعم أن العناوين الفرعية داخل فصول الرواية تتابعت على هذا النسق ، ومن الصعب عملياً تجزىء الفصل أو الفصول ، وقسمتها بين الاهتمام بحركة الزمن ، والعناية بطبائع المكان ، ولكن ليس من التعسف أن نقرر أن هذه الرواية مكونة من موجات متتابعة ،دون حتمية المخالفة ، بين وضوح الزمان ، وسيطرة المكان .

ليست رواية يوسف أبو رية أول رواية تعرض لموضوع الصراع على الأرض بين الأخوة فى الريف (أبناء الضرائر بصفة خاصة) لمحمد عبد الحليم عبد الله روايتان هما : « الجنة العذراء » ، و « للزمن بقية » . وإن كان الصراع بين شقيقين فى الرواية الثانية . وإذا تميزت « للزمن بقية » بأن الصراع فيها قام على أسس من الوعى السياسى والاجتماعى ، فهو بصورة ما صدام بين الرجعية والتقدمية ، فإن « عطش الصبار » خلت من ارتكاز الصراع على أى نوع أو مستوى من الأيديولوجية ، حتى مع وجود ياسر ، وهو أحد أبناء الزوجة الثانية لمحمد ، وله اتجاه يسارى واضح ، واتصال بحركة المنشورات السرية وتوزيعها بين العمال فى القاهرة ، ولكنها حققت ميزة أن أحداثها الأساسية تجرى فى الجزيرة البيضاء ، محاصرة بالمنطلقات المصلحية وميراث الشقاق بين الآباء والأمهات . وهنا نصل إلى مسألة حاسمة فى أسلوب الكاتب ، هى صدى لرؤيته القاتمة المتشائمة للإنسان ، فرداً ومجتمعاً ، ماضياً ، وحاضراً ، ومستقبلاً . وأى كاتب حرّ فى الرؤية التى يعتنقها ، والأفعال التى يختارها

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لتفسير السلوك الإنسانى ، ولكنه ليس حراً ـ على الأقل بنفس الدرجة ـ فى الانحياز ضد شخصياته جميعاً ، وانتقاء شريحةمريضة ، أو منحرفة ، لتدل على البيئة ، أو المرحلة ، أو الإنسان .

لقد أخذ من دعاة الواقعية الطبيعية تفسيرهم لشخصية الفرد فى ضوء أو تحت ضغوط القهر الاجتماعى ، والانحصار فى الاحتياجات المادية الشخصية . ومع أن هذه المقولات التى تكشف عن أنها مزاعم ليست علمية بالدرجة التى تدعيها ، فإنها (أى الطبيعية) لم تقتحم العلاقة بين الفرد والأسرة التى ينضوى تحت جناحها تلقائياً بمثل هذه الخشونة التى اقتحمها يوسف أبو رية فى روايته ، إلاّ فى حالات نادرة ، ربما لأن الصراع الطبقى كانت له الغلبة ، وصراع الطبقات يعنى ـ بالضرورة ـ تماسك العائلة وتضامنها ، لتستطيع خوض الصراع مع غيرها . فإذا تضارب الأخوان على المقهى حتى يغمى على أحدهما ، وإذا طرد الرجل زوجته الغريبة من بيت الزوجية لا يعبأ أين باتت ، فإنه يخالف طبائع البرجوازية الصغيرة التى تحرص على سلامة المظهر الاجتماعى كحد أدنى لحماية الذات ، وقد يكون الكاتب أراد أن يعلن لنا بداية تحلّل البرجوازية الصغيرة ، فى القرية التى تزحف نحو المدينة ، ولكن واقع الرصد لحركة المجتمع فى مصر لا يساعد على قبول هذا الإعلان . لكن الميزة الحقيقية ـ وربما الوحيدة ـ لهذا الانحصار فى القرية والعائلة أنه ارتفع بالتأثير الاجتماعى إلى مستوى « القدر » الذى لا قبل لأحد بمقاومته .

لقد دفع الكاتب إلى سياق روايته بقدر وافر من الآلام والأحزان والإحباطات ، ووصف شخصياته ـ التى لم يجردها من العواطف ـ بخشونة المظهر وجفاء التعبير وفظاظة السلوك ، وانحصرت المسرات العابرة فى تدخين الحشيش ، ومواقف حب عاشها ياسر ، أو رواها يسرى من ذكرياته ، لكن ماذا تصنع قطرة ماء فى الصحراء اللاهبة ! قد يكون فقدان الأمل وضياع العمل من « مبادىء » الطبيعيين أيضاً ، ولكن إرادة الحياة، وانتهاز مسراتها ، ووجود شخصيات تعبّر عن الوجه المخالف ليست ضد الرؤية الواقعية الطبيعية التى حرص الكاتب على تعميقها بأكثر من وسيلة ، حتى الأوصاف العابرة ، وتتبع حركات الأشخاص حتى الجثة التى استوت فى قبرها، وهى فى ظلمتها حاولت القيام مع القائمين ، غير أن الأرض التى ارتفعت،والسقف الذى هبط منعاها ،فاستسلمت لنومتها بين الكفن المحلول » ، وقد يصل الوصف حد البشاعة « الفنية » حين يجسّد الحفرة فى موقع الثدى المبتور (ص ٢٤) ولكن البشاعة تتحول إلى تقزز حين تميل زبيدة على جنبها لتطلق ريحاً (٥٣) أو تنكت أنفها (ص١٨) على أن الفظاظة طبع عام ، فالولد ضرب عمه ، ولا يزال يلقبه « الحاج قرد » ، وتضارب الأخوان حتى أغمى على أحدهما ، ووصف يسرى أمه بأنها « الأم المجرمة » (ص١٤) .

وتنتظم الرواية سلاسل من المقاطع الوصفية التفصيلية ، ترتفع إلى مستوى البناء الروائى كلوحة شاملة أحياناً ، وتهبط إلى مستوى التفاصيل الحركية المادية التى لا أهمية لها . إن الكاتب يملك عيناً لا قطة وإحساساً طاغياً بالجو المسيطر (الوحش القاسى الخشن) فى الرواية ، إن وصفه للسلك وقد تراكم عليه براز الذباب ، أو حصير الجبن المعلق يقطر الشرش فى بقع صغيرة أسفله ، أو البقع الدموية « السقط » التى ملأت شقوق الجدار (ص٩ ، ٤٦ ، ١٤ على الترتيب) هى خيوط فى النسيج الحىّ لصراع الحياة ، والصراع مع الحياة . ولكن وصفاً مادياً حركياً طويلاً كالذى يجرى عند ميزان الطاحونة (ص ١٩) أو ردّفعل يسرى ـ حركياً ـ حين رأى أخته وقد أنهت مهمتها عند الطبيب (ص ٥٧) أو الحوار بين ياسر وخاله (ص ٩٧) أو كيفية إشعال وابور الجاز حيث يقول : « سحبت الوابور من تحت الدولاب ، وراحت تكبسه ، فخرج خيط رفيع من الجاز ، بلل رأس الوابور ، ثم حكت عود ثقاب ...» الخ (ص ٩٨) كل هذه التفاصيل ليست ذات أهمية فى نفسها (جمالياً) أو فى السياق معنوياً ، ومن ثم فى خارج البناء الفنى للرواية ، بل إنها عبء عليه .

ولا يعنى هذا أن يوسف أبو رية لا يملك لغته الفنية ، فالأمر على العكس تماماً ، بدرجة تحملنا على الإشارة إلى ضرورة تناول خاص للغة فى هذه الرواية ، ولقد دفع فى سياقها بعدد من الكلمات والعبارات ذات المذاق المميز بالنسبة للتجربة ، إلى مستوى الانفعال والمجاز الشعرى . فى موقف الموت لا يشير إلى « الآخرة » بل « الدنيا المجهولة » (ص ٧) وحين تحس زبيدة دبيب الموت تخاطب أطياف من سبقوها إليه بأنها لا تريد أن تكون فى دنياهم (ص ٢٧) بل يصل أسلوب الكاتب إلى ذروة رفيعة فى استبطان عالم الشخصية والكشف عن مكوّناتها الروحية وقيمها الاجتماعية ، حين توصى زبيدة ـ وهى تقترب من لحظة النهاية ـ خالتها ، قائلة :

« ـ خصيمك النبى لا تدخل علىّ امرأة غريبة فى غسلى ، أنت فقط ، وإن كانت واحدة من بنات خالتى تجرؤ على الدخول معك فاسمحى لها ، فأنا أخجل أن ترانى امرأة غريبة » ! ! (ص ١٦٩) إن كل كلمة انتقيت هنا بميزان دقيق حتى فى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اللجوء إلى الاحتماء بالنبى فى مدخل العبارة ، ثم النصّ على بنات الخالة دون بنات العم ، مع أن بنات الخالة هن أنفسهن بنات العم ! ! ثم التعبير بالخجل مع أن الجثة لا يعنيها شىء ، أو أن « الشاة لا يضيرها سلخها بعد ذبحها » . إن وراء رفض دخول المرأة الغريبة إحساساً زائداً على موضوع الخجل ، إن زبيدة تستحى من ظهور علامات مرضها ، فلم تعرف بنات عمها ـ أو بنات خالتها حسب وصفها ـ موضوع بتر ثديها ، والحفرة التى أخذت مكانه ، إلاّ بعد موتها .

استخدامات أخرى لغوية موفقة فى أماكن مختلفة ص ١٠ ، ١٢ ، ١٤ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٤ ، تستحق تحليلاً ورعاية . وإن فتحت لغة هذه الرواية موضوع اللغة الفنية وحدود الاستخدام الفصيح والاستخدام العامى ، أو تفصيح العامى ، وهى قضية قديمة شبعت كلاماً ، ولكن لغة يوسف أبو رية تحقق فيها إنجازاً مناسباً ، وتثير تساؤلات كانت نائمة .

من المتوقع أن رواية تتعلق بأساليب الواقعية الطبيعية يقل فيها الاهتمام بما وراء المادى المحسوس ، حتى لنظن أن أبطالها محرومون من نعمة الخيال ، وتضعف فيهم حاسة التوقع ، ولم يكن « الجميل » بعيداً عن مشاعرهم وحدها ، وإنما عن عيونهم وحياتهم جملة . لهذا طغى الاهتمام بالمنظور ، أو ما يقع تحت الحواس الظاهرة وحدها ، ليس لدينا غير مونولوج واحد (ص ٢٥) ثم وصف ليلة الموت وما تزاحم فيها من أطياف وذكريات . وقد استخدم الكاتب عدداً من الرموز العابرة التى يلمسها فى جملة دون أن يمدّ إيحاءها ليشمل مضمون الفصل ، أو مضمون الرواية ، فالإشارة إلى ماسورة العادم ودخانها الكثيف يعقب الإشارة إلى شجار فى بيت العم (ص ٢٠) وفى طريقهم إلى مأذون القرية لإيقاع طلاق سعدية تتصاعد رائحة خبيثة من حمار منتفخ حملته مياه الترعة (ص١٠٢) أما بيت العم المتمرد فقد انتقل إلى حىّ جديد قرب السكة الحديد (ص ٩) فهذه استخدامات محدودة للرمز اللغوى ، أو المجاز ، ولم يأخذ الرمز الشامل اهتماماً إلا فى إشارتين ، تمّتا بطريقة واحدة ، هى الاستعانةبلوحة منحوتة على قالب من الجير حيث يوجد صغيران ووحش رابض بين أغصان شجرة وحيدة (ص ١٠) وأخرى منحوتة فى خشب الباب ، وهى لراسين وحشيين فتحاشد قيهما حتى بانت الأنياب (ص٥٦) .

هناك هفوات تعبيرية ، كقوله : يضرب أثلاثاً فى أرباع (ص ١٨) والعبارة الصحيحة المأثورة : أخماساً لأسداس ، وحتى صحتها مع لا مسوّغ لاستخدامها كاستعارة ميتة .

ووصفه لشارب الجد فى صورته المكبرة بأنه أبنوسى أبيض (ص ٤٣) والأبنوس أسود أو أقرب ما يكون إلى السواد ، وقد التبس عليه بالعاج ، ولا تصح استعارة الأبنوس للملمس ، فضلاً عن أنه يحيل فى هذا كله لأشياء خارج خبرته وخبر القارىء ، فليس الأبنوس مما يقع فى طريقنا أو يعايشنا ،وما نعرفه عنه لا يتجاوز استخدامات بلاغية ذهب زمانها . واستخدامه : يترددون (ص ٧٤) بمعنى يتوافدون ، فالتردد على المكان يعنى تكرار القدوم إليه ، وليس هذا بمراد .

على أننا لا نريد لهذه الانحرافات المحددة ، أو حتى لطريقة الكاتب فى تفصيح العامى من الألفاظ والتراكيب ، وهى مما يمكن اتخاذه مادة لحوار وبحث حول لغة هذه الرواية ، لا نريد أن يفسد علينا هذا الإحساس بأهمية هذه الرواية موضوعاً ، وأسلوباً ، وبناء ، وأهمية ما تثيره ـ مع بعض روايات سابقة عليها وإن لم يبلغ درجتها ـ من إرهاصات الصحوة أو العودةإلى الأسلوب الطبيعى ، بكل ما يحمل من قلق الحصار ، ومشاعر الانكسار .

القاهرة : د . محمد حسن عبد الله

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إبجـــرامـــات ـ ٦

عـز الـدين إســماعيل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الســـؤال

بحثتُ فى كل الجهاتْ
سألتُ كل من لقيتْ
لم أجد الجوابْ
وحينما يئستُ وانسحبتُ ..
جاء من يسألنى : « ما سِرُّ هذه الكآبة ؟»

نســـبية

فى مُنْعطَف القرن الحادى والعشرينْ
يولد أطفال لعمارة هذا الكون
لم يُنْهكْهم ما انْهَكَنا من أرزاءِ فى القرن العشرينْ
لكنى أتساءلُ حقا :
« من منا سيكون الأسْعَدَ حظا ؟»

حـــوار

إذا عَوَى كلبٌ تَدَاعَت الكلاب بالعُوَاءْ
وعندما يصيح ديك تأخذ الديوك فى الصياحْ
وكلما مضى حِمَارٌ فى النَّهيق رجَّعَتْ نهيقَه الحميرْ
(أى حوار ذلك الذى يدور حولنا ؟!)

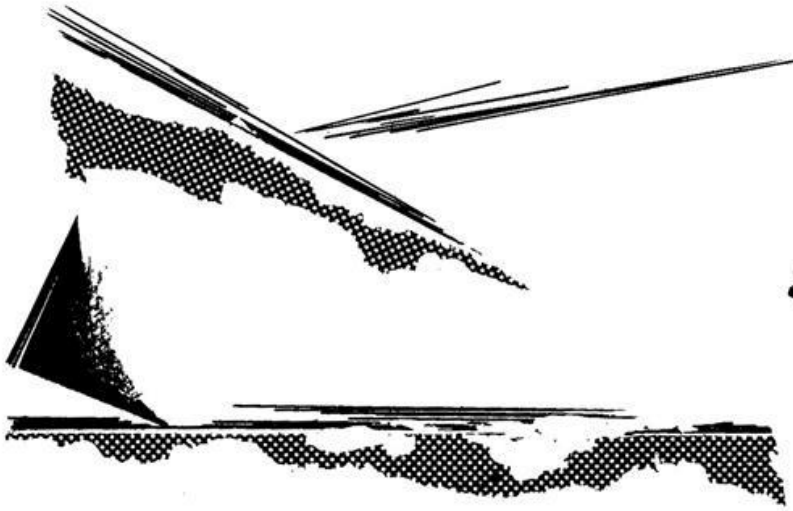

مـــراوغة

آلافُ الأفكار تُدَوِّمُ فى راسى
تتصادمُ ، ينفى بعضٌ منها بعضَا
كى يطفوَ فوق السطح
لكنى حين أمدّ يَدِى لأقيدّها
تتأبَّى وتراوغ ، ثم تغوص إلى القاع .

نعمـــة

لو استَعَدتُ كل ما عانَيْتُ من أتراحْ
فى لحظةٍ ، لاحْتَرقتْ أطرافى
وإن أنا استرجَعْتُ ما قد عشتُ من أفراحْ
فى لحظة ، لاختنقتْ عروقى
فالحمد لله على أن قد حَبانا نعمةَ النسيان

قنـــاع

بِفتْنَةِ الغموض كان وجهُها مُطَلْسَمَا
وكلما حاولتَ فَكَّ سِحْرِهِ ازدادَ غموضا
تظنّه يبوح وهو لا يبوح
(كم ذا ترى يصمد للأيام ذلك القناع ؟)

ســـذاجـــة

أَلِفْتُ منهُ أنه عن نفسه يروى الحكايات الغريبةْ
وكلما أوْغَلَ فى التلفيق استزيدهُ
كان يظن أنه يعبثُ بى
ولم يكن يدرك أننى أنا العابث بهْ .

الزاحفـــون

تَمُدُّ ــ ما أروعها النخلةُ ــ جذْعَها إلى السماء
تعيش واقفه
تموتُ واقفهْ
وفى بنى آدمَ من يؤثر الانبطاحْ
يعيش زاحفا
يموت زاحفا

كـــرامـــة

سمعتُهُ يصرخُ بى من داخل الخزانَةْ
يقول لى : أنا كتابُكَ الأثيرْ
حَشَرْتَنِى فى طُغْمَةٍ تنْضَحُ بالتفاهة
وهذه إساءةٌ ؛ مَهَانَة أىُّ مهانة
ويومَها أدركتُ كيف يغضب الكتابُ للكرامة .

لهـــاث

ــ كنتُ إمَّا جَابَهْتُهُ لجَّ فى القول ..
وإمَّا اعْرَضَتُ عنه تَصَايَحْ
ــ يلهَثُ الكلبُ إنْ حملتَ عليهِ
فإذا ما تركتَه راح يلهثْ .

لقاهره عز الدين إسماعيل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صبابات

حسن طلب

تجريد

وَىْ !
لَكأنَّ إلهاً جرَّبَ فى مُطلَقِ عينيْكِ
ألُوهتَهُ
وَهُما جرَّبتاها فىّ

تجسيد

قَواريرُ النَّدى : شفتاكِ
عيناكِ : الأهازيجُ
رايتُكِ تدخُلينَ
وكنتِ واضحةَ الجبينِ
وتخرُجينَ
وصرْتِ سانحةَ العيونِ
وجالَ فى عينيكِ دمعٌ
فهو منشوجُ
أُسمِّيكِ : الوليدةَ
حين يحملُ صوتُكِ العادىّ
عِطرَ الموجةِ الأُولَىٰ
وأرقُبُ جلدَكِ العلنىَّ
ينضجُ تحتَ حباتِ الندَىٰ
ويذوبُ فيها
فهو مَمْزوجُ
لماذا لا أُسمِّيكِ : القصيدةَ
ثم أكتبُ :
آهِ يا دُعْجَ العيونِ ..
وفى حواجِبهنَّ تزْجيجُ ؟!

حضارة

وَىْ !
لَكأنَّ حضارةً انْضَبطتْ
فى نهضةِ عينيكِ
وأفْشاها وَرَعُ الزيتون
لِعينىّ

مسافة

بَيْنى وبينَكِ زهرةٌ قتَّالةٌ
وشَذَى قتيلْ
ما أتْعسَ العطرَ الذى يُبقى عليكِ
نَقاءَ عُنصُرِكِ !
اسْتعينى بالرَّبيعِ الباطنىِّ
على مظاهرةِ الخريفِ
وغيِّرى لونَ الفصولْ
كم بينَ أحلامى وخِنصَرِكِ !
اسْتعيذِى من مُداهمةِ الأشعَّةِ
فى صباحِ الذكرياتِ
بما تَبقَّى من أصيلْ
كم بينَ صمتِكِ وانتفاضِ دمى
وبين فمى وكوثَرِكِ !
ادْخُلى نارَ الحقيقةِ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

واسْجدِى لِتجلِّياتِ الله فى شيئِكِ
فالسِّجنُ الذى تخشيْنَهُ حرِّيةٌ
والموتُ فيه تَنفُّسُ

كم بين أوهامى وأصفَرِكِ !
استعيذِى بى
بِشمْسى
من برودةِ ذلك الظلِّ الظليل
بِوفْرةِ اليومِ الذى نَحْيا
من الآتِى القليلْ

وبِبَرْبريَّةٍ قافياتى من تَحضُّرِكِ
استعيذى بالقصيدةِ مرةً
كم بين تفعيلاتِ أشعارى
ومِئزَرِكِ !

حـــرب

مَنْ أنتِ
لكى يتمنَّى الشعرُ لو اتَّحدَ بروْنَقِكِ
أو ازْدانَ بزَنبقةٍ من زَنْبقِكِ ؟

ومن أنتِ
لكى يتمنى القلبُ لو اغْتسلَ بزئْبَقِكِ ؟

لقد أحرقتُ إزاءَ جبينِكِ
أسماءَ نسائى السِّتِّ
تَسرَّيْتُ
فأمسيتُ :

أمامى عيناكِ
وخلفى بحرُ الحبِّ

ومعلومٌ مجهولٌ يَتنَزَّهُ بين سَرايا القلب
القلبُ اشتاقَ لأنْ يتنزَّهَ فى أزرَقِكِ
يَفِرُّ من الأغراضِ الزائلةِ إلى مُطلقِكِ
فمن أنتِ ؟

قصيدٌ من زَجلِ الأحلامِ ؟
مُزاوجَةٌ بين مُحالينْ ؟
جمالٌ طهطاوىٌّ ؟
حُسنٌ عادىٌّ ؟
غربةُ إلفيْنْ ؟
مُجاوزَةٌ ؟ إعجازُ ؟
مَجهولٌ معلومٌ
يَدْعونى أنْ أتوغَّلَ فى ألْغازِكِ
قُولى لى من أنتِ
لكىْ لا تَتوغَّلَ فىَّ الألغازُ

سأجىءُ إليكِ بلا صفةٍ
أو معرفةٍ
سَأُميِّزُ بين مثالِ الحسنِ وعينيْكِ
فتمتازانِ ويمتازُ
سأجىءُ بسيفِى الشِّعرىِّ
وتحتى فَرسى اللُّغوىُّ
معى أسلِحَتِى
والمِهمازُ

لكنِّى أعلمُ أن الهُدْهُدَ جُندِيُّكِ
أنَّ حمامَ حِمىً سيقاتِلُ فى صفِّكِ
أن كراوينَ ستحمِلُ رايتَكِ
وأن طَواويسَ ستحرسُ ظهرَكِ
أن النيلَ لِعينيْكِ سينحازُ
أعلم أن ملاكاً من قِبَلِ إلهِ الحبِّ
سيهتفُ فى جمهرةِ المنتصرينَ :
ألا ..
خَسِرَ الشعراءُ ولو فَازُوا

القاهرة : حسن طلب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

محمد فهمى سند

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هاهو النّيل ،
يخلع موجته ،
ويريح الشواطئَ
من غضبة الصيفِ ،
يُلْقى بأحماله للوَهَنْ
هدَّهُ العمرُ ؛
فانْساب للرّيح ،
تدفعه للّذى شقّقتْهُ السّنون ،
يماطلها ،
وهى تُنشب أظفارها فى الفؤادِ ،
وتَرْمى بأحلامهُ للعفَنْ
يسأل الشمس والرّيحَ ،
عن سحُبٍ خبّأتْها اللّيالى ،
ويرفع كفّيْهِ ،
تسقط بينهما ثمرات الجفافِ ،
يغادر موطنهُ ،
ويهيم بوادى الشّجَن ... !
هل تغرَّبْتَ من قبل يانيل ؟ ،
ثم رجَعْتَ إلى شاطئيك ،
تنام وتصحو ،
وتزحف فى طرقات المدن ؟
هل تعلَّمتَ كيف تراوغُ ؟ ،
كيف تجود وتمنعُ ؟ ،
كيف تُعرّى الأباطيلَ ؟ ،
تُحكم قبضة هذا الزمانَ ،
على دمدمات الفتن ؟
إنّك الآن شاهد عصر الجفافِ ،
تحطُّ العصافير فوق ذراعكَ ،
تلقط بعض الحصى للصّغارِ ،
لعلَّ الجياع ينامونَ ،
فى حضن هذا الزمنْ
أأُناديك فى قاعة العدل ،
(حين يُهلّ القُضاةُ) ،
لكى يشهد الرمْلُ ،
أنَّك لسْتَ لهذا الوطن ؟
أمْ ستهرب منّى ؟ ،
وتُلقى بقاياك للبحر ؟ ،
تشرب منه الملوحةُ ،
تغفو على وجهه المستكنّ ؟
إنك الآن ،
ترحل من أعين الناسِ ،
هل ستوارى بقاياكَ ،
فى جعبة الليل ؟ ،
أمْ ستُهاجر فى أعين العمر ؟،
أو رجفات البدَنْ ؟

●

قلتُ للكأس ،
ميلى على شفتىَّ ؛
فمالتْ ،
ولكنَّ خمرتها لم تكُنْ
مِلْتُ القط قنّينةً ،
أتجرَّعُ منها عصير التّناسى ؛
فأغلَقتِ الفمَ ،
رَاوَدْتُها ؛
فانْتحتْ جانبا ،

ومضَتْ تطلب النّيل ،
قبل الثمن .. !
قلت : كان هنا عند قلبى ،
وذات مساء ،
غفوت قليلاً ،
فأذّنَ ديكٌ ،
وهبَّتْ وجوهٌ ملثّمةٌ ،
كبَّلَتْهُ ،
وألْقَتْ به ،
ثم غابتْ وراء المدى المحتقنْ
قلت للنوم : ،
خُذنى إلى حضنك المطمئنْ
ربّما يهدأ القلب ،
أوْيَسْكنُ الدمع .
خلف جفون الوسَنْ
صرَّتْ الرّيحُ ،
مدَّتْ مخالبها فى النوافذ ،
طيَّرت النّوم ،
وانْفَتحتْ فى ضلوعى دروبٌ ،
تنادى وتصرخ فى كل أُذْن .. !

●

هاهو النّيل ،
يحمل غنوته ويسافر ،
يبحث عن مائه المختَزَنْ
فى صدور السُّهول ،
وبين عروق الرّمالِ ،
وفوق الجبالِ ،
وخلف الجدار الخشِنْ
وينادى على دمعةٍ ،
تتحجَّرُ فى عين « إيزيس » ؛
فارتدَّ هذا النداء ضعيفا ،
يولول حتّى سَكَنْ ... !

سِرْتَ يانيلُ للشرق يوما ،
وللقلب دهراً ،
وماؤك يهرب فى خفقة المستحيلِ
ــ وأنت تفتِّش ـ ،
فى سيرك المتّزن .. !
هل أرتحتَ يوما ؟
وهل رافقتك الأمانى ؟ !
أم اليأس هدَّك ،
حتى تركتَ الرّياحَ ،
تجرُّك حين تسير ؟ ،
أجِبْنى ،
فإنّى تبعْتُك من أول الْغَيْم ،
حتى هطول السحاب ،
على كل عَيْن .. !
إنَّهم عبَّأُوك بكل الطحالب ،
تنمو على وجهك المتغضّنِ ،
بالعشبِ ،
والجثث المستحمّة بالموتِ ،
تلبس ثوب العفنْ
بحديد البنايات ،
بالوجع المتصبّب من أعين النساء
بالعاشقين الذين تدثّر حبّهمُ ،
بقميص الفتن .. !!
.....
.....
آه يانيلُ ،
ضعتَ ،
كما ضعتُ ،
دون ثمن .. !

القاهرة : محمد فهمى سند

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصيـــــــدتـــان

أحمـــد ســـويـــلم

١ ـ حـــيرة

تطالبنى عبسُ أن أشحذ السيف
أعطيتُ عبْساً مواثيق قلبى
فألقتْ على القلبِ ذُبيانُ نارَ الفجيعة
سدَّدَتِ السَّهم خلفى
ـــ بحثتُ لدى عبسَ عن وجعى .. ودوائى !
قيل لى : لستَ منّا ..
تضرَّجتُ فى غربةِ السَّيْف
علّقتُ قلبى على طرفهِ ..
فتقاطَرَ بين الهواءِ الذى بين عبسٍ وذُبيان ..
ـ لم يعرفُوا القلب ..
ـــ فهل تعرفُونَ إلى أىٍّ فاجعةٍ
أنتمى ... ؟

٢ ـ الغابـــة

دخلتُ يوماً غابةَ الأسرار
حطَّ فوق كِتْفَى الهَزار
قدَّمَ لى كاساً من البَهار
أسكرنى .. حتى رأيتُ طائرى الجميل
(فى هيئة الحمار !)
وأن أشجارَ النخيل أُتخمتْ
والنهرَ فى المدى .. يلوذُ بالفِرار
ـــ ساءلنى الهَزارُ عن عشيرتى
قلت له :لعلَّنى من عُصبةِ الشُطَّار
أو من رجال السِّحْرِ
أو طيورِ الشعرِ
أو شيوخِ الفقهِ
أو جماعةِ الأحْبار ..
صاح الهزارُ : سيدى
غابتُنا .. لا تعرفُ المراوغة
عليك أن تختار ..
أو .. دعْ لنا .. نحرقُ جلدَك القديم
فتستحيل مثلَنا .. سراً من الأسرار

القاهرة : احمد سويلم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

باقـــة من أزهـــار بـــودلـــير

فـــؤاد الخشـــن

— ١ —

هائماً ـــ مشتعلاً بالغامض الأبْهى
على وهج التفاتْ
لِدُنًى تبقى مضيئات بسحرك
ومدَى عمقِ المرايا المعتمات
بدجَى أزهار شرِّكْ ـــ
أتشهّى جرعةً حمراء من مرِّ الشرابْ
نشوةً مذمومةً حرّمها أهل السفوحْ
وبخوراً عابق الأنفاس من نزف الجراحْ
يتنامى غيمةً تغزلها الرؤيا وِشاحْ
بدخانٍ صاعدٍ من « مندل » الكشف يفوحْ
فوق جمرٍ هامس الومض بسرِكْ !

— ٢ —

لم يكن فجرُ صباكْ
غيرَ عصفٍ لولبىّ
دائرٍ حول ذُراكْ

بجنون عبقرىً أضرَمْتُهُ
للفُجاءات شرايينُ البروق اللامعهْ
ورعودٌ ذهبت جمراتها
بطراوات الثمار اليانعهْ !

— ٣ —

جسد الساحرة السمراء غنّى وتثنّى
بتَلوٍّ همجىّ ناشباً
مثل ثعبانٍ على مزمار حاوٍ رقَصا
رائع اللّين على رأس العصا
يتنزّى بحماسٍ واندفاعْ
فاذا الأمواج تعدو .. وتزيدْ
فوراناً دائرياً كلما
ذوّبت نيرانك الظمأى الجليدْ
وصوارى المركب الغادى تروحْ
فى هبوب الشوق تزاد ارتفاع
ورفيفاً باصطفاق الأشرعه
يتمادى باحتدام المعمعه !

— ٤ —

البحرُ .. البحرْ
البحر المفتوح الشاسعْ
من أعطاه جلالَ السحرْ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وصفاء قميص الصيف الأزرقْ
افقاً مطلقْ ؟
البحر الواسعْ
من أعطى أرْغُنَه المجروحْ
أحزانَ الصوت المبحوحْ
من أودع فى الموج الجبّارْ
كلّ الرهبة والأسرارْ ؟
من منّاكْ
ببهاءِ كنوزِ الغـــورْ الأعمقْ !
أشعل فى الرحلة رؤياكْ
للآلئ تلمع ورديّهْ
ورماديّهْ
بمرايا عُلَبٍ مُغْلَقةٍ
باللغز الغيبىّ المبهمْ
تتفتّح فى عَتْم الأغوار
للغواصّ وراء محارْ
مرصودِ الكنز على وجهٍ
لألاءٍ بالكشف الساطعْ
يَهَبُ المخبوء لمن أقدمْ !

ـــ ٥ ـــ

انت يا ابن التِّيه جوّالٌ مع الصُّدْفَةِ سائرْ
فى غمامات اختيالْ
تتأمّلْ
زائغَ اللحظ فتاةً تتسوّلْ
حلوةً .. بيضاء . صهباء الغدائرْ
تُتقن الدّل وتكنيس الهواءْ !
كنت فى حُمّى ارتعادٍ يعتريكْ
تحت أستار المساءْ
وحرير الثوب للشحّاذة الشقراء كانْ
فاتحاً للنظرة الشهْوَى كُوىّ
كلمّا اهتزّت مع الخطو تُريكْ
آية الفقر وإبداع الجمال !
كلُّ شىء كان فى الجسم الفتىّ
كَحُليٍّ لامعاتْ
فى صناديق الغَنىّ
حرّكت نظراتك الوَلهَى ... وحتّى للنمَشْ
هُدْبُك الساكن فى غيبوبة الذهل ارتعشْ
ورأى فى الجسد البضّ لهُ
وَمَضاتٍ قمريّات البُقَعْ
من بياضٍ فى نقاء الساق أغْرَى والتمَعْ
خنجراً يفرى بوهْجٍ ذهبىّ
تحت جورَبْ
مستفزٌّ يتهرَّبْ
من شراهات العيون الصائبهْ
بالجمار الثاقبه !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـــ ٦ ـــ

يا مُشْعل أزهار الدهشهْ
كنوافيرْ
لقناديلٍ فوق غديرْ
تُرعش صفو السطح الساكنْ
ومحرّكَ قشرة عتمتهِ

ليفتتها بشراستهِ
كُحلاً تبريًا يتلهَّبُ
كيما يشربْ
فى رحلتهِ
ناراً زرقاءَ صافيةً
يتلقفها بضراوتهِ
لاذعة .. لبلوغ الرعشةْ !

ـــ ٧ ـــ

هذه عشتارك السوداء مَنْ فِى فحْمِها
همجيًا يختبى
شررٌ يضمر كلُّ اللهَبِ
وعلى هَفّ عطورْ
مثقلات بالفتورْ
لِهوَى جنيّةٍ مَظلمةٍ
لا يوازي عندها أقوى شرابْ
فى الدُّنَى خمرَ الكسَلْ
ونداءٌ كلمّا العاشق غابْ
أرجعته بحنين مستطابْ
للدعابات ونيران القبلْ
باشتعال أسود الومض فريدْ
تجعل الأحرار للحبّ عبيدْ !

ـــ ٨ ـــ

من حرَك هداة بركانِكْ
لتقول بثورة نيرانِكْ
« ياقارىء شعرى ... مختبئاً
خوفاً خلف ستار الخلوه
ياخير مثال يشبهنى
بنفاق مخفىّ !

وتلوِّى زحّافٍ دبقِ
لدناءات الشّر العَبِقِ
بالحمأ النارىّ !
يا من جئتَ لَزَاجةَ نهرى
مندفعاً .. لهّاثاً تجرى
كى تتعّمد حرّاً فيهْ
وأمام الناس تعود رياءً
لتحاشيهْ
فتخون الرغبَهْ
ظنّا أن دموع التوبَهْ
والخشية تغسل أوساخاً
فى طينٍ تسكنه الشهوه !

ـــ ٩ ـــ

دمِرّ ما يكبت رغبتنا
ويحدّدها
من أسوارْ
حطّمِ فى الناس الأغلالْ ..
عمِّر أبراجاً للظلمهْ
وازرع فى القمّه
للتياه السارى نجمهْ ؟
كتِّفْ غيماتِكْ
عمّق من عتمة مرآتِكْ
واترك دنياناً حائرةً

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فى الديجورْ
حول غموض اللغز تدورْ
فالواضح سكر آنىُّ
بجمالٍ أبلهْ ..
خدَرٌ مُستعذَبْ
بصفاءٍ لسكونٍ سطحىّ
فى مرآة مغنٍّ أطربْ
بالنايِ الذهبىّْ ...
وغرابات المُبْهم فينا
رجٌّ يصدم عمق العَصَبِ
ويهّز عناقيد اللهَبِ
لمُسَافرة
تحملنا للكشف الأغنى
عن مجهولٍ نهفو لَهْ
ونراودهُ
كنزاً فى غار مخفىّ !

بيروت : فؤاد الخشن

— ١٠ —

هذه أزهارك المستَغربَةْ
من دجى الأمس تعودْ
حُمماً وهّاجةً ملتهبَةْ
بعطورٍ نافذاتٍ لم تزلْ
من لظىً تغفو بإمكان بذورْ
بهوى الشّر تفورْ
كشرارات مضيئاتٍ تظلْ
فى دجى مملكة الليل تسودْ
رغم كرّاتِ العصورْ !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عـــلى بـــاب عـــام

فـــؤاد بـــدوى

يـــومـــان .. وأفتـــح بـــوّابـــة عـــام
أو تستقبـــل خطـــواتـــى ردهـــة عـــام

أدخل ـــ إن قُدّر لى ـــ فى اللحظات .. وفى الساعات وفى عام الأيام

أدخل رأساً يرتفع .. وعيناً تنتظر المجهول الآتى

عيناً تتأمل مشوار العمر الفائت

آثـــار الـــرحلـــة فـــوق الـــرمـــل الـــزمنـــى
عـــلامـــات طـــريـــق تـــركـــت بَصْمـــتَـــهـــا فـــوق
الجبهة .. تحت العينين وفى وجع الأسنان

أدخل صدراً منشرحاً رغم القسوة أدمت صدرى
تركت فى القلب ندوبا
صنعت بالعظم شروخاً وتباريح

يومان وتطلع شمس أخرى تشرق تغرب تشرق تغرب تشرق

ياكم أبصرت الشمس شروقاً مختلفاً
وغروباً يعطى الموعد للعينين الآملتين
طالت رحلتنا .. عشنا .. شفنا وتأمّلنا
ياكم أبحرنا فى البحر .. بحار الدنيا ومحيطات الكون
ياكم طرنا فوق سحابات تصنع أشكالاً لم نبصرها من زاوية
التصوير الأرضية حتى لو كنا فى قمم الأبراج

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ياكم سافرنا فى الأرض المنبسطة
فى الصحراء وفوق جبال عاتية تقف ثباتا وشموخا صمتا وتقول
يومان وتشرق شمس اليوم القادم

نسترجع فى غرفة عمليات الذهن شريط العمر

نتذكر وجه الموتْ .. يطلع وجه الموت .. يفاجئنا فى كل أوان
يدخل من غير استئذان فى الليل وفى الفجر وفى الصبح وفى الظهر
يدخل يخطف لا نعرف أبداً موعد مقدم هذا المغتال

ويمر شريط العمر نتذكر غرف العمليات .. التخدير ..
الدم .. وجراح النفس .. جراح البدن المتفتت عبر الأيام
يومان ويعود الرجل الطفل .. إلى عصر الحب

يسترجع خفْق القلب الغرّير

وجه الفاتنة الأولى

ألَقَ الورد الأحمر فى شجر الورد

أيام ربيع عيشت فى بستان يبرق برق الوجد ويُرعدُ

رعدَ الشوقْ

يهطل فى قلب الرجلِ الطفلِ الحب

يحيا عمر الحب ويعشق
يعشق كل جمال
حقل سنابل .. شجرة جميز .

داراً فى قرية بسطاء

يعشق أن يسقط قمر فوق « الرمية » فى الجرن
وحكايات الليل الساذجة مع الأتراب
يلمح وجه البحر فيتمنى أن يغرق فى البحر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

○○ يدرك معنى كلمة سحر

يهب العمر بسحر الشعر

الشعرْ-هذا المعبود الفاتن

هذى الكلمات الـراقصة عـلى أوتار الأفئـدة لتصنع فى أفئـدةِ
الغاوين الرغبة فى العيش الأفضل ..
فى العيش اللائق بالإنسان .

يومان وتخطو فى القلب الحوريات ..

الحسن علامات طريق القلب

والحب هو الحادى والشادى والقيثار

تسطع بعض وجوه .. تبقى بعض حروف

يومانْ .. أخذ الماضى أكثرمما أبغِى أن أُعطِى

أبغى أن أمنح للآتى
أن افتح عقلى للمجهول

أتساءل : هل أقدر فى الزمن الآتى أن أصنع
إنسانا آخر ؟
عقلا آخر
قلبا آخر
دربا آخر ؟

لا أزعم أنى أقدر

لكنى أتصور نفسى دوما فى حالة تجريب

يومان وتنفتح البوابة

القاهرة : فؤاد بدوى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أرمى عليك بياض الحجر

جمال القصاص

أعيدى إلىَّ براءةَ إثمى
وفُكِّى أَسَاورَ هذا السَّعفْ
ونامى قليلاً بخَصْرِى
ولا توقظينى
لعلِّى ارتِّبُ هذا الفضاء ..
وأُشْعِلُ فيهِ حريرَ الخَزَفْ

أعيدى إلىَّ انكسارةَ جسمى
ولُمِّى دفَائِرَهُ من مرايا الشطوطِ
أعدِّى لَهُ ما تشائينَ من مطرٍ غامضٍ
أنتِ .. نعناعُ صوتى
ولا بأسَ أَنْ نَخْتَلِفْ :
على وردةٍ لا تُغيِّرُ طَعْمَ الهواءِ على المائدةْ
على شجرٍ سوف يَسْرِقُ مِنَّا تفاصيلَنَا

ثم يتركنا فوق ليمونِ هذى الدقائقِ
نلتفُّ فى بقعة الضوءِ ...
جرحاً تَسَنَّدَ جرحاً
وماءً يخبِّئُ فى النَّارِ أقمارَهُ الشَّاردةْ

يناير عرسُ الرمادِ
يُرَقِّشُ أوراقَهُ فى جيوبِ التِّلالِ
ويَنْعَسُ فوق الرسومِ
يخطُّ وصاياهُ للغيمِ والشرفاتِ
وما بيننا يجلسُ البحرُ
يغسلُ أنفاسَهُ فى يدينا
يُرَجْرِجُنَا .. ثم يمضى
فينفتحُ الملكوتُ
الينابيعُ تَكْسِرُ أقفالَهَا

والنجومُ تحطُّ على شجرِ الركبتينِ
نصِرُّ الطيورَ ، ونصعدُ ..

لا نرتدى
غير أسمائِنا والغبارِ الشهىِّ
الرذاذُ يموِّجنا فى شواشى الهديلِ
ونصعدُ ..
نصعدُ ..
أرْشُفُ ريقَكِ ، أقتلعُ الجسرَ والضفتينِ
الغيومُ تُدَنْدِشُ شيلانَها ، نَسْتَمُّ رَشَمْهِلُ فى
رجْفَةِ القدمينِ ، أُدَلِّكُ جسمكِ بالصَّهدِ والزعفرانِ
وأقفزُ فوق المرَّاتِ ، أَرْشُقُهَا بالمحارِ ،
الأباريقُ تَنْحَلُّ عنها النقوشُ ، تفورُ على
مَرْمَرِ الصدرِ ، والمِسْكُ منسجمٌ فوق
أبخرةِ القاعِ ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ننهضُ
نرتجلُ اللحنَ والناىَ ، نمشى وحيدينِ ، نقطفُ
من شجرِ الروحِ غصنين ، نقذفُ للنارِ غضناً
تصيرُ سلاماً وبرداً ، وفاكهةً تطلب الآكلينَ
نَمُدُّ يدينا ، ونَقْضِمُ تفَّاحتين ، نلفُّهُمَا كوكبين
صغيرينِ ، نُشْعِلُ بينهما جمرتينِ ، ونغفو
تضيقُ المسافةُ بينى ، وبينى ، أقطِّر كفَّيكِ
أَضْغَطُ فوق البراعمِ ، ينصهر الغصنُ بالغصنِ

كلُّ السفائن فى اليمِّ غرقى
وفوق عَصاهُمْ ينامُ الحواةُ
على أىِّ وضعٍ نعيدُ المدى
أدخلى جَنَّتى من ضلوعى
ولا تدخلى فى عِيَانى

يُدَغْدِغُنَا الخَدَرُ القُزَحىُّ
فَنَدْلفُ نحو الحديقةِ ، والماءُ ينسابُ بين العيونِ
يُشَقْشِقُ فى القنواتِ ، وتبتسمينَ .. الهداهدُ
تلهو على العتباتِ ، وقُمْصَانُنَا فوق سطح
القصيدةِ ، أكشفُ عنكِ غطاءكِ ، يرتجفُ
الكونُ فى اللوزتين ، أدورُ ، وأدحو بأرضى
سماءكِ ، ينحسرُ الموجُ عن ماستين
أنا اللونُ فى الشاطئين ، وأنتِ قيامةُ
جُرحى ، وحَبْو الكلامِ على الشفتين
.. البياضُ المشرَّبُ بالحُمْرَةِ الشفقيةِ يصفو ،
النَّهارُ يَشُبُّ على الكتفين .. العصافيرُ
تطوى كراريسهَا فى غواشى النُّعـاسِ
وتذهـــبُ ..
كُحْلُ البداياتِ طَقْطَقَ فى خشبِ النومِ
والساعةُ الحائطيّةُ تَهْمِى عقاربُهَا فى
حشايا الوسادةِ ..

أرْجِعُ بالبصر الكرَّتين
أفيقى .. أعدِّى لنا الشاىَ والكعكتين
وردِّى إلىَّ انهمارَ الأغانى
لأعرفَ : كيف أحبُّكْ
وأهرب منِّى إلى أنْ أرانى
وأنظرَ خلفى ولا أَرْتَجِفْ !

ألا بدَّ أَنْ أعترفْ .
يداكِ سلالمُ روحى
وعيناكِ قوسُ الزمانِ
تنامانِ فى سَقْفِ أغنيتى
يورقُ الخوخ بين عروقى
ويبتكرُ القمحُ شكلَ المكانِ

على أىِّ شىءٍ إذنْ نختلفْ
أجِئْنَا لنحرسَ شمسَ الفراغِ ..
على شرفةٍ باردةْ
وننسى يدينَا على عشبِ هذى الثوانى
ونمضـــــى
طريقين فى خطوةٍ واحدةْ
وكيف نُعَلِّق أقمارنَا فوق أشجارِ حلمٍ
سَيُشبِهُنَا لحظةً
كى يساوى ارتعاشاتِنَا بالسماءِ
وأنجمنَا بالشظايا
وصرختَنَا بنَدَى شوكةٍ فاسدةْ !

ينايرُ متشحٌ بالسوادِ
وبيتى بعيدٌ
وغيمٌ يَرِفُّ على شرفةِ الذكرياتِ
يفكِّكُ جسمى مرايا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويَجْدِلُهُ قمراً ناتئاً فى فضاء الحروفْ
أناسيِّدُ الغرباءِ
تعلمتُ كيف أعانقُ موتى
وأجلسُ فى خيمةِ الإسم وحدى
وأنتِ الجميلةُ ..
لا تطفئى النارَ .. لا تَنْحَنِى ..
أتركيها تُحَنِّى أصابِعَهَا فى حوافِ الحفيفْ
لعلِّى أرى كيف تخدشُ الروحُ مرآتَهَا
وتتركُ فى جعبةِ الوقتِ رملَ النزيفْ

وصلنَا إلى آخرِ الحلمِ ..
ــ هل تعشقينَ الغيومْ ؟
: أصفِّفُ شَعْرى على راحتيهَا
ويَخْضَرُّ فىَّ رمادُ المَطَرْ .
ــ وكيف تكونينَ عند الخريفْ ؟
: أُفَتِّقُ من جسدى وردتين
وأرمى عليكَ بياضَ الحَجَرْ
ــ وكيف تنامينَ وَحْدَكْ ؟
: أزوِّجُ صمتى لجوعى
وألبسُ عُرْىَ الشَّجَرْ
ــ وماذا تحبّينَ أيضاً ؟
: أحبُّ المساء ..
يلوِّنُ أعشاشَهُ فى يديكَ
فتجلسُ فى قبو صوتى
وتنفخُ فى شفتىَّ حليبَ الشَّرَرْ

بلغنَا شَفَا الكوخِ
مِلْتُ على صَدْرِهَا
كان نبضُ المحار دفيئاً
وخطوتها تَسْتَشِفُّ الحَصَا

ــ هل تَرَيْنَ الفَنَارَ القديمَ
يقولونَ عَنْهُ كلاماً طريفاً
وفى الليلِ تأوى إليهِ فتاةٌ ، تحطُّ على
راحتيها الصقورُ ، ووحشٌ بألفِ ذراعٍ
يُمَشِّى على جسمها البحرَ ، والقوقعَ
البحرىَّ ، فيمتلئ الوجهُ بالياسمينِ
وتَرْجِعُ عذراء من غيرِ سوءٍ .
: أنمشى إليه ؟
تذكرتُ شيئاً مضى وابتسمتُ
هجوتُ ابنَ هانى ورامبو
وطوَّحتُ وردةَ بودلير والنفرىِّ ..
الغيومُ تلمُّ عرائِسَهَا ، تستوى
فوق عرشِ المياهِ .

وكانت تُقَشِّرُ نَبْقَ أراغيلِهَا
تَشْرَئِبُّ ، وتَهْدُرُ فى لوثةِ الأقحوانِ
تَخُبُّ ..
الهواءُ يجفِّفُ أعضاءهُ فى رحيقِ
الثيابِ ، يُعَرِّى اشتهاءَ الشبابيكِ
هل نرحلُ الآنَ ..
كانت تَشُدُّ الغطاءَ ..
وتَحْضِنُ فى رعشةِ الضوءِ موجتَها العائدهْ .

القاهرة : جمال القصاص

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

● قصـــــائـــد

سيد خضير محمد حسن

(١) تـــرقب

حدِّقْ
ورقْ
فوق الغصنِ المتهالكِ جفَّتْ ..
فتلوَّتْ ..
مالتْ .. فتدلَّتْ ..
تبكى الغصنَ المترنِّحَ
والأوراقَ الملقاةَ ببيداءِ الوحشةِ ،
ترنو ،
هل ترقبُ بدءَ سقوطِ الغصنِ ،
تُراها ؟
أو ترقبُ قافلةً للأمطارْ ؟!
ولماذا رغم الرعدِ القاصفِ
ــ هذى الليلةُ ــ
لا
ت
ت
هـ
ا
و ى
أو تنهارْ ؟!

(٢) صـــورة

يُبصرنى مقلوباً
حين يحدِّقُ فىَّ
أبصرهُ مقلوباً
فى عينىَّ
هذا العالمْ ..!
من سوّى فى رأسى هذى الصورة ؟
رأسى .. ؟
أم هذا العالمْ ؟

(٣) وعيد

قال الخريف :
للربيعِ فرحُكم ونحركُم
ونشوةٌ تأمُّها الدفوفْ ؟
ولى أنا الحطامُ والنزيفْ ؟
ومُنْشئ !
لأُسرعنَّ صوْبكمْ
وأحطِمنَّ دفّكمْ
غداً على رءوسِكمْ
غداً أطوفْ !.

قفط ــ قنا ــ سيد خضير محمد حسن

الحلم .. والزمن الحقيقة

عبد الناصر عيسوى

اجيءُ إليكِ .. تأويلاً لرؤيا .
كنتُ أخفيها
فتاتى فى خبايا الليلِ ..
اذكرُ انّ روحَكِ فى خبايا الليلِ ..
تنفُذُ من خلايا الضّوءِ ..
قادمةً لحُلمى فى الشّعور اللاّشُعورىّ اتّحاداً .
عُنفوانياً

فأنتِ تَوَهُّجى فى الليلِ ..
عيناىَ اللتانِ امْتصَّتَا نورَ النّجوم ..
وأنتِ نافذتى الوحيدةُ ..
حين أبدأُ رحلتى فى النّومِ ..
أنتِ هناكَ مَسْراىَ الوحيدُ

أجيءُ إليكِ .. تمتزجُ الخلايا بالخلايا ..
والهُيُولى بالهُيُولى ..
عندها يتزاوجُ الإيقاعُ بالإيقاعِ ..
يبدأُ حُبُّنا فى رحلةِ التكوينِ ..
هذا الكائنُ الزّوجىُّ نخلقُهُ ..
ونحملُهُ إلى الدّنيا ، فيحملُنا على الطيرانِ ..
حيثُ يطيرُ هذا الشاعرُ الوَرَقىُّ ..
فى الأكوانِ ..
يبحثُ عن قصائدِهِ العذارَى

أجيءُ إليكِ .. أنتِ تزامُنُ الألفاظِ ..
والإيقاعِ والمعنى
وأنتِ مُرادفُ الأضواءِ والألوانِ ..
أنتِ الآنَ موسيقاىَ فى هذى القصيدهْ
أجيءُ .. فأنتِ ترجمةُ الغيوبِ ..
إلى الحقيقةِ ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

آنتِ إيمانى إذا الإلحادُ طوَّقَنى
فأخرجُ من كؤوسِ الخمرِ قِدِّيساً
تناثَرَ فى السّمواتِ انتثارَا

أجيءُ إليكِ .. أحفُرُ فى جبالِ الضّوءِ ..
أبحثُ عن عصافيرٍ تلاشتْ فى شعابِ الضَّوْءِ ..
عن معنىً طُفُولىٍّ مُشِعٍّ ..
حوْلَ عينيكِ اللتينِ احْتَدَّتَا ..
فى ثورةِ الإشعاعِ ..
أبحثُ فى نَوَافيرِ الأشعةِ ..
عن تقاطيعٍ تُكوِّنُ وجْهَكِ المغمورَ بالأنوارِ ..
ألبَسُ من نسيجِ الضوءِ ..
قُبعةً .. وقُفّازَيْنْ
فأعبُرُ من مضيقِ النّورِ ..
أخرُجُ عن خطوطِ الكوْنِ ..
أطلُعُ للحقيقةْ
مُروراً بانتهاءاتِ السُّكونِ ..
وبالمجرّاتِ السَحَّيقَةْ

أجيءُ إليكِ .. تَعْدِلُ فرحتى الأزمانُ والأكوانُ ..
تعدِلُ رغبتى النيرانُ ..
تغسلُ مُهْجتِى الأضواءُ والألوانُ ..
فى الزّمنِ الخطيئةْ

أجيءُ .. فنلْتَقى عند انْتصافِ البُعْدِ
عند تقاطُعِ الأحلامِ بالأيّامِ ..
نحمِلُ بيْنَنَا المصباحَ ..
فى الزّمنِ الحقيقَةْ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من سفر التقاطع

مؤمن أحمد

قالَ : البحرُ انبجَسَتْ أَعْيُنُهُ .. ،
فاضْرِبْ بعصاكَ جدارَ الحزن ، وأَبْحِرْ
تلك الأحزان نُدَاوِلُها بين الأحبابِ ،
تقرّبْ
استَفْتِ القَلْبَ ــ
وإن أفتوك ، وأفتوك ، وحَلّو عنك إزار
الروح ــ ،
استفت القَلْبَ .. ،
تقرَّبْ
واختر ما شئت من الفُلْكِ
سيتّسع الفجُّ النُّورىُّ .. ،
يصيرُ الجرح تراباً ...
وتُزَغرِدُ بسمةُ روحِكَ حين تَمُرّ

* * *

شيخى :
الريحُ عَتىٌّ .. ،
والموجُ عَصِيٌّ .. ،
والبحرُ امتدَّ ، امتدَّ ، امتدّتْ اذرُعُهُ
تسلبنى الأيامَ / الأحلامَ ، تَهجُّدَ أُغْنِيَتِى
ــ ابصِرْ .
ارهقنى النظرُ فلا أقدرْ
ــ ابحِرْ
أغْرَقَنى البحرُ فلا أقدرْ .
ــ تنفلت البسمةُ إذ تَعْبُر .
البسمةُ .. !
ما البسمة شيخى ؟
ما البسمة فى بلدتنا إلا ثوبٌ نلبسُهُ
يسترُعوْراتٍ نخشاها .. !
ــ تتضوعُ بسمةُ رُوحِكَ حين تَمُرّ .
الْبَسْــ ..
ــ لا تُكْثِرْ .
لا تكثر ولدى
ما البسمةَ ــ فى بلدتكم .. أعنى
البسمةُ : فوقَ الفوقِ ، وتَحْتَ العُمقِ
وليستْ تُسْمَعُ أوْ تُبْصَرْ .
جَرّد ما يتوارى تحت الحِسِّ .. اسْتَعْبِرْ ،
وانْظرْ ..
ثُمّ اعبُرْ .

حلوان : مؤمن احمد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رقصـــــة المـــــوت

فراج عبد العزيز مطاوع

خَرَجتْ من صِدار الحروفِ ،
ونادت على زورقِ الريحِ .. ،
وانطلقت فى الحدائقِ ..
حطَّت على وردةٍ .. وبكتْ
(وهْىَ تبصرُ مائدةَ الخوفِ عبر البيوتْ)

*

كانت الريح تسألها
عن تعشُّقها للبساطِ ،
وكيف تبثُّ هواها إليه
أمام مرايا الضياءِ ..
وشكَّت بإبرتها فى الجناحين
ــ ساعة حاصرها العنكبوتْ ــ

*

نحلةٌ لا تملُّ الطنينَ ،
تدور على محورٍ أفقىٍّ
تلفُّ ، ترفُّ ،
تهاوى .. ،
تموتْ ،

ARCHIVE
http://Archive.Sakhrit.com

الـــزيـــارة

على أحمـد هـلال

استقام لحظة
وقال قبل أن يعاود الدخول فى الدخان
ربما أجىء حينما نغافل الزمان
اغسل العيونَ بالمطرْ
فالشتاء فى زماننا ..
أخضرُ الخطى
وربما يوقّع الصباح فى جبيننا
وثيقة البقاء
فإننى معلّق هنا على مشانق
المساء
قالها ... ثم غابْ

*

فى عيوننا .. مدائنُ السراب
حدائقٌ من النخيل
وطائر من العقيق والذَّهبْ
وحقل حنطةٍ كبيرْ .. ونهر ضوءٍ
يمرّ من مناحة النهار
يصبّ فى جداول الشتاء سنبلاتِهِ
تسافر الحقول من رؤوسنا
يسافر النهار
ونستبين فى المدى
مدائنَ الضباب
يجيئنى معمّما وثوبُه البياض
كنسمةٍ طريّة بليلنا
يجيئنى ومعلنا إشارة الرحيلْ
مصافحا بوجهه القمر
قتامةَ العيون
يجىء فى فواصل الفصول
يجيئنى .. على جواده السخىّ
قارئا .. وثيقة البقاء
وبعدها .. يغيب .....

شبين الكوم : على احمد هلال

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الـــــــوردة

رمضـــان الصبـــاغ

١◇

الوردة لم تتلون بعْد
لم يصْبغها الدّم
تنتظر الشمس القادمة على أحصنة النّارْ .
تشتل فى واحات الغد
شجر الريح ، فيشدو والطّيْر على الأغصانْ
ينمو العشقْ
ويضىء زمان الحلمْ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢◇

مازلنـــا
نجمع حُلْمَينا وَهَجاً
ونقاتل ليْل الصمتْ
وعلى صدْرَينا حطّتْ فى الصبح يمامهْ .
غنّـــتْ .
بذرتْ فى قلبينا الأسرارْ .
ليظلّ القلب .. نقيّا .. مختلجًا .

*

٣ ◇

تنتظر حدائقُ غَدِنا القمرا
تنتظر العشّاقا
ياوردا مشتاقا
مازلنا نضرب زمنَ الريبةِ ، والقَدَرا
فابْتهجى ياوَرْدة غدنا
وانْتظرى لحظات التلوينْ .

٤ ◇

غرّبنى حزنى
حين سقانى الكهنةُ نار الزّيْفْ .
فركبتُ حصان الموتْ .

فرّت أيامى منّى ، فبكيت .. بكيت
عرّانى لَهَب الشّمْس

فخلعت الجِلْد ، ركبتُ سفينةَ أحلامى
وإلى المجهول رحلْتُ

فكنتِ الوردة ، والتّاج ، وكنت السيفْ
جزُّ رِقاب الخوفْ
كنت الحنطة والماء .

*

٥ ◇

يأتينى وجهك فى المنفى
فيحرّرنى من أصْفادى
وعيونك حين أراها فى الحلْم
تنبت فى القلبِ الوردة
حين تمرّين بنافذتى
ينساب نسيم الصيْفِ ..
نعدّ لغدنا أجمل ثوب
نمنحه دمنا ،
ونعدّ اللّهبا
آهٍ ياحبا ينمو بين عظامى
يازهرا ينبت فى ذاكرتى
وعبيرا يملأ رئتى ..
آه ...
ياوردا لم يتلون بعدْ ..

*

القاهرة : د. رمضان الصبّاغ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بدايات الاشياء

مَنْ يَمْنَحُنى الدَّهْشَةَ تَنْسَلِخُ عَلَى شفَتِى
ضَحِكاً وبُكَاء ؟
كَىْ يمكننى الإبْحَارَ بِلاَ غَرَقٍ
عَبْرَ ثُلُوجِ اليأس بأوْرِدَتِى
ورِيَاحِ البَغْضَاء
تَنْقَسِمُ الذَّاتُ بِمرْآتِى
شِطْرَيْنِ امْتَزَجَا وافْتَرَقَا
يَصْعُبُ نَوْمِى اسْتَجْدِيه بِكُلِّ مَسَاء
تَمْلؤنى الحَسْرَةُ قَلَقَا
تَشْتَعِلُ النَّارُ بِأَنْسِجَتِى
أَتَحَوَّلُ بُقْعَةَ ضَوْءٍ
يَحْمِلُها الطَّيْرُ إلى مُدُنٍ
تَتَبَدَّلُ فِيها الأسْماءُ
يتفتَّحُ لى فيها الزَّهْرُ
ويُحَاورُنِى العُشْبُ
تَنْبتُ لى اعْضَاء غَيْرُ الأعْضَاء
تُقْبِلُ نَحْوِى انْهَارٌ تَتَرَاقَصُ حَوْلِى
احْتَضِنُ المَاء بِرِفْقٍ وأُصَلِّى
صَلَوَاتِ الإسْتِسْقَاء
كَىْ تَخْضرَّ بِقَلْبِى الصَّحَرَاء
أَتَرَنَّحُ مِنْ وَهَنِى
كالطَّيْرِ العَائِدِ مِنْ سَفَرٍ فى كُلِّ شِتَاء
فلْيَعْذرُنِى زَمَنِى
جِئْتُ اليْهِ قَبْيْلَ بِدَايَاتِ الأشْيَاء

مدحت قاسم

القاهرة : مدحت قاسم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصيدتان

عبد المنعم رمضان

ذو العشب الكثيف

متى نتريّضُ ؟
أنت انتصرتَ على الظنّ
ثم انكفأتَ قليلاً
وأومأتَ للحيوانِ الذى يتمخّطُ
فى رئتيك
بألاّ يكفّ
أخذت متاعَ الأحبَّاءِ
والصورَ العاطفيةَ
فى شرفةٍ كنت تنظرُ
هل ستجىء العكاكيزُ من حجرةِ الليلِ
أم سيجىء الشبابُ الخليّون
يتكئون على كتبٍ
من زجاجٍ
ولكنهم
حين أقبل أوّلُهم
كان يحشرُ تحت ملابسِهِ
بلْطةً
سوف نبحث عن اسمها فى القواميسِ
نتذكرها
حين لا نتذكّر أطرافَ جمجمةٍ
تنفتّتُ
يَخرجُ منها النخاعُ
يسيلُ ليبحثَ عن آهتين
ولا يتباطأُ
إلا إذا صادفته نقاطُ الحدودِ
إذن سوف يلتفُّ ثانيةً
فى خرومِ طفولتهِ
سوف ينفضُ عن جسمهِ الغيمَ
حين يشاءُ
يضفّرُ حزمته
ويلمُّ العروقَ على سعفٍ
ويماطلُ
لكنه سوف يعرفُ
كيف حشا رجلٌ قعْرَ غليونهِ
بالنخاعِ
وبالتبغ
كيف تحسّسَ شاربَه
حين فرّ الدُّخانُ إلى أفقٍ
سوف يعلو
ويصبح أوديةً
تتشعّبُ
كيف دعا كومةً من عساكرهِ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لتطاردَ هذا الدخانَ
وتقتلَ من سيصادفُه
الذين نجوا
واحـــدٌ
كان يسكن تحت أصابعِ رجليه
قدّامه
خلفه
حسبما يسمحُ الضوءُ
عند وفودِ القوافلِ من أوّل الليل
يجمعُ أطرافه
ثم يخدعه
ويفرُّ
ليصبح أسطورة أو إلّهاً
إذن سوف نبحث عن اسمهِ فى القواميسِ
سوف ندوِّن :
كان له شاربٌ
كان يملأ غليونه
بالنخاعِ
وبالتبغِ
كان له صوت ماكينةٍ
حين تجأرُ
يعرفهاالدركىُّ
ويصغى لها نفرٌ
من ملائكة الموتِ
لا يفركون أصابعهم خشية الاتِّساخِ
ويعترفون كثيراً
بأن الأجور الإضافية
اتسعت
لتفوق رواتبهم
هكذا يدعكون السكاكين
بالزيتِ
والرملِ
يلتحفون بما يتبقّى من الظلماتِ
ويخشون معصيـه الله
إذ ساقهم ذات يومٍ
وأدركهم :
« افصلوا روحه
وتعالوا بغليونه
وبشاربهِ
بالدماء التى تتدحرج من صوتهِ
ثم تكسو الفضاء
متى نتريّضُ
أنت انتصرت عليه إذن .

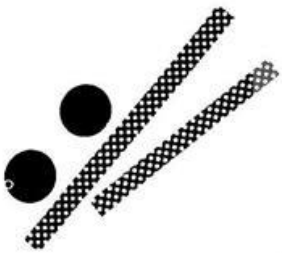

الرجـــل البـــدوى

الليلة أُحصيكم
وأعدّ ثيابكم البيضاء
أحاول أن أتشبَّث بالبرصِ المتبقى منكم
أسهو عن أوقاتى
أرفع ذِكْرى فى أعناق خيولى
وأصلّى فى ذاتى
أطعم من يتشهى ولد النخلِ
ولا أتردّدُ فى تنفيضِ أصابعكم
من روثِ الأرضِ
وأسمع منكم أسماء مواليكم
أشتو حين تغيب فصول السنة الأخرى

ARCHIVE
http://archivebeta.Sakhrit.com

وإذا كم تشتون
وتشتدوّن على أنفسكم
تنقلبون خياماً
وقرابين
وصوفيين إذا أقبلت الشمس
بوبر الصوف
ورَعَويّين إذا قلّبت الريُح الأرض
فملأتْ سقف أعاليكم
ديدانُ أدانيكم
وارتخت النارُ
وقد أكلت أنساب الخيلِ
ومدّت فوق بساط الأرض
سماطاً
يحوى ما يتعفّفُ عنه شيوخكم الأعْلَوْن
وإذ تتردّد
فى أجواف حلوقكم
الآهاتُ
أصفّيكم
وأُغيرُ على ماضيكم

فإذا حُزْتُ البيعةَ
ألضمكم
الآهَةَ تلو الآهةِ
حتى تصبح جسراً
يصلح أن أعبره
فوق ثغاء مواشيكم
وأرصُّ غبارى
وتواريخى
أسفارى
أحزمها
كى أحشوها
فى أرحام جواريكم
حينئذ
أصرف عنّى الحارسَ
والوسواسَ
وأمشى فوق الورق الأبيض
رِجْلى تنقش
ما أصنعه
من أعمالٍ كبرى

القاهرة : عبد المنعم رمضان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

النيل

محمد سليمان

قُل هو النيل ..
لم يَجِدْ

ولكنه انشقّ من كمَدٍ
حين حطّ على ظهره الفارغونَ ،
أناخوا عكاكيزَهُمْ
رقصوا كالضفادعِ ،
هل صار قلعة سُخْطٍ ؟
عموداً من الماء خطّتْ عليه العصورُ
فصار كتاباً وذاكرةً
أوّلاً
آخــراً
أم مضى نحو بحرٍ
يصيد النوارسَ
يدعك باليود رِجْليهِ ،
يرمى إلى موجةٍ صخرةً ركبتهُ ،
استراحتْ ...

كشَيْطانةٍ فوقِ كتْفَيه ،
واتخذتْ شكل غولٍ
وشكل الغرابِ
ولفّتْ تفاصيلها بالزَّبَدْ .

قُل هو النورُ
فى اللوْح كانَ ...
وحين أراد له الربُّ هبَّ ،
تنفّسَ
قام لكى يلمسَ العرشَ
فانغرستْ فى يديه النجومُ
وصَلّتْ ملائكةٌ
دَحْرجتْهُ
فأنَ .. تنزَّلَ .. دارَ ،
مشى مثل قطٍّ ومثل الحصانِ ،
على بَطِنه سار فوق الصخورِ ،
تلوَّى ..
هوى فى ظلامٍ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولكنه مثل عاصفةٍ شبَّ .. مدّ الأصابعَ ،
أمسَك أرضاً
وشدّ فضاءً
وأعطى الصخور التى مزّقتْ ثوبَهُ زبَداً
والطيورَ فوانيسَ ،
ثم استراحَ
غفا مثل عشبٍ
رأى فى السماءِ شبابيكَهُ
قلبَهُ فى الترابِ
وفى مدنٍ يأكلون يديهِ ،
فصلّى
وصامَ
وساق إلى عاشِقيه المدَدْ .

*

قُل هو الفحْلُ
أخرجه الحُبّ من صورةٍ
دسّه فى جسومٍ
ففاض وفَضَّ
وعَطّرَ واجترَّ طارَ ،
استدارَ ولمَّ الحروفَ التى سقطتْ من كتاب الغيومِ ،
فقام الكلامُ الذى أسْكر الأرضَ ،
زيّن للطير عرشاً
وللبنْتِ عُشّاً وتفّاحتين ،
تُرى كان يعرف أن الشوارع لا تنتمى للمحبينّ ،
والليل لصٌّ ؟

وأنّ القُرَى ستُباهى بباب له أُكْرَةٌ ولسانٌ
وحقلٍ تَسَفْلَتَ
أم كان يلمح فى الصخر موجاً
فيرمى صناديقَهُ لليمام الذى يتخبّط بين النوافذِ ،
أو للوعول التى تتمسّح بالعابرينَ ،
هو الواحدُ المتحَنْ
لم يهنْ
حين مالت عليه المدينةُ
دقّتْ أصابعَهُ فى الحوائطِ ،
أعطته حَبْلين
حبْلَ دُخانٍ تُقطّعُه الريحُ .. تفتله العرباتُ
وحبلاً من الضوء يُعْشيهِ ،
يَهدى إليه السلاطين والخائنينَ اللصوصَ ،
لماذا يسافر فى ظلمةٍ ؟
يتمهّل بين العواميد .. يبكى حقولاً
ويرنو إلى العربات التى تتوالد مثل الصراصيرِ
هل تُنْبتُ الآن تلك الحقولُ مصاعِدَ ،
أو شجراً من صفيح .. ؟
لماذا تنام المدينة عُريانةً
وتُسَيِّجُ أعضاءها باللصوصِ
تشمّ المخدِّرَ ،
ترتاح لمّا يسيل الدخانُ وينفرط الليلُ
هل قاسَم اللصُّ صاحبَهُ الدركىَّ
استباحا معاً جُبّة النيلِ ،
لفّاهُ فى ورقٍ

أعطياه جداراً
وباراً زُجاجاتُه كالمصابيحِ ،
هل يسكر النيلُ ؟
يلمس فى حائط شجراً
فى ضباب نِساءً
أكلّم وَرْدَ الرَّصيفِ ،
رأى الظلَّ ماءً
أم النيل يعرف أن العرائس للرمل سوف تُزَفُّ ،
وأن الصيامَ سيصبح ثوباً وحيداً
يروح به ويجىء
فيدخل بُرْجَ الصّلاةِ
يُلملم وقتاً تدحرج من مقلتيهِ ،
يُطوِّحُ سِنّارةً فى البعيدِ
ويصطاد جِنِّيّة لاحَمَتْهُ ،
استفزتْ خلاياهُ
أعطته وجهَ الغلام ونهدين كالنَّبْقَتَين ،
فلَفْلَفها بالضفائرِ ،
عبّأها بالعصائر
كَوَّرَ .. حَمَّرَ .. أوقفها فى مراياهُ فارتعشت
ذهبتْ فى الزحامِ ،
لماذا أراه على حجرٍ هامِداً مثل ظِلٍّ ؟
مناديله مَزّقتها الصقورُ
وأيامُه انفرطت من يديه ،
أكان يُهرول بين المكاتِبِ ؟
فى عُبِّه ورقُ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فى يديه التآشيرُ
أم هدّه المشىُ
فانحطّ فوق الرصيف .. يلُفّ يديهِ ،
ويحلُم ــ حين يصير الذبابُ غيوماً مُحَلِّقةً ــ بالبُراقِ
ويلمح فى ظلمة القاع أطيافَ مَدّ .
.....
قُل هو النيل أحدْ
ضاق من جِدٍ وذئابٍ
ومن فارغين نموا فى الظلام وصاروا خرائبَ ،
قالوا لكم نيلكمُ
ولنا آخرُ
هل الانوا حديد أصابعهم وأقاموا السّدودَ ، ؟
هو الحىُّ
والجَوْهرىُّ
الغنىُّ
الكريمُ الحكيمُ الحليمُ .
يمد حبالاً من الموجِ
يضحك حين تصيرَ مشانقَ ،
أو مَحْضَ نورِ
ألم يُنطق الأرضَ ،
يكسو الغلامَ
وبالشّهْد يحشو الغُلامَة ،
كى يُطلعَ الوردَ من كل خدّ
قُل هو النيل أحدْ
ربما يرحل الآن مغترباً
يتلكأ بين المقاهى
ليأخذ من طفلةٍ وجعاً
ويشُدّ قصائده من رماد الشوارعِ ،
قد يتدحرج خلف هلالٍ
وخلف امرأه
ولكنه النيلُ
لا نيل إلاّهُ
أطلقه الله من ظلمة اللوحِ
عرّاهُ
أعطاه سيفاً
وأعطاه نوراً
وقال انطلق نحو أرضٍ فوانيسُها أخذتها اللصوصُ
فكبِّرْ ..
ونوِّرْ
وكسِّرْ عكاكيز .. يمشى على ظهرها الفارغونَ ،
وقُل للظلام أنا أوّلُ الماءِ
بدءُ الكلام ،
أنا النيلُ ..
صوتى على حائط الريح خَدْ .

القاهرة : محمد سليمان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقعت عينها فجأة هذا الصباح على نتيجة الحائط وهى تنزع الورقة الأخيرة . لم تصدق أن العام انقضى بهذه السرعة المذهلة . زمان .. أيام المدرسة ، كان اليوم يتزحزح بصعوبة ، وكان عقربا الساعة يتحركان ببطء شديد كأنهما يسيران على ميناء من الرمال .

ذكّرتها ورقة النتيجة بعيد زواجها من الدكتور حازم ، ورجعت بذهنها سنوات إلى يوم الزفاف وقد ازدانت واجهة الفندق الكبير بحبال الكهرباء ، وانتشرت المصابيح الملونة داخل أشجار الحديقة الوارفة وتدلت كالثمار . وفوق النجيل ضوء خافت ينبعث من أباجورات صغيرة ....

اتسعت عيناها وهى تتخيل الراقصة الشهيرة التى قامت بزفافهما والجوق حولهما يغنى ياعشاق النبى صلوا على جماله . لم تنس عودتها فى غبش الفجر ليقفل عليهما باب الحجرة ، ويستسلما لنوم لذيذ طال حتى عصر اليوم التالى .

وتداعت ذكريات أسبوع أمضياه فى روما بفندق « سانتا كيارا » الشهير باستقبال العرائس وجلسات الرصيف بمقهى « الدُّونة » فى شارع « فيافينو » الذى يتسع للكثير من الرواد . لا يحسون بالوقت وهو يمضى بهم فوق الرصيف . يمرّ بهم بائعو المحار والريتزا بانحناءاتهم الرقيقة ، وخلفهم صِبْية صغار بالليمون الأضاليا الصابح . يزدردون المشهيات مع شرائح الطماطم والخس الطازج على موسيقى « البيانولا » وحركات اللاعبين التى لا تخلو من فن . وتنقلهما الصورة إلى كورنيش الإسكندرية بمقاهيه المنتشرة .

قطعت حنان أفكارها وأسرعت خارج البيت لشراء التورتات والشطائر والحلوى ، وكل ما يدخل البهجة على زوجها فى ذكرى زواجهما فكم هو بحاجة إلى ما يخفف عنه مشاغله فى الجامعة . رأت الاّ يشاركهما الاحتفال أحد لتنفرد بالدكتور حازم وتستطعم الخلوة به مع ذكرياتهما الدافئة . تحب أن يكون لها وحدها هذه الليلة بعيداً عن الأبحاث والمناقشات والمكالمات التليفونية . ومن الصدف أن يخلو لهما البيت بسفر ولدهما فى رحلة مدرسية إلى الأقصر .

حضر حازم ليرى فى استقباله عروساً كاملة الرواء تفننت فى إظهار مفاتنها ، وسُفْرة حافلة بالأصناف تتوسطها « تورتة » تعلوهاشمعتان مجرد رمز للسنوات التى مرت على زواجهما السعيد .

لم يكن الاحتفال الليلة مفاجأة له ، فهوايضاًهيَّأ نفسه للمناسبة السعيدة هروباً من أثقال العمل ، وقطع ندوة المؤتمر العلمى فى القاهرة ورجع إلى الإسكندرية ليفاجئها بهديته الرائعة ، ثم عرض عليها أن يتناولا طعام العشاء خارج البيت ، فى نفس الفندق الذى شهد زفافهما ، ولو استطاع السفر معها إلى إيطاليا لما تردد لقضاء ساعات فى سانتا كيارا ، ولما توانى كذلك عن الجلوس على رصيف مقهى الدُّونة ، وتناول المحار مع فصوص الليمون ... مسافة السكة ، وضمهما معاً ركن هادىءفى الفندق . العشاء على الشموع . الموسيقى خافتة ، كُلّ فى سوقه ، والحديث عن أحلام الأمس وآمال الغد يدور همساً ، يقطعه بين وقت وآخر ظهور الجرسون بطلبات جديدة مع ابتسامته المرسومة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فى اليوم التالى طلب إليها أن تُعِد حقيبته للعودة إلى القاهرة لحضور الجلسات الأخيرة للمؤتمر على الا يفوتها عدد من القمصان يكفيه أسبوعاً ، واختيار أربطة العنق المناسبة ، ثم اتجه إلى حجرة المكتب . دخل وأقفل الباب وراءه . مكث بالحجرة بعض الوقت ، وقبل أن يترك البيت اتجّه نحو حنان وكانت تقرأ فى صحيفة الصباح وأخبرهاان وراءه غداء عمل وربما تأخرت عودته فى المساء .

دخلت حجرة المكتب كعادتها كل صباح لتعيد ترتيبها ووضْع الكتب فى مكانها فى المكتبة . أزاحت الستائر لتدخل الشمس ويتجدد الهواء . ولأن المكتب هو المكان المريح بالنسبة إليه فهى تحرص على العناية بالحجرة وتوليها أهمية خاصة . لفت نظرها إغلاق الأدراج على غير عادة الدكتور الذى يكره الاحتفاظ بالمفاتيح وقفزإلى ذهنها دخوله الحجرة وإقفال الباب خلفه . بشعور مبهم فكرت فى فتح الأدراج . وقفت أمامها مترددة ثم أخذت تجرب بعض المفاتيح شدت الدرج الأمامى ، نزعت أحشاءه ولم تجد فيه ما يدعو إلى إغلاقه . عاد إليها هدوؤها . لملمت أعصابها المنفلته وأعادت كل شىء إلى مكانه وانصرفت إلى شؤون البيت ، ثم شغلها بعض المكالمات التيلفونية الغلط وصوت نسائى يسأل عن الدكتور فى نعومة مفتعلة شدتها من جديد إلى دائرة التوتر ..

اتجهت حنان ثانية إلى حجرة المكتب ، هذه المرة بوجه مخطوف وقلب واجف . قلبت الخطابات ومجموعات الأقلام التى يهوى اقتناءها وبعض صوره معها فى مناسبات مختلفة ، عثرت بينها على صورتها أخذت تتأملها وهى تتذكر المصور العجوز وهو يعتذر عن قبول أجر الصورة رغم الإلحاح الشديد . قال لها إنه رأى فيها ابنته الوحيدة التى تعيش خارج إيطاليا . أعطاها ظهره المحدوب وهو يكتم سعلة جافة انفلتت منها حروف كلمةالوداع « أريفادونتى » .. لم تزل تحفظ اسمه .. « كارلو نايا » ..ماركو نايا .. شىء كهذا ..

صحت إلى نفسها تلوم انسياقها وراء هاجس غامض ، ثم لمحت صدفة مجموعة من الخطابات مركونة على جنب . فضتها فى فضول مُلِح . كانت بتوقيع المُحبة ف . حدقت فى التاريخ ووجدته قديماً وقبل زواجهما . حدقت فى السطور . تأملت الخَط ، راته منمقاً ، مرسوماً والكلمات منحوته بعاطفة مشبوبة ... السطور أمامها لم تزل تحمل حرارة المعانى .

أعادت الخطابات إلى مكانها من الدرج وعشرات من الأسئلة تتهافت على ذهنها المتعب . لماذا يحتفظ الدكتور برسائل حب قديم ! . بنصب تذكارى يخلد بقايا أعماق ، ونار الفرن يحفظها الرغيف الساخن . خطر لها أن تحرق الخطابات لكنها أمسكت ...

ألقت جسمها فوق أحد المقاعد ، وأسندت رأسها إلى الحائط . خاضعة لطوفان من الشكوك . كل عضو فيها انفك عن الآخر وتواترت على ذهنها عباراته ذات يوم وهما يجلسان فى حديقة فندق البوريفاج وأمامهما فتى وفتاة فقدا الإحساس بمن حولهما من الناس . تصورى - هذا كلامه - أن الشاب ربما يتزوج غيرها رغم كل هذا الهيام ، وتكمن هى فى إحدى الزوايا من نفسه . سكت قليلاً وأردف أن بداخل كل إنسان منطقة حرة يحيطهابسياج مرتفع وأسلاك شائكة حتى لا يقترب منها أحد . استسلمت لخيالاتها الجانحة وهى ترنو إلى البحر والأمواج تطغى بصخبها الرتيب على أفكارها وتزحزحها قليلاً عن سهومها الممتد .

قطعت سياق الخيال وقامت إلى الحقيبة تستكمل إعدادها . نسيتها فى غمرة الإنفعال . عادت تسأل نفسها فى إطراقة حزينة . من تكون المحبة ف صاحبة الخطابات ! . فريدة ! . فكرية ! . فادية ! . فتشت وبحثت فى ملف الأسرة والأصدقاء عن أسماء تبدأ بالفاء . اهتدت أخيراً إلى فيدا بنت خالتها التى لا تكف عن الضحك وهى مع الدكتور حازم . جميلة وخفيفة الظل بشهادة الجميع . مع ذلك لم تتزوج ، وتُرَدِّد انها لم تلتق بعد بمن تحبّ . سمعتها يوماً تقول إن حازم نموذج الرجل عندها . لو تقدم إليها مثله لما تأخرت . حازم فقط من غير دكتور . الوحيدة التى تتبسط معه ، وببطء محسوب ، دون انزلاق إلى خِدَع الحواس استبعدت فيدا من قائمة الاتهام لأنه يرميها بالخفة . فى عينه طفلة كبيرة ، ويعتبرها مجرد فيلم سهرة للتسلية . اطمأنت أكثر لأن لقاءاته مع فيدا مقصورة على المناسبات .

عاد الدكتور حازم ورأى وجهها ممتقعاً كابيا ، ولم يشأ أن يستفسر عن السبب ، وأرجعه إلى إرهاقها فى إعداد الاحتفال بعيد زواجهما . ضمها إلى صدره ، وطوق ساعداه القويان عودها الرطب . هفهفت أنفاسه على عينيها المسبلتين ، وتندت بها أهدابها المقوسة ، شاع الدفء فى الوجه كله . لم تنعم بإغفاءة قصيرة أجمل من اللحظات التى أمضتها على صدره . ودّت لو طال المقام لولا مكالمة تليفونية ... ثم أخذ الحقيبة وخرج مسافراً إلى القاهرة .

خلت حنان إلى نفسها ، واحتواها فراغ بارد مُمِل ووجدت البقاء وحدها فى البيت يزيد من توترها والمُحِبَّة ف تخرج لها لسانها من زاوية الدرج ، ولم تُجْدِ ليسانس الآداب فى إقناعها

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بهوس الأفكار والبعد عن تياراتها الهوائية . رفّت صورة أمها على الخاطر الجريح فقامت تستعد لزيارتها مع نيّة المبيت ، وجرّها المساق إلى أبعد من ذلك . فكرت فى الا تعود ، فلم تزل لاهثة مستفزة لم تكف عن الركض المحموم . قبلاته وأحضانه زيف وتمثيل .

استقبلتها الأم بأحضانها الدافئة وشعرت مع اللحظات القصيرة التى ثوت فيها إلى صدرها كثيراً من الراحة والإيناس . انصرفت عن نفسها فى الرد على أسئلتها الكثيرة ، والشكوى من علاتها المتنوعة وقلة النوم .

انطلقت حنان تضحك وقامت تحضن أمها من جديد لأنها اعتادت منها هذا الاستقبال الحافل . وأكدت حنان لأمها أنها بخير ، وجهها مُنَوَّر ، وتحسدها على شعرها الناعم الأسود . بالعافية تعثر فيه على واحدة بيضاء ، وانطلقت تتكلم عن جمالها الذى تهافت عليه الرجال حتى ظفر به والدها . وتقبلت فى أمومة وارفة معابثات ابنتها وأكدت أن الصبغة لم تعرف الطريق إلى رأسها وهى التى افسدت شعر البنات ، ثم تركت الحديث عن نفسها وأخذت تسأل عن أحوال حازم وابنها ومتى يعود الولد من الأقصر .

بعد غداءٍ شهى جاءالدور على حنان كى تسأل عن بعض الأمور . بدأت بأفراد العائلة . الخالات وأولاد الخالات ، ثم الجيران أجابت الأم بأن الرجُل خَفَّت عن زيارتها وعللت ذلك بأن الدنيا تلاهٍ . سكتت لحظات وعادت تقول إن الأستاذ هانى هو الوحيد الذى يزورها ولا يتأخر عن قضاء مصالحها من مرافقة للطبيب ، وشراء الدواء إلى الإبلاغ عن أنبوبة البوتاجاز . وأخذت تترحم على والدته - الجارة الطيبة - وعِشرة السنين دون أن تشوب هذه العشرة أى كدرة أو منغصات تحدث عادة بين الجيران .

لم تستطع حنان أن تقاوم رعدة هزتها من الداخل ، ونقلها كلام أمها إلى ذكرياتها معه . الشباك قدام الشباك ، والشرفة قرب الشرفة . كانا يختلسان النظر خلف الشيش فى مرحلة من العمر ، ذاقت معه حصرم الحب وهما يتلاغيان بشفرة اللمبات الكهربائية بإشارات متفق عليها . حبس حبه لها فى صدره كنبات الظل ثم أخذت العلاقة فى الجامعةشكلاً آخر تسمعت دبيب الذكريات تنقر إحساسها وتقطر رحيقها بين شفتيها .

فرحت عينيها وهى تتذكر خطاباً عاطفياً أخفاه فى كراسة محاضراتها ذات يوم . ترددت فى الرد عليه ، ولم يغب عن بالها أنها أمسكت بالقلم والورق غير مرة بعد أن أغلقت على نفسها باب الحجرة وحارت كيف تبدأ الرسالة . أخى ! . عزيزى ! . حبى ! ...وعندما استقر عزمها على الأخيرة تجمدت أصابعها فى أول حرف رغم ذلك وصله الرد فى ارتعاشات الجفون ، ولمْس الأنامل فى الكف المضطربة وتضام الراحتين فى وصلة صمت معبر .

هزتها أمها كى تخرج عن صمتها ، وأخبرتها بوجود بُنّ محوج وطازة أحضره الأستاذ هانى عند آخر زيارة من يومين ... مرة أخرى تأتى سيرة هانى ، وسألت دون إرادة عما إذا كان قد تزوج . دققت الأم النظر فى عينى بنتها ثم أجابت بالنفى . بانت على حنان الرغبة فى مزيد من المعلومات ، وبدهاء العجائز أجابت بأنه سيزورها بعد المغرب ، ويمكنها أن توجه إليه الأسئلة التى تريدها . وأمسكت حنان عن الاستطراد بعدما أحست بحرج شديد .

أشياء غريبة تتحرك فى أعماقها ، وأصوات خافتة تهمس فى أذنها بلقاءات الشباك والشرفة ، وبلغة لمبات الكهرباء أقرب إلى تلك التى تتنادى بها الطيور المهاجرة لتبدأ رحلتها الموعودة إلى مناطق الدفء وحاولت الابتعاد بعواطفها كأنما تتخلص من متاع قديم أو انقاض هَدْ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هرعت إلى حجرتها ، فتحت الدولاب القديم وأخرجت علبة صغيرة من القطيفة الحمراء ضمت بداخلها الرسالة مطوية . لم تزل على حالها تحمل عِطر الأيام الجميلة ، وتساقط أمام عينيها غلافها الهش .

رفع الماضى سَبَّابته يعلن من طرف الأنملة حقه فى التنفس . عندما نادت عليها أمها لتشاركها الشاى دست الخطاب فى العلبة القطيفة ، وأغلقت عليه الدولاب ، واحتفظت بالمفتاح .

مع رشفات الشاى بالنعناع سرحت طويلا فى تلك الأيام ، ثم توصلت بمزيد من الهدوء إلى عثورها على منطقة بداخلها حولها أسوار عالية ، وفوقها الأسلاك الشائكة ، ولا فتة بحظر الاقتراب والتصوير . إرتعشت يدها بفنجان الشاى وهى ترى نفسها عاجزة عن التخلص من الخطاب . نصب تذكارى آخر فى أسرتها الصغيرة وإن كان بعيدا عن بيتها ....

غابت بعيدا عن أمها ، وعقلها يومض بإشارات خضراء تفتح أمامها الطريق . تخيلت مجموعة الخطابات مجرد أوراق وَرْد جافة فقدت رائحتها لم يَجِد زوجها لديه الوقت ليقذف بها فى صندوق القمامة . نَشارة خشب فى زاوية مهملة بأحد أدراج المكتب ثم راحت تلوم نفسها أنها نسيت رحلة الأيام الثلاثة فى حضن النيل . ولم تمض عليها أسابيع ، فقد فاجأها ببرنامج الرحلة ، وضمهما الفندق العائم بين الأقصر وأسوان . فى الليل طال السهر مع المغنية الزنجية « تاتا موسكرى » وصوتها الدافىء يهمس :

. تسالنى عن معنى الحب .
.اذهب واقرا قصة زهور مارى آن .
.سوف ترى ان حبُنا لاتعرفه الكلمات .
.لأنه خلق قبل الحروف .

ومع ألق اللحظة وومضها تذكرت الدكتور حازم وهو يسوى خصلات شعرها ويتأمل عينيها وقد أثقلت الجفون مقدمات النعاس .

قالت حنان هامسة فى انتشاء :

ـــ اختش . الناس يبصّون علينا .
ـــ لقد قرات قصة الزهور فى عينيك يا زوجتى العزيزة .

أفاقت من غيبوبتها . لم تكمل فنجان الشاى مع أمها وقامت تستعد للعودة إلى البيت ، والأم فى عجب لهذا التغيير المباغت ، لكن أسعدها أن ترى ابنتها وهى تنشر العطر المفضل عند زوجها وراء أذنيها ، ثم تودّعها بضحكة خفيفة تعرفها عنها منذ كانت طفلة صغيرة بعد أن تعثر على دُميتها الضائعة ...

القاهرة : عزت نجم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

دنيـا المخلوقـات الرائعـــة

فـــؤاد قنـــديـل

(١)

بكل جوارحى ولهفتى تأملته مخلوقاً رائعاً كان .. يداه لا تكفان عن ضرب الهواء وهو لايزال ابن سبعة أشهر .. لم يشف غليله ضرب الهواء .. جاهد حتى تعلق بأعمدة السرير .. لكنه وقع وانطرح فى فرشته .. بان عليه الغضب .. ضرب الهواء لاعناً عجزه ، وانا اداعبه بأصابعى وشفتى ولسانى .. أستفزه ليعاود المحاولة .

ناضل من جديد حتى تعلق بأعمدة السرير لكنه وقع .. حاول مرة ثالثة ولما أحس انه سيفشل أصر على البقاء ممسكاً بأسياخ الحديد ، ولم يسمح لجسمه بالسقوط ، منتظراً ان يحل أحد هذه المشكلة .

مع صعوبة الحفاظ على موقعه المُهدَّد فى منتصف المسافة بين الوقوف والسقوط بدأت ملامحه تكتسى حمرة قانية ثم تحولت إلى زرقة .. استعدَّت اصابعه للإفلات ، وفتح الفم القرمزى الجميل ، علَّه يشارك فى عملية الإنقاذ .

مددت له يدى وحملته فابتسم ومضيت به إلى الخارج .. نزلت السلالم الجانبية إلى الحديقة .. تأملته فى النور والهواء وتحت قبة السماء .

ابقيت راسه فى مستوى راسى ووجهه فى مواجهة وجهى .. فتحت عينى إلى أقصى اتساعهما فابتسم ، ادرك انى العب .. قبَّلتـه فى شفتيه ، اعـذب ما خلق الله وابـدع .. دلَّكت انفه الصغـير بـأنفى .. نطحتـه فتبـرَّم .. نطحتـه من جديـد فنطحنى .. نطحته فظل ينطح وقد اعجبته اللعبة .

سافرت قبل ولادته بأسابيع .. كان لا بـد أن أسافـر .. لكنى لم أشعر بتعاسة الغربة إلا فى هذه الشهور ، ولم أشعر بالشوق إلى وطنى وأهلى كما شعرت به هذه المرة .

شوق مجنون ولهفة يومية رغم ان كل الأخبار كانت تبلغنى فى مواعيد مناسبة .. شغل هذا الولد كل فكرى قبل أن أراه .. ما طوله الآن ؟ .. ما عرضه ؟ .. ما وزنه ؟ ما شكله ؟ هل يأكل جيداً ؟ هل يتعرض للبرد ؟ لابد أن تحافظ أمه عليه .. الجو يتقلب بسـرعة .. الميكـروبات .. أقـاربنا سينقضـون عليه بالقبلات .. اللفائف .. الأتربة فى كل مكان وفى كل يد .. وربما تأخرت أمه فى العمل .. وجدَّتُه سيدة عجوز تحكى الرسائل فيما تحكى أن أخواله وخالاته مولعون به ولا يبرحون الدار إلا بعد أن ينام .

كانت أمه تراقبنا من شباك المطبخ . دغدغت جنبيه فتلوى وضحك . رأيت السنتين تضيئان عتبة حلقه الأحمر وتشاركان فى الضحك الجميل

سألته : كمان ؟

أومأ برأسه موافقا .. دغدغت له جنبيه فتلـوى وضحك وتألقت فى وجهه بهجة الحياة ..

أشرت له بأصبعى على العصفورة الملونة التى تصوصو « على العنبة » رآها وهى تطير . أشرت إلى الزهـور الكثيرة

التى أشرقت فوق أعناق الشجر والحديقة التى تغنى للجمال .
قالت أمه : أصبح لك ولد .. وسقطت من فك أمى سنة
قلت معابثا : ليتها ترميها للشمس وتقول لهـا : خذى سنـة ال ..
أسرعت تقول حتى لا أكمل : عيب عليك .. هى التى تقـوم وحدها على خدمة ابنك
أسندته إلى شجرة ، فتشبث بها .. رجعت إلى الخلف ومددت إليه يدى وأنا اقول : حبا حبا .. مين يجينى .
أحس بضياعه فاضطرب .. كررت قولى مشجعا :
ـ حباحبا .. مين يجينى
تجرأ وابتعد عن الشجرة خطوات ثم وقع
حملته ورفعته إلى أعلى ثم قذفته .. فتح عينيه وفغرفاه رعبا .. حاول أن يمسك بأى شىء .. اندفع هابطا إلى حضنى .. حاول أن ينفذ إلى صدرى هربا من المأزق الذى كـان فيه .. كنت سعيدا لأنه لم يبك
سألته : كمان ؟

لم يرد وتشبثت قبضتاه بملابسى .. لاعبته من جديد ، ثم أطلقته فى الفضاء .. تولته رِعدة عنيفة .. لم يتصور أنه يمكن أن يبتعد عنا ... سقط فى حضنى معلناً غضبه .. أنزلته إلى الأرض ، ثم حملته وقذفته بقوة إلى الفضاء أعلى من كل مرة ..

تجلت أمارات الرعب على ملامحه وهو يرى نفسه أعلى من الجميع .. تصور أنه لن يجدنى فى استقباله ، ودارت حدقتاه فى كل شىء قبل أن يهبط .. أحس بالخطر الأكيد والنهاية التى لا يعرف عنها شيئاً .. كيف أحس بهزة النهاية المجهـولة ؟ ولماذا يخاف بُعده عن الأرض ؟ .. هل تصوَّر أنه خـرج من نطـاق الجاذبيـة ؟ وهل يـدرى شيئاً عن المصـير الإنسانى المبهم ؟ .

ضممته إلى صدرى بشدة .. أجلسته فى حِجْرى استمتعت بملمسه اللذيذ .. تأملت عـذوبة نظـراته وشـردت معها .. براءتها .. تأملت وسامته .. إرادته .. رغبته الملحة لممارسة الحياة وتحمسه للقاء كل ما فيها واكتشافه .. حرصه الدائم على الأتفوته حركة أو همسة .

لاحظته وهو يتابع باهتمام طيران الذبـابة وخطـو القطة ونقيق الدجاج وعبث البط فى أوانى الميـاه وعراك الـديكة ، وحالة الانبهار الشديد والتحفز عندما نفتح التليفزيون ، وحبّه للصحف التى يستمتع بتمزيقها بيديه ورجليه وفمـه .. أما الراديو فلا يزال الشىء الوحيد الذى يغيظه ويُسْلِمُـه لحيرة رهيبة متسائلاً ولابد عن مصدر الأصوات التى تتحـدث فى الحجرة حين تكون خالية من أى إنسان .

طفلى الأول .. مخلوقى الرائع .. تكمن فيه عصارة قلبى وأعصابى وعصبية أبى وهدوء أمى وغطرسة جدى .

.. سَرَت رائحته فى كـل كيانى وكـأنها المطـر أو قطرات الندى .. رائحة من النقاء والطهر لا توصف .. أمسكت رجله من ركبته فبدت قدمه وساقه كالشاكـوش .. ضربت بكعبـه رأسى عدة مرات فارتج جسده كله من الفرح والدهشة للعبة الجديدة .

قالت أمه بحدة حنون : هات الولد .. ستُربى له العصبى .

كانت جدته قد انتهت من صلاتها ، وشرعت تُعِدُّ عروسةً من الورقِ وإبرة .. قالت أمه : تصور أنها تزقيه كل يوم .

رَقَتْه جدته من كل العيون التى رأته ولم تصلِّ على النبى .. أحصت كـل العيون ، وكلمـا ذكرت عينـا ثقبت العـروسـة بالإبره .

أخيراً أشعلت النار فى العروسة الورق ووضعتها فى الماء .. القمته أمه ثديها فتشبث به ودس رأسه فى صدرها ، وسرعان ما أسلمه الدفء والشبع وكثرة الشغب إلى النوم المطمئن .

(٢)

بعد أيام اشتقت أن الاعبه ، أو العب به وهـذه أفضل حالاتى وأسعد أوقاتى .. لحظات الفرح العظيم حين تنبـع الضحكة من أظافر القدم وتمرّ على كل عظامى وتسرى فى كل عـروقى .. ساعتهـا أكون أنـا الحقيقى ولكن بدون العقـل والخبرات المكدسة والمرايا التعسة .. أقترب منه روحاً وقلباً .

رَفَعْتُه إلى أعلى ومددت ذراعىَّ إلى آخرهما .. هَبطْتُ به ، وفجأه قذفته إلى السماء ..

ارتفع وظل يـرتفع دون أن تخلـو ملامحـه من الرعب ، وحدقتاه توزعان النظرات المرتجفة والأسئلة على كل شىء ..

ابتعد ولكنى كنت أراه .. تبعته وأنا متوجس خشيـة أن يمضى بعيداً أو تصعب على رؤيته ، عيناى عليه وهو يرفرف بيديه ، بدت ملامح وجهه بلا علامات تحدد مشاعره ، ولكنه حين رآنى وهو يهبط خارج المدينة عند أول الطريق السريع برقت عيناه وأشرق وجهه بالطمأنينة .

اندفع نحـوى بسرعـة فتلقفته بـين أحضانى ، وتشبث بأظافره فى قميصه .. ضممته بقوة إلى صدرى .. أحس قلبى بارتجاف الدم فى عروقه ، ودقات نبض قلبه المنتفض .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٣)

فى عيد ميلاده السابع أو العاشر لا أذكر .. قلت له :

– هل تحب أن ترتفع ؟

ضحك وقال : فات أوان ذلك .

قلت وأنا أمرر كفى تحت إبطيه .

– سيظل هذا دائماً .

رفعته وأبقيته قبالتى لحظات لآخذ نفساً عميقاً .. جَمَعْتُ قوتى وأطلقته للسماء .

ارتفع ولوَّح بيده .. حلَّق كطائرة من ورق وأمه تمنع صراخها ، وهى تهتز على حبل مشدود بين السعادة والخوف .

كانت نظراته تطوف بالكون الرحيب . برقت فى عينيه الدهشة لرؤية الدنيا العامرة .. كل هذه العمارات .. كل هذه المزروعات .. كل هذه الأرض .. كل هذا الدخان والضجيج .. كل هذه المخلوقات من إنسان وحيوان .

ابتعد وتضاءل .. توقف عن التلويح .. اتسعت عيناه ، وكبر رأسه .. لم نعد نرى إلا قطعة من قلوبنا حائرة فى الفضاء اللا نهائى .. أخذت سيارتى وتبعته .. خشيت أن يغيب تماماً .. كان يمضى صوب الشمال . الشمال دائماً .. ظل يعلو ويبتعد إلى أن أصبح ضئيلاً جداً .

نزلت من السيارة لأرى بوضوح .. دق قلبى بعنف .. أنا الذى قذفته ... لقد بدأت المسألة كلعبة .. كان صعباً ألاَّ أراه مبتهجاً .. لم يكن فى الحسبان أن تتحول اللعبة البسيطة إلى مشكلة تسبب القلق ، ولكنه الخوف دائماً .. الخوف هو الذى يدفعنا إلى كل فعل ، وهو الذى يمنعنا من كل فعل .. اللعنة على كل شىء إذا لم يعد ولدى .

فكرت فى أمه . إنها لن تغفر لى إذا فقدته بل إنها ستفكر فى التخلص منى ومن نفسها ..

ولكن ما الداعى للقلق . الجاذبية الأرضية أقوى من كل جاذبية . سيرتد حتماً إلينا .. ولم أعد أراه .. هذه هى المشكلة .. سلَّمت أمرى لصاحب الأمر .. نكست رأسى وأغمضت عينى لأريحهما من شدة التحديق فى السماء المشتعلة بالنور .. ثم عدت أبحث عنه فى فضاء لا يعرف الحدود .. لمحته وهو يكبر ويكبر ، وهذا يعنى أنه فى الطريق إلىَّ .. كان لا يزال يتوجه إلى الشمال .. تبعته وعيناى من داخل السيارة لا تغفلان عنه لحظة ..

أصبح فى ارتفاع عمارة من عشرة أدوار وأنا أتقافز من فرط سعادتى .. أخرجت ذراعى من السيارة ولوَّحت له .. لم يبد عليه أنه رآنى .. أضأت الأنوار وأطفأتها عدة مرات .. لم يبدُ عليه أنه رأى الأضواء .. عُدت الوِّح له حتى رآنى فتهلل .. لوَّح لى بثقة واندفع بسرعة .. كان إذن يبحث عنى .

خرجت إليه لأستقبله . كان فى الثوانى الأخيرة يهبط رأسياً .. ظل يتلفت ويُحدِّق فى كل شىء غير عابىء بدنوه المتعجل من الأرض .

أخيراً هبط على صدرى .. وقعت به . انثنت ذراعى تحتى ، وتحطمت نظارتى .. لكن ذلك لم يكن يساوى شيئاً على الإطلاق .. كان المهم رجوعه إلى سعيداً وثقيلاً . ما أروع هذا المخلوق .. إنه أسطورة حياتى .. سوف أتحدث إلى أمه لتنجب غيره لأنه يقتلنى إذا ابتعد ويرفعنى إلى السماء إذا ابتسم ..

ووقوعه الآن فوقى منحة إلهية .. كم هو ذكى ووسيم ومتألق كالشمس ! ضَمَّنى إليه .. كانت عظامه متماسكة وصلبة .. قال ونحن ندخل السيارة .

– هل آذيتك ؟

قلت له على الفور :

– لا تشغل بالك . هل استمتعت ؟

قال وهو يغلق بابه : نعم .

ونحن عائدان حذرته من شمس الصيف والبحر والزحام .. وحذرته من الليل والأصحاب والحشيش وحذرته من النساء والحب المبكر .. حذرته من الأحلام والهموم وسورة الغضب .. ثَبَّتُّ بين حنايا أضالعه وصاياى الحميمة .

(٤)

فى عيد ميلاده العشرين أو الخامس والعشرين لا أذكر .. صممت أن أرفعه إلى السماء برغم رفضه الشديد .

قال :

– لم يعد فى السماء ما يغرينى

قلت : وهل أرفعك إلى السماء لتجد ما يغريك ؟

سألنى : لماذا إذن ترفعنى إليها ؟

قلت : فى ذلك سعادة لنا جميعاً .

قال بحدة : لك وحدك

انفجر الذعر بقلبى ولفنى بسرعة صمت كالشوك .. عاودتنى نوبة الكحة التى أدمنتنى منذ سنوات مع نزلة برد عاتية .. لكنى صممت أن أرفعه .

لَمَحْتُ أمه تهمس فى أذنه ببضع كلمات .. دنا منى وقال بحسم :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- آخر مرة .

انتشيت لتنفيذ رغبتى .. فهذا يعنى أنى مازلت فى البيت صاحب كلمة .. قلت : موافق .

وقف أمامى معتدلاً كتلميذ أمام المعلم .. كان أطول منى.. خامرنى شعور خاطف بالندم .. تأكد لى أنى لن أستطيع حمله .. أدرك بسرعة حساسية الموقف ، فثنى ركبتيه وهبط إلى الأرض .. بسط ذراعيه إلى أن أدخلت يدى تحت إبطيه ثم أعادهما .. سَحَبْتُ نَفَساً عميقاً وجمعت الباقى من قوتى .. نَبَّهْتُ كل أعصابى التى تسكنها السنين الصدئة .

هممت برفعه عن الأرض .. أوشكت أن الوم نفسى على عنادى لكنى رفعته .. نعم رفعته عن الأرض أكثر من نصف متر ولم يلمسها حتى بعد أن بسط ساقيه تماماً .

ولابد أن أعترف بأن تصميمى فى البداية ما كان إلا اختباراً لى .

وفى المرحلة التالية كان علىَّ أن أطلب العون من الله ، وقذفت الولد فانطلق عالياً كالسهم الذى انطلق عازماً على ألاَّ يعود .

رقص قلبى وتمتعت روحى بالمجد الذى بلغته .. سعيدٌ أنا اليوم بكل شىء .. واولاً بنفسى .. ها هو ذا يبتعد دون أن يُلوِّح لنا .. لم يساوره أى خوف . لم يتلفت حواليه ولم يعبأ بشىء .

فجأه نبتت له فى الجنبين أجنحة ، وسرعان ما ابتعد وتضاءل .

ركبت سيارتى وأسرعت فى أعقابه .. كان يتجه صوب الشمال .. ظل على ذلك فترة .. لكنه انحرف جهة اليمين قليلاً نحو الشرق .. تبعته إلى أن تصورت أنى لا أراه .. توقفت ومسحت النظّارات .. بَحثْتُ عنه من جديد فلم أعثر له على أثر .

نزلت من السيارة وتطلعت من جديد .. الفيته يعود إلى الشمال .. تبعته .. الوقت طال والمسافة امتدت .. أمه الآن فى قلق .. مالذى ينوى عمله . أَصْبَحَت له أجنحة يتقلب بها فى السماء شرقاً وغرباً .. شمالاً وجنوباً . تبعته .. وصلنا إلى رشيد . آه البحر أمامى . سماء ثانية على الأرض تمتد حتى يوم القيامة .

لا يزال الولد طائراً فوق الموج الوحشى .. بانت على ملامحه الدهشة حين وقعت عيناه على قاع البحر وبهرته أعماقه التى ترقص رقصتها الغامضة .

مضى صوب الشمال متوارياً بين رفوف الغيم الأبيض وظل بعد رحيل الغيم سادراً فى البعاد .

- يا ولدى .. عُد يا ولدى .

بعثر الصوت المنهوك اصداءه فى الفضاء . كان الأفق الأزرق الذى يمتد حتى يعانق سطح الماء المبهم خالياً من أى علامة ، وصل القطار فيما يبدو إلى محطة الغياب . محطة الفراق الأبدى . دُرْت حول نفسى وناديت بجنون وهوس .. ناديت .. مع كل نداء أرسم جزءاً من صورة . حتى تجلت أخيراً مأساتى .. جلست على الشاطىء . كل ما حولى غريب يوحى بالضياع والذُهول .

- غير معقول .. هل ذهب ؟ ماذا أقول لها .. ماذا أقول لى ؟

تلفت حولى .. لم يكن غير الصمت القاسى والسماء تجثم فوق البحر والخلاء . لا أثر هناك لمخلوق .. إنس أو جن .. رحلت كل الأشياء .. من عينى فَرَّت دمعتان .. انحدرتا ببطء إلى صدرى .. ثم انسابتا إلى البحر الكبير . ابتلعهما الموج العاصف .

انكسر قلبى فانهمر من عينى الدمع كله .. مضى إلى البحر مستسلماً لنهايته الوحيدة . كان الدمع قانياً كالدم وثقيلاً كالزيت . لم أجد قدرة على الانزعاج أو الدهشة ، ولم تكن نفسى مستعدة حتى للأسى .

سرى الخدر فى كيانى وتهاوى جسدى على الأرض كبيت من رمال .. رق وانتشر كبقعة من الماء المالح جاءتنى الشمس .. ألهبتنى بحرارتها فتبخر مائى وبقيت فقط ذرات من الملح .. جفَّت وهشت .. طاردتها الريح من مكان إلى مكان ثم إلى لا مكان .

القاهرة : فؤاد قنديل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

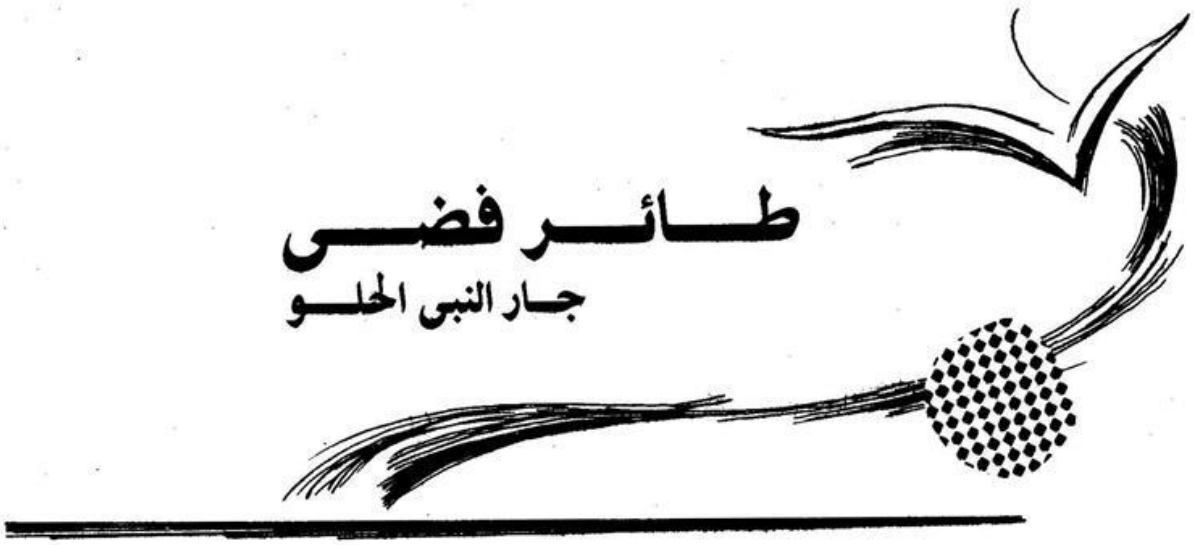

طـــائـــر فضـــى
جـــار النبى الحلـــو

لقيتها فوق جسر على نهر ، فأخذتنى فى دفء قلبها الراجف وجرت من رياح توقعتْها حين رأت وجه النهر عكراً وهادراً . قبل أن أتحقق من ملمح العينين والشفتين دخلنا بين جموع الناس الذين تحدثوا بلهجات عدة ولغات مختلفة . هالنى تعدد الأزياء . اختلط علىّ العصر الذى أعيش فيه ، فأمسكت بيدها النحيفة مقلمة الأظافر ، بهـا رعشة بـاردة ، أطبقت بقوة ، وانفلتنا إلى جسر آخر . ابتسمتْ ، لمعت نظـارتها فضحكت عيناها ، فتحتْ معطفها فانتفض صدرها حياة ، وتنفسنا هواء النهر . انعكست عيونهـا فى الشمس فضوت الشمس بلـون لا أعرفه ، غير أنى رأيت شعرها الأسود المحمّر أكثر احمراراً كأنه خلق وحيد . ثم سألتنى فجـأة : ما اسمـك ؟ أخذتنى اللحظة فى دهشة إذ اكتشفتُ أن كلينا لم ير الآخر من قبل ، قلت لها : لكن كل منا يعرف الآخر ! أطبقت بيديها الباردتين على وجهى النحيف الساخن . قالت : لست آخر . فقلت لها : كنت فى حجرة فوق سطح أنعم بحياة واسعة ، أكتب قصصاً لا يقرؤها النقاد . قالت : لكن جدتك قـاسية . قلت : درجـات السلم كانت عاليـة وقلبى الطفل يفـرح بعنقود العنب ، ثم انقطعت عنى الحياة بدون وداع . أشارت إلى لوحـة كبيرة للشهيد . أكّدت : بديعة الألوان ! أضفتُ : ليست كاذبـة . سألتنى : ألا تحب المغامرة ؟ أجبت بأننى أخاف لأن القدر يترصدنى ، وأردفتُ : أعرف أن الحياة ستتركنى وترحل .. غير أنى لست راحلاً عنها . كادت تدمع . أخرجتْ مناديلها الورقية ، تبعثرت أرقام هواتفها . خلعت نظارتها فلم أر سوى عينين . قالت بهدهدة : ليست مغامرة حرب ، إنها مغـامرة تذوق الطعام . جلسنا تحت شجرة لا أعرف اسمها لها رائحة اللوز قالت : ما رأيك فى عينىّ ؟ لم أقل إنهما بديعتان ، وإننى بالتأكيد أعرف هذه البنت من زمن بعيد . وددت لو سألتها لماذا التقيت بها وكيف ؟ وما كنت أقصد غير أن أعبر من ضفة لأخرى عبر ذلك الجسر الذى لقيتها عليه .

قالت : أتعرف .. أنا كنت اسألك أسئلة هـامة تـاريخية وكنت أنت ترد عليها كأنك تحفظ الإجابات ، كنت تنظر أنت فى عينىّ أنا فأصبـت القلب ونسيت أنا الأسئلة ، وانهمرت فى البكاء . مددت يدى ، مسحت بعض الدموع .. ثم مكثت فى قلبى . لامست يدى وجهها بحنـان لا أعرفـه فىّ . همست : حنانيك . فتلمست قرطها الفضى ، تحت ذقنها دفء غامض ، وفى الرقبة عقد من الفضة وحول المعصمين تلألأت . أنا طفل هذه الفضة ، أحلم بالسباحـة فى مياههـا . قالت : ستـأكل الآن . كل أنواع الأكل التى أحضرت لم أعرفها فى حيـاتى المملة ، بمهل استسغت الطعم والرائحة ، ثم أعطت لى خرزة «السلوانة» نقعتْها تحت المطر ، وشربتُ من مائها . تبادلنـا مص الخرزة وأصبحنا أصدقاء .

كنا بأيام البرد . ترتدى معطفـاً وارتدى مـلابس ثقيلة . درجة الحرارة ٤ الحرب توقفت والقصائد لم تتوقف . كانت لم تصح بعد من نزلة البرد ، وكنت لم أصح بعد من هموم حياتى الثقيلة ، ومن السماء رهام يداعبنا فنخلع نظارتينا .

ارتدت فستاناً جديداً وجوربـاً ونام عـلى صدرهـا طائـر الفضة ، ارتديتُ بدلة جديدة ، حذاء جديداً ، جورباً جديداً وقميصاً جديداً . وكنا لا نعرف أننا سنلتقى . لما رأت الدنيا على هذه الحال تنفست الصعداء ، قالت بفرح من هرب من قبضة أبيه : يمكننا الآن أن ننزل المدينة . ونزلنا .

فى البداية ارتعشت كطفل خائف . فى زحمة السوق تسرب إلىّ الدفء ، رفعتُ رأسى للفسيفساء العربية ، لكنها جرتنى من يدى ودخلنا المحلات لنتفرج على صورنا المعكوسة فى المرايا تبص علىّ وأبص عليها . هل يمكن أن نظل أصدقاء ؟ إننا أصدقاء من زمان . وضوت الفضة بابتسامة جذلة . مشينا فى السوق ذى البنايات العالية الذى يحاكى التاريخ القديم . وحين انعطفنا بالكاد سمعتُ صرختها الهلعة ، قبضتُ على كتفها ، شددتها إلىّ . تحولت إلى طفلة مذعورة فأخذتها فى حضنى . أشارت قائلة : ها هم . نظرتُ لم أر أحداً . رددت بصعوبة بالغة : ها هم . لم أر سوى مدية تضوى فى زحام السوق بين السيقان والأرجل والسراويل والجلابيب والازدحام تضوى وتنطفىء . انحرفنا ودخلنا مشرباً . شربنا القهوة باللبن بدون سكر ، حكيت لها عن أطفال أعرفهم ولا أعرفهم ، وظللت أحكى عن يد طفل صغير رقيقة رقيقة . دفأت يدها وتدفأ صدرها وتدفأ قلبى وغنت مطربة الشام التى لا تعيش فى الشام أغنيات متوالية ، غنينا بشجاعة كالجنود أغنياتنا العاطفية بحماس الأناشيد حتى انتهينا لمكان منعزل عن كل القارات . خلعتُ جوربها وقلبها ، وخلعتُ خوفى . أسندت وجهها بين يديها وحدثتنى عن الأبواب المغلقة والواحد الذى يقيم عليهن خوفاً وصمتاً . وحط الليل بكل ثقله وارتجفنا .

أبلج الصبح فجلسنا فى المشرب الزجاجى ، جلسنا بجوار الجدار الزجاجى ، لم أشاهد أى شىء من خلاله لأننى كنت مشغولاً بها . فى لحظة ما مر شخص لم ينظر إلينا ، لم يكن بيده مدية غير أنى ارتبت فى أمره وعندما تابعت من فى المشرب رأيتهن كلهن نساء وينهنهن . تسحبنا وخرجنا . اكتشفت فيما بعد أن المشرب لم يذع أى أغنية ، وأن الطقس مال للدفء وأن الماشين رموا بمعاطفهم على الطوار فدخلنا فى الليل .

قلت لها ساعات وسأرحل . قالت : لا تتكلم عن الوداع ، ولتكن الساعات سنواتٍ بلا أعياد ميلاد بلا أجراس بلا زمن ، ونحن لا نحب «بابا نويل» . أعطيت لها بطاقة تهنئة لكل الأعوام القادمة على ورقة من بردى تضيئها ألوان عديدة وزهرة حمراء لم يلحظها سواى . واتفقنا . سألتنى أنا الغريب عن قارتها وماذا أبغى من بلاد غريبة ؟ قلت أنفاسك تكفينى ، رنوة واحدة من عينيك ، انعكاس فضتك ستحط فى القلب طائراً من الفضة لن يبرحه . عصرت يديها بيدين قاسيتين حانيتين . قالت : أنت طيب . فى المدينة الجديدة كانت الأشجار واقفة ، والهواء بارداً والبنايات عالية والشوارع خالية . كنا وحيدين سعيدين نبحث عن مكان . سألتنى هل يمكننى أن أعبر البحر ؟ قلت نعم . أن أعبر السماء ؟ قلت نعم . قالت بسخرية : أنت لا تعرف مشاكل جوازات السفر . نحن البنات ربطنا إلى شجرة زرعها أبى لتظلل علينا ، كلهن استمتعن بالظل ، لكننى كنت أتعذب ، ولم أعد أحب حتى ثمار هذه الشجرة ، وهم تحولوا إلى خوذات حرب أو جاهرين بالشعر الكاذب . هل تبادلنى العملة ؟ تبادلنا العملات . اختلطت هذه التى فوقها نسر ونخل وهرم وقادة . وجلسنا بجوار المتنبى نتكلم عن ماركيز . بينما المطر قد أغرقنا تماماً . وبينما الشوارع خالية جاء هو ركضا ركضا ركضا . انكمشتْ . وتمنيتُ لو يأتى إلىّ وتفرغ الحكاية . تحسست جواز سفرى وتذكرة العودة والطائر الفضى الذى حط فى قلبى ، وانتظرته تحت المطر وبالذات تحت سحابة سوداء ثقيلة . شعرت ببرودة النصل فأزحت كل المطر ، فردت ذراعى ، تشنجت أصابعى ، لكن صوت ركضه خفت وخفت . أمسكت بيدها الباردة . قالت : اختفى .. ألم أقل لك . تمتمتُ : لكننى لم أر المدية هذه المرة .

أخذتها فى دفئى . أخذتنى فى قدرتها الفائقة على نقل الحدث إلى نقيضه ، من نقل الزمن ، تمسح دمعتها لتضحك بصوت عال كأنها تشتاق للضحك . تربت علىّ وتقول : لا تخف ليس هنا رجال . دخلنا المشرب . فى الحقيقة بحثنا عن حل يحتوينا بلا جدوى ، بحثنا عن مكان بلا نوافذ عبثاً ، لأننا بالطبع لم نكن الوحيدين فى هذا البلد ونحن نشقى فى هذا البلد ، علينا أن نفرح باحتراس وإلا يتحول الشجن إلى غضب . شربنا القهوة فى المشرب الخالى ، فرحتُ بالمكان الخالى ، هى خافت وظنت أنه مصيدة . جاء النادل ، قدم لنا القهوة التى شربناها فيما بعد فى ساعات طويلة .

لا أعرف بالضبط متى طلعت الشمس ، فقد هزنى هاتف الفندق لننزل لنشاهد قمة الانتصار . هزنى الهاتف .. قم .. فقمت . أخطرنى الهاتف أن الساحة مزدحمة وأنهم يحملون الصور ، الهتاف لا يكف لحظة واحدة ، وأن مصير العالم سيتقرر فى لحظات وعلينا أن نقتنص اللحظة ، فهربت بلا إفطار . سألتها لماذا يتبعونك ؟ ردت بدهشة : لا يتبعوننى .. إنهم يتبعوننا . أدركت . سرنا فى بحر الأسفلت الواسع . لم تدركنا الهتافات . اخترقنا السوق الذى يشبه تماماً الأسواق القديمة فى الكتب القديمة ، وخرجت علينا روائح الزمن العربى . سطعت الشمس . درجة الحرارة ١٦ وأنا فى الشمس لا أخاف ولا أتوتر بل أفرح كطفل حتى لو داهمنى الموت . أكلنا فى الشارع وشربنا المرطبات فى الشارع وتبادلنا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

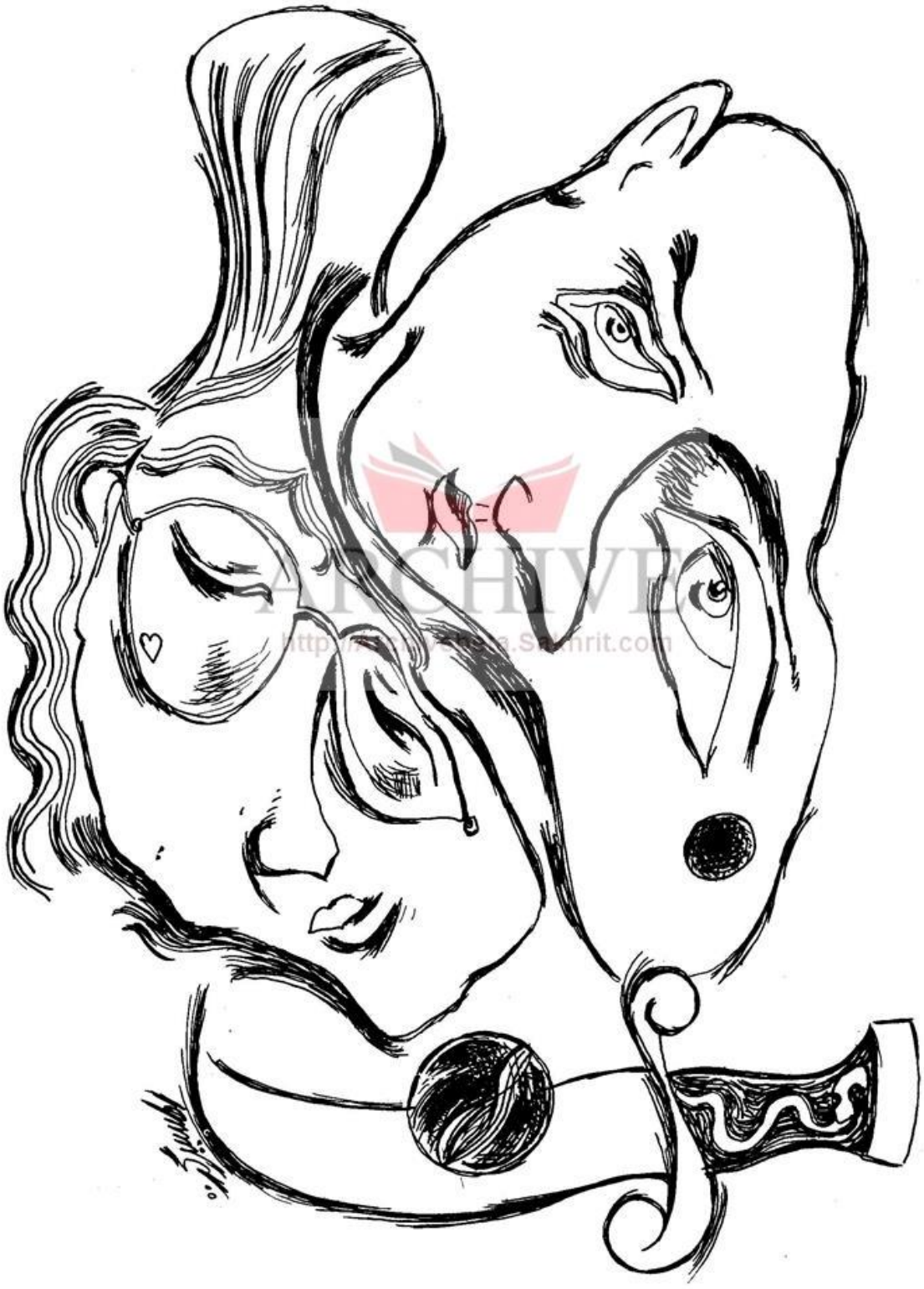

الأراء واتفقنا على أشياء محددة فى الشارع . قالت : تعال لأعرفك عليه . كان يجلس فى طبيته الموروثة . حين رآنى بش وجهه ، خرج من وراء الطاولة التى تحزم المكان ، احتضننى وقبلنى . قال إنه انتظرنى زمناً طويلاً وإنه حكى عنى لأبنائه جميعاً . أنا الذى لا أعرفه أحببته ، نظرت فى عينيها فرايته أنيساً وليس منهم . طلبنا الشاى والقهوة ، وعندما انتهينا من الترحاب وثرثرة الكلام الأول وجدتنى محاطاً بالتحف : الشمعدان القديم ، والأطباق المرسوم فوقها ، والأكواب ، والوجوه المحطمة ، والساعات القديمة كانت تدق الحاناً لا أعرفها بها نواح وشجن حتى إنى لما أصخت السمع كاد الشجن يبكينى . لف على ذراعى تعويذة من الفضة لتحمينى ، كانت من قبل قد دافعت عن الوطن على ذراع قائد . وإذا بها تحوطنى من وراء وتحوط رقبتى بقلادة من فضة اختلط عليها التاريخ : حمورابى يكتب قوانينه ، والفلاح الفصيح لا يطالب إلاّ بحماره وموحد القطرين كان يائساً . ركزت على ركبتيها ، قربت من عينى زجاجة ذات عنق طويل لها لون البنفسج ولها لون الرمان ، نزلتُ إلى الأرض ، ركزت أمامها فأضحى لون الزجاجة لون عينيها تهرج منها الصوت : ماذا ترى ؟ رأيت السفن فى بحار خضراء ، مناديل البكاء ، النخيل مقطوع الرؤوس ، والأطفال الذين أعرفهم طالعونى ، لوحوا لى بأيديهم يريدون رجوعى ، جذبونى من ياقة قميصى ، اهتزت نظارتى ، توترت ، قبلت أصغرهن ، لوحت لها بيد مرتعشة . قالت لى وأنفاسها تلفح الوجه .. ماذا رأيت ؟ رأيت عينيك . كان الرجل ودوداً . صاح : افتح يديك . وضع فيهما عملات لم أرها من قبل ، لكن عليها نفس الملوك الذين زوروا تاريخنا ونفس الأميرات اللاتى حكمن خيالاتنا قروناً طويلة ، الأرقام المقروءة وغير المقروءة . كان لبعض العملات رنين ، ولبعضها صوت يئن قهراً لأنهم حين اعتدوا علينا اعتدوا عليها ، ورمى أمامى بالخناجر المرصعة بالأحجار القديمة . لم يخفق قلبى إلا من مدية مهملة تلمع بحذر .

خرجنا ، فاجأنا الصيف فخلعنا ملابسنا الثقيلة . كانت بلوزتها شفافة من تحتها يظهر لون المشد وخطوطه المشدودة وملامح الجسد المنتشية ، فرحت بها كثيراً وضممتها حتى العرق . عندما بلغنا النخلة قالت أسترح . ركنت ظهرها للنخلة ، صنوان فى بهجتيهما ، نظرتُ إلى معجزتها البسيطة فى العينين والصمت . تابعت شهيقها وزفيرها ، صعود صدرها الدقيق برغبة جامحة للحياة ، هبوطه بفتور وقلق وآهة خافتة ، ظللت أرقبها حتى غفت .. ونامت . قمت وعدلت رأسها على وسادة من عشب وزهرة واحدة لها رائحة الياسمين . لم ترمش ، مددت رجليها ، شممت عطرها ، مسحت بيدى على شعرها الذى ارتجف ثم استكان ، مررت على صدرها وبطنها وساقيها ، وخلعت عنها الصندل طيب الرائحة ، ودعكت أصابع قدميها برفق ، ثم انزلقتُ ونمت برأسى على بطنها . رأيت السماء زرقاء . أطل وجه فارس قديم ، تمثال من نحاس أكله الصدأ بلا درع بلا رأس الحصان . جاء الصوت من بعيد يترنم : أى شىء فى العيد أهدى إليك .. يا ملاكى ؟ أى شىء .. ؟ يا ملاكى .. يا ملاكى فى العيد .. أى شىء .. أهدى .. إليك .. يا . ونمت .

كن حولى يلعبن فى سرور ، ثمة ضجيج . كنت مشتاقاً لأن أحدث البحر أحاديث خاصة ، يرمينني بلعبهن وعرائسهن وحلواهن ، أصبر على لأوائهن ، أفتح كتابى المغلق فأرى الحروف تنشد القواميس والجملة تشتاق التحقق . وهن تشابكن فى عراك . أخطف الصغرى ، أضمها لنفسى وفى قلبى شوق للبحر . وقعت الثمرة فوق رأسى . فتحت عينى فرايت ذات السماء وراية صغيرة ترفرف لكنها هاوية ناحية الأرض . كانت هى تتنفس بانتظام ، تخرج منها رائحة الصيف . خلعت حذائى . فككت زرار البلوزة الأول ، وتوسدت الصدر الساخن الذى انتفض ، وسمعتُ هدير البحر ثم تجسد صراخاً وبكاءً . همست للأذن المستسلمة فى فمى : لا تبكى يا صغيرتى العجوز ، وحين هم النوم أن يأخذنى سمعت فزعة للعشب وتخبطا فى سيقان الزروع . نهضتُ فرايته يختبىء . التقت عينانا لأول مرة ، قررت أن آكله . حافياً جريت ، وبأقصى ما أستطيع ، اصطدمت بالنخيل والشجر والحكايات المرهبة . قفزت من برك المياه ، آلمنى الحصى ، وكانوا يتناولون الغذاء على الحشائش بينهم تلك المرأة العارية ، قفزت من فوقهم مثيراً على رفاهتهم غباراً من كعبى قدمى ، قفز هو إلى النهر ولم يقب . لهثتُ . نزفت قدماى الحافيتان ، قلت من لى بسعف النخيل ، من لى بالعذراء ؟ جاء صوته من بعيد صافياً : جفنه علم الغزل .. ومن العشق ... وأنا أمسح عرقى أخذت لأننى تذكرت العينين مرة أخرى . أنا أعرف هذه العيون .

كانت نائمة تحلم بأنها تلعب بجوار شجرة الهال مع الأولاد ورغم حرارة الجو والعرق فرحة ، لم أكن رفيقها فى الحلم ، ثم أتت أمها ، أسلمتها بيدها الطيبة لأبيها ليضربها ويربطها بشجرة الهال . كانت نائمة وصندلها مازال تحت قدميها ، لها ملامح الفجر ، وملامح الشمال ، لها روح متفردة . تحت خدعة تنفسها المنتظم أعرف أنها ستنفجر بلا أمل فى لحظة سيشهدها التاريخ بدون احتشاد فى أى ساحة . عندما

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أسلمت نفسى للراحة وتأمل حاجبيها ، نهضت من نومها ، سألتنى : هل سافرت ؟ هل ركبت الطائرة ؟ خطفت منى جواز سفرى ، طالعت أختامه المدورة والمثلثة وتأشيرات الدخول والخروج ، كانت عصبية ، رمت نظارتها ، ووضعت كفاً على عين بألم . رجعتْ للخلف . وهى نائمة لم تكن سوى بعض الطيور قد حطت على رأسها وهدلت . طير حاول فقأ عينها ، رجوته ألا يفعل لأننى المسكين أحب هذه المسكينة التى سأتركها فى السماء . ابتسم الطير فى خبث ، تردد قليلاً ، قال : كنت أطمع فى حبة عينها . وشق قلبى واختفى .

مشينا حافيين على العشب الذى مسته الشمس فامتلك دفء الجسد . قالت إننا فى الربيع الآن . زينت رأسها بالزهور ، وفى الصدر تفتحت وردتان بأريج الياسمين . ورأيت نفسى صبياً ورأيت نفسى شاباً بدونها فانزعجت ، رأيتنى فى الأربعين ، عندما أصبحت فى الأربعين بحثت عن ظلى لأجلس فوقه أعد أيامى الباقية فى انتظار اللحظة الأخيرة حين يمد لى الموت يده فأظنه سينقذنى من تعاسة وحدتى فأسلم نفسى له . فى الأربعين وأنا أبحث عن ظلى لأمشى وراءه سألتنى هى ما اسمك ؟ كم عدد بناتك ؟ لماذا لا تموت فى عواصم العالم ؟ ما هو طعم القرنفل ؟

اكتشفتْ الخرزات الملونة التى تملأ جيوبى ، عرفتْ أننى أخبىء البنات فى صدرى ولكل بنت سأصنع حقيبة من الخرز الملون . سألتنى عن فلسطين فبكيت . غير أن الزمن أنصفنى وتحولت كل الدموع الخائبة إلى حجارة ، رأيت نفسى خارج ظلى والآن تخدعنى الدنيا بجمال لماع أخافه . غمزت لى كهرمانة بعين فتنة ، وحولها جرار الحكايات لا تنضب . فتحت كهرمانة بابها الزجاجى ، كانت لافتة «مغلق» تتأرجح . دخلنا . ابتسمت هى . بل ندت عنها آهة ما . ربما الفرح . ربما الخوف ـ أدخل أنا فى حماية ترحابك . لم أفتح عنوة ، إنما رويداً رويداً دخلت المكان . به دفء وراحة . دارت وقالت : مكانى . كان مفروشاً بالسجاجيد ، مضاءً بالقناديل ، مزدحماً بالتاريخ وأبهى الصور ، تحرسها العيون الخشبية ، والمدافع الخشبية وهذه الملابس تشيع البهجة ، والشعر كان مرسوماً ، ولما قرأت أول بيت اختفت .

بحثت عنها فلم أجدها . يا بنات عشيرتى أين هى ؟ كانت العروس العجوز ذات الضحكة المخيفة تنتصب فى منتصف المكان ، أحستْ بقلبى ينفطر حذرتنى : لا تحزن فهى كثيراً ما ستضيع منك ، ولا تفرح كثيراً حين تلقاها فى الأيام السبعة فلسوف يتلوها جدب طويل . غبت أمام العروس العجوز ، متى تلبس هى الفستان الأبيض وتكون خيولها بيضاء ، شموعها بيضاء . هاجمتنى الطائرات .. من على كل الأشياء تافهة الجبال والبحار والدول . لا قيمة ولا حجم . قلت للعجوز : أنا راجع . تركتها . قبل أن أخرج من المكان . قلت لنفسى المتألمة ينبغى أن أودعها كنت أكذب ، فقد بحثت عنها بحثاً مريراً تحت الملابس ، وفى أصص الورد ، ووراء الصور ، وفى التلفزيون ، وفى جرة من جرار كهرمانة . وعندما وجدتها جرت منى كطفلة فجريت وراءها .. جرت .. جريت . انفسح المكان فنزلت كل الشخوص الخشبية ترقص وتغنى ، التفوا حولنا بألوانها الزاهية ورائحة خشبهم العطرة ورائحة الزيوت ورائحة العطر ورائحة التراب . أحضروا الدفوف والطشت النحاسى وابريق المياه وسجادة الصوف . أخذت أنا الربابة وعزفت كيفما اتفق ، أخذتها منى وعزفت حزناً ما . دخل الحلقة أسد ، جرت كل الشخوص مذعورة ماعدا هى التى استسلمت للخوف وأنا الذى لا يخاف وأنا معها . ركزت على ركبتى طأطأ الأسد رأسه ، كان مصنوعاً من القماش ، لـه ملمس الحيوان . انظرى إن له عينى فتاة ، عيون مكحلة ، كأن البنت ستخرج توا لملاقاة الحبيب الذى لن تجده حيث الرحيل هو طريق الرجال . أقعى الأسد تحت رجليها ، أصيبت برعشة لم تفسرها ، ولافتة المكان «مغلق» وفجأة رأيت سيدة سمينة تلمع التحف الخشبية بتؤدة ، بيد مدربة تلقائية ، وبعينين التصقت بنا ، أشرت لها على السيدة السمينة . سألتها أن نشرب الشاى . قالت السيدة لا يوجد . قلت : قهوة . هزت رأسها بتحد : لا يوجد . وأضافت : إننى أراقب عقارب ساعتى المطفأة لأغلق المكان بعد عدة ساعات . شدت حقيبتها وشدتنى من يدى ، وفى لهثة قالت : هيا بنا . أنا هذه المرة الذى رأيت المدية بين ثديى السيدة السمينة . ظلت تشدنى حتى أخرجتنى من برد لتضعنى على حافة الربيع . هتفت : الدنيا ربيع . ولعلها غنت بكل ما حرمت من غناء . صوتها يشى بطفولة . رأيتنى شجرة مورقة مزهرة مثمرة قوية بين عشب وفراشات ، ورأيتها طائراً فضياً يحط علىّ كلما شاء ويطير فى فضائه كلما أراد .

تهمس أنت معى دائماً .. كنت هنا حين جاء .. كان يريد أن يخطفنى ، ولكنك كنت بيننا . أخذتها تحت ذراعى والزحام شديد . يتخبط بنا الأهل والغرباء ، رأيتهم يسرقون بعضهم ، ويسطون على أوراق الآخرين ، يبيعون سر الوطن ، ورحيقه ، ويدقون أجراس المزاد على آخر ما يملكون . احتميت بها ، أخذتها تحت ذراعى ، أخذت هى تفرجنى على صورها : هذه أنا وأنا طفلة . خبطنى الشيخ وتأفف . هذه أنا وأنا مراهقة . شممت عطرها ، نظرت لها ملياً . كان شعرها طويلاً فى

المراهقة وفى شفتيها شقاوة ما . تكاد تنفجر حياة . وهذه أنا وأنا جامعية . الشبه مختلف أيضاً ، وهذه أنا وأنا أنا . نظرت فى وجهها فوجدته مختلفاً أيضاً . خبطت فى صدرها سيدة عجوز ترتدى الملابس المزركشة المنمنمة . العجوز سبت ولعنت وبصقت . وهذه صورة قديمة لى وأخواتى . ثلاث بنات صغيرات و ... انزلتُ ذراعى . حملقت فى الصورة بدهشة . إننى أعرفهن ، رأيتهن من قبل ، يشبهن من لعبت معهن ونمت معهن . ساخت روحى لأن البنت الصغرى المرتدية فستاناً منقوشاً بالورد تمسك فى يدها اليسرى مدية لامعة ، ظاهرة ولا تبين . ضحكتها لم تكن صافية ، كانت تعد بشىء ما أخافه . خبط فىّ فاصطدمت ببندقيته ، وقعت منه القلنسوة ، لم اهتز ، لأننى كنت مرعوباً من نظرات البنت الصغرى الممسكة بالمدية . باصبع يرتعش حاولت الإشارة إليها . قالت هى أنا حين كنت فى العاشرة ، وهذا خنجر كنت ألهو به ، على مقبضه تمددت الأفعى بعين يا قوتة ، وكان هدية لأبى من بلاد اليمن .

تعبنا . جلسنا على الطوار لنشرب القهوة ، وارتحت لشمس الأصيل التى مسحت حدة الوجود . هدأتُ . تنفسنا على مهل ، رجعتُ برأسى للوراء . سألتْ : أتعبت ؟ أجبت : لا . قالت لنمش . فمشينا على مهل . قالت عندى سيارة ، لكنى أود أن نتعرف على العالم بأقدامنا . ثم أردفت : أنا الآن لا أخافهم .. هل تعرف أصبحت أخاف حين أذهب للبيت وللسرير .. معك لا أخاف . قلت : مع أن الطريق مغلق ومفتوح على السماء . مطت شفتها . تمتمت : هى ساعتنا الذهبية التى نعيش ، نسيتُ تماماً حكاية الصور . أمسكتها من يدها اليمنى فوجدت بكل إصبع خاتماً من خواتم الزواج . لم أدهش ولم يمسسنى الأذى ، فقط كنت سأسأل فقالت قبل السؤال : هذه مجرد تجارب ، وحين أنّتْ أصابعى الخمسة اكتشفتُ أنى خدعت كل هذه المرات ، وكانت الخواتم قد ضاقت على أصابعى فلم أستطع الخلاص منها .. انفعل وجهها وعقدت حاجبيها ، قالت بصوت حاد : لا تظن أنى تزوجت ، كما أننى لم أحب ، بحثت عنه فلم أجده ، وكانت النهايات مدهشة اما الموت فكان سجناً أو هرباً أو قتلاً . هب علينا الخريف ، واحتمينا بالسيارة ، تعرفت على ملامحها من جديد . طول قامتها ومحيط الخصر . انتهزنا يوماً مشمساً وشاهدنا الفراعنة وبقايا الحضارات المعروضة فى علب زجاجية ، ودخلت بها البناية الأثرية العالية حيث الأروقة خالية وفصول الدروس شامخة . نفساً لنفس أصبحنا . لا فرار منها . تمكن الطائر منى ، وصرختْ باسمى ، وخرج إخناتون من النقوش يتلو : أيها الخالق لبذرة الحياة فى النساء . مرت الثوانى منذ لقيتها على جسر كمئات الأعوام ومعرفة ملايين السنين ، وما غرس فى الروح من أنين . زعقتْ : يا حبيبى . كالتى تنادى فى البرية ، دثرتنى بردائها الوحيد ، وقفلت بابها علىّ تجفف عرقى سبع سنوات طوال . مرضتُ وحللت دمى فوجدتها فصيلتى . قالت لى العجوز إن عمرى قصير وإنها دم حياتى .

تفضى الطرقات الخالية إلى خلاء ، وما توهمته سكوناً قطعته أصوات لحيوانات شرسة . لم أشأ القول . وقفتْ ، بصت فى عينى ، وهمست بصوت لم يبرح قلبى حتى الآن : ستوحشنى .

للسيارة جنون خاص وظلمة ممتعة ، تتحول الكائنات لكائن واحد ونفس واحد ومصير واحد . لا أعرف أن بهذا البلد كل هذه المرتفعات والمنخفضات . أم أنه القلب منى كان ينتفض . لم أكن أعرف عذوبتها هذه ، ولا ضحكتها هذه . تكاد السيارة تطير فى السماء السوداء لترتطم بالمصابيح الصفر ، والموسيقى تهدر عالية . ماذا لو هوينا ؟ ماذا يضير الشاة بعد ذبحها ؟ . خلت الساحات والميادين ، بهتت الصور ، ولا يلمع فى الكون سوى لون أحمر شفاه ، وأصبح للحياة طعم الموت الجميل فأستسلمنا للسيارة التى تمضى وحدها من ظلمات لنور ، غير أنها شهقت عندما اصطدمت السيارة بالأرض ، وفتح الرجل الباب ، وطلبوا منى جواز السفر . مدت يدها هنيهة ، واختفت اختفاء نجمة واهنة وراء السحب . وهم أتموا معى الأجراءات بخشونة وفظاظة ، فتشوا جيوبى وصدرى ، انتزعوا كل ما ملكت روحى . رمونى فى طائرة واسعة خالية صامتة . ربطت حزامى . وكألم قديم عاودنى . أحسست بشىء ما فى ظهرى أو صدرى . مغمدة بعنف من زمن لا أدركه . عرفت ألمها ، عنت فوق السحاب ، وفى القلب نقر طائر الفضة نقرتين .. ثم فرد جناحيه ، ولم يطر .

المحلة الكبرى : جار النبى الحلو

الرقص والوشم

اعتدال عثمان

والقمر قدرناه منازل ، منزل من بينها يطل على بحر ومحيط وسواحل ، يستمد منها المخصب والماحل ، وتستصحب القاطن والراحل . تقف عليها جبال أطلس حارسة . حومات وزنقات تفضى إلى بعضها . ساحات فائحة بروائح البهارات والشاى الأخضر بالنعناع ، وعرق الكسكس وعطر الأركان ونسيم البحر المملح المحيط .

ساحة جامع الفنا . المرأة فى زيها الوطنى ملتفة بالبياض ، منقبة حتى الفم . عيونها مكحولة بالشوق العتيق . فى يديها أوراق اللعب .

« يا اللالة نشوف الحظ »

الفتيات فى أرديتهن اللازَوَرْديّة . الشعر خصل رفيعة مضفورة ، معقوصة على الجباه السمراء اللامعة ، ومنسدلة على جانبى الوجه . تضوى وتختفى فى حلكة الجدائل ، نجوم خرز عذرى ومحببات ودلايات فضية مستديرة ، تحتجز تحت الأكسدة الكابية برق القمر .

تدق طبول إفريقية شمالية ، ويعزف الوتر البربرى ، فإذا قرع السائل بسؤاله خزائن الصدور ، انفتحت أبوابها ، وانطلقت السنة الفتية القارعين بالنداء ، تجيبه تلبية الصبايا البدويات البربريات .

« واضرب على سر سر السر قفل حجى » .

تهتز الصدور الصبية دلالا وتدلها ودعوة . ترتعش حبات عقود الكهرمان الزعفران الذائب فى كريات فضة مموهة بنمنمة المينا ، مزججة بألوان البحر والزرع وذرات الرمال . حلقات التاريخ سلاسل متشابكة مغلقة على أسرارها الغائرة فى الزمن والبدن . تطوق الأعناق بلفات محكمة ، لاحتكاكها رنين كالأنين . تصطك أساور معاصم البنات السمر ، يرتجف منهن الجسد ، مقبلاً مدبراً مجذوباً برغبة العتق وكبح القيد الحلية . نجمة الصبح البربرية تتقد فى المنتصف بفص حجر الدم ، تتمايل على الصدور النافرة الشماء . أهلّة لا حصر لها، تركت وشمها على الجسم والروح وغابت فى الزمن .

يتقدم الفتى فارعاً ، عاقصاً يديه ، مخفياً فى طيات العباءة الفضفاضة وفى خزنة الصدر خنجرا . يعلو قرع الطبول .

« واضرب على السر ... »

تتقدم الصبية ، غصن بان مياس . تكشف وشم الأهلّة وتحجبه بغير كلام ، فكل خطاب حجاب إلا خطاب الوجد والوجدان .

ترنو وتغضى ، يرتعش منها الوشم ، يقول صامتاً ؛ خذنى بقوة .

الفتى ذاهل حائر مختلج .

« جهلت فأمعن لدى أسرارنا النظرا »

الوشم المحجوب المكشوف يتفصد بالنداء .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

دعوناك فأخبر كل من رآه وحققه ، وأمعن النظر فيه ودققه، إنه ختم على صدره ، وبات له رانياً على قلبه ، لا يفتح له باب ، ولا يبدو لسره لُباب . ولا ينبغى أن يقف على ذلك العلم المكنون ، المنظور منه والمستور ، إلا أصحابه الوارثون .

يفرد الفتى ساعديه . يظهر الخنجر ، معقود المقبض بعقدة الوصال المؤجل ، يتجه صوب الوشم القفل . يمتد من العقدة طرفا حبل المراودة ، يلتفان حول عنق الفتى من وراء .

يقصر طرف الحبل إذ تجذبه الكف اليمنى ، قابضة على الخنجر المشرع .

ينتفض بدن الصبية .

«هيهات هيهات لا كل فأطلبه »

تلقفت الخنجر اليد الأخرى . تجذب الحبل تجاهها ، فينجذب متوتراً .

تهم الصبية بالنكوص .

«لا وحقى طرف فى العلا ظهرا »

تخلط الأوراق بسرعة . تفردها كمروحة ، رموزها منكفئة إلى أسفل ، لا تبين . تمس يدى لأسحب منها ورقة . أحتار . يدها منقوشة بوشم الحناء ، صفراء حمراء ، قاتمة « الحنة يا الحنة ياقطر الندى » .

حين لامستنى تبادلنا الوشم وسر السر وقر فى صدرى .

أقول: فى الجهل حيرة ، وفى المعرفة حيرة .

على مقربة لاعب الثعابين ، ينفخ مزماره ، تطل راس حية الصلّ من المخلاة . السقّاء يدور بصلاصله . راس الحية ، وهج الحنة ، عين المرأة ، عين شمس مراكش الحمراء ، أحدق فيها طويلاً ، ينهار الصمت ما بيننا ، وينهمر الزمن ، آيات فسيفساء ، متجاورة متلاحمة . رع آتوم ، حية الصل تحيط بقرص الشمس المعبود من جانبيه ، تتوج راس الملك المؤله . والملك لمّا زال ولا يزال مؤلّها .

يدور السقاء بصلاصله، يروى العطاشى من ماء زمزم . ويدور الفتى فى مركز الأرض ، نوبى ، مولوى ، أمرد . يحكم على خصره النحيل تنورات السموات السبع يدور ويدور على دق الدفوف . يمر عليه مقام ما لا يقال . يتزلزل ، يذهل ، يشحب . تتوالى على بشرته الداكنة الرائقة انواع الصفات . وهو بين الصحو والسكر والذوق والمحق وفناء العين وبقاء الحس ، تنورة مواجة ، منشورة إلى ما فوق الراس ، وواحدة محكمة على الخصر النحيل . دائرتان دوارتان تمحقان الوان الطيف ، بياض فى بياض ، ما بينهما بقعة سمراء يشفها الوجد ، قصيدة نفرت من أصابع شاعر ، وجود راقص وإيقاعات ، واضرب على السر ، ونحن فى ساحة الغورى ، وكأنما الطير منا فوق أرؤسنا ، والجسم قد صار وشما للروح ، همزة وصل بين دائرة الأرض ودائرة السماء .

ينقض الطير على الوشم .

وحين دعاه شيخه الحارس ، أبو الحسن الجارح ، فى ليلة قمراء إلى دخول الحمام ، كان هو تواقاً لذلك . فلما وصلا ، جعل الشيخ الشراشف البيضاء حذاه . واستدعى المريدين ، وأخذ يعرّى واحداً واحدا من ثيابه ، يرديه بشرشف ويؤزره بآخر . ثم فعل بالفتى مثل ذلك وبنفسه . وكانت مسبغة ، إذ بات الفتى فى جنة عالية قطوفها دانية .

«لا علم لا عين لا إحساس يدركنا »

وفى الصباح وجد الشيخ قتيلاً فى الحمام ، وقيل مات غريقاً فى ماء المحبة .

وكان الفتى قد بلغ منتهاه . وبلغ دوى الطبول ذروته . وانغرس نصل الخنجر فى الصدر العارى الموشوم .

« لا عقل لا جمع لا تفريق لا غيرا »

تفتقت زهرة الدم .

وكنت أسمع صوتاً فى مهامه الروح يقول :

« عندما يسطع نور المستنيرين

سترافق روحى أوزوريس

وسأتقمص الصقر المجنح

وسأخرج إلى الأرض

وأفتح الجحيم

لكى أرى شمس الوجود من جديد »

وكنت فى ساحة جامع الفنا ، أمد الطرف فأجد الغورى قريباً من صومعة الكتبية ومأذنة الحسين والقبة الزهراء . وصدى الدوى لمّا زال ولا يزال يصم اذنى .

« واضرب على سر سر السر قفل حجى »

..... انفتحا

تفتقت زهرة الدم بين القصرين النهدين وفى المنتهى وفى عين الشمس .

القاهرة : اعتدال عثمان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عين الناقة

عبد الله الماجد

تنظر «مزنة» إلى السماء ، ثم إلى ناقتها ، نظرة واحدة دون أن ترخى رموشها ، تطيل النظر وبنفس الطريقة .. وتتجه مسرعة إلى الناقة ، تدفن أصابعها فى تجويف أشداقها ، تتحصص اللُّغام ، تُخرجها ، تنظر إليها ، لم تتبلل . لسان الناقه كقطعة من الخشب ، مِشْفَراها مُغبرّان كالجِص . عاودت النظر إلى السماء ، ناحية الشمس ، لم تدمع عيناها ، أجالت النظر فيما حولها . الأرض جرداء مغبرة ، لون الحصى كقطع الحديد تلمع . على البعد جبال تفور بالصَهد . الصحراء كجوف التنور تذكيه حرارة الشمس ، وما فيه يرمى بالحمم ، والشجيرات الصغيرة امحلت ، ولم يبق منها إلا أعواد انحلتها الحرارة وكأنها تتهيأ للاحتراق ، دواب الأرض وهوامها اختبأ منها ما استطاع الاختباء ، ونفق منها أعداد كبيرة هنا وهناك . «ضَب» كبير لم يحتمل ــ رغم قدرته على احتمال العطش ــ فح فحيحاً ثم مات .

تلقفت «مزنة» وهى تجيل بصرها فيما حولها ، السمّوم تُلهب وجهها ، ترفع رأسها للسماء ، تطيل النظر ، تنفجر ضاحكة ، تطول ضحكتها بطريقة هيستيرية ، تغمغم بكلام :

– مزنة ولامُزن ، مزنة تموت عطشاً ، وانت نفسك مُزنة .

أهلها أسموها «مزنة» تيمنا وحبا فى المطر ، كما أسموا أخيها «غدير» المطر ينزل مزنا ، ثم يتشكل غدرانا فى الصحارى والوديان ، وها هى «مزنة» تهيم فى الصحراء بحثاً عن قطرة ماء . استبد بها العطش ولفها خوف الموت عطشاً . ها هى ذى فى جوف «التَنّور» كل ما حولها يقول لها ذلك ، الدواب والهوام نفقت ، وهى توشك على الهلاك . تنظر إلى ناقتها ، فتطلق من جوفها الجاف زفرة حَرّى كحرارة السموم التى تزفر بها الصحراء . ترابها المرمض ، وحصواتها المُجمَرة ، وجبالها المُصهدَة . يوسوس الخوف فى فكرها : أتموت هى قبل ناقتها ، أم تموت الناقة قبلها ، فيزلزلها الهاجس ، تلهث جيئة وغدوة بين الناقة ومكان لا حدود له فى المدى . ترفع رأسها إلى السماء وتصرخ :

– يا مزنة أين المزن ؟

فيدوى الصدى مرجعاً صوتها يملأ السكون الموحش ، فترتعد فرائصها ، تكرر صرختها وتضيف :

– يا مزنة اهلك سموك مزنة ، ما عرفوا انك تموتين من قلة المزن ... يا مزنة يا شايلة المزن ولا ترتوين منه .

ويدوى الصدى يملأ السكون والمدى الموحش ، فيزداد هلعها ، تهرع عدواً إلى شجيرة تقصفها بيدها ، تتكسر أعوادها الجافة بين أصابعها ، تهرول ، تضعها أمام الناقة ، تعافها ، لكنها تتجشأ فَتجتر ، يتبلل فمها ، تقفز إلى ذهنها فكرة لم يمهلها هاجس الموت الذى يسيطر عليها فى حسابها ، ها هى ذى الناقه تَجترّ وتُبلّل حلقها ، هل ماتزال تختزن ماء فى «كرشتها» ؟ لابد من الحصول على قطرة ماء ، ليس المهم أن تكون «مُزنة» قطرة ماء حتى لو معكرة وممزوجة «بالثُّرث»* .. تُركز عينها على بطن الناقة ، (خزان الماء) . جال بفكرها أن تعقر الناقة ، وتبقر بطنها ، وتكرع فى «كرشتها» . وفى لحظة وعى أفزعتها الفكرة ، فزع الموت المحدق بها وبالناقة ، تذكرت قصة أخيها «غدير» مع جمله . لقد تعرض «غدير» للموت ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ليس من العطش ، وإنما من جمله ، ولم يفكر أن يعقره . تصارعت الأفكار فى رأسها ، غدير وجد الطريق إلى النجاة من جمل هائج تريد «الرغاوى» من بين شدقيه ، فلا تثريب عليه إن عفا عن جمله ، وهو يعرف أنه سيعود إلى رشده ، لكن العطش كائن غير حى لا رشد له . انه كالنار تأكل كل شىء ، إنه كالصهد الذى تفور به هذه الصحراء ، عصف بكل عود أخضر وأمات كل حى ولم يبق من الأحياء إلا هى وناقتها ، وحينما تحل ساعة الموت الآزفة لا يتخير الانسان من يموت قبله ، وأمامها الآن كائن حى لا ينطق ، وفى جوفه ما يُبقى على حياتها حتى يحين قدر آخر ، حتى لو كان «تَرثاً» لكنه ماء يبل العطش ، وقد لا تجده ، استوى الأمر فى خاطرها على أنه طوق نجاه يتشبث به غريق يصارع الغرق .

أيقظها رُغَاء الناقة ، تخيلته رُغاء الموت ، وحينما نهضت الناقة من عقالها . وهى ترغو ، تساءلت : أرغاء الموت أم رغاء الحياة ؟ أيهما ، لا تدرى ! أناخت الناقة ، وطردت الفكرة من رأسها ، أحكمت شدادها ، واستوت عليه ، أطلقت عقالها ، فنهضت منطلقة ، وهى لا تدرى إلى أين ، هاجس الموت يقول لها : موت على «سَنام» الناقة ، أسلم وأشرف من موت على أرض بوار لا ماء فيها ، وموت للناقة وهى تبحث عن ماء ، خير لها من موتها وهى جاثية على أرض مقفرة .

تنَسّمت الناقة هواء السموم ، فاتسعت فتحتا مَخْطِمها . تُسرع فى الخبب هال «مزنة» أن شعرت بلفحة هواء رطبة ، لوحت بوجهها يميناً وشمالاً ، فعرفت أن النسمة الباردة حيث تسير الناقة ، تهلل وجهها بشراً . سيطر عليها هاجس الهرب من الموت ، وانتصر فى خيالها وفكرها هذه المرة هاجس الحياة . حينما يحاصرنا الموت المحدق ، نتلهف على الحياة ، نطرد الموت بالحياة ، كما يطرد الموت الحياة ، كانت الناقة ، ودون أن تتيقن «مزنة» من ذلك ، تتجه إلى منابع الماء بحدسها ، وكلما اقتربت منها زادت نسائم الهواء المُشبعة بالرطوبة . على البعد لمحت رؤوس النخيل تعلو وتهبط ، مع تهدج الناقة فى مشيتها فتجدد فى نفسها أمل الحياة . وقال هاجس فكرها : لا توجد النخيل إلا حيث يوجد الماء ، حبست أنفاسها مع كل خطوة ترسمها أخفاف الناقة . ماتزال رؤوس النخيل على البعد تُلوّح بالأمل ، يرتفع وجيب قلبها ، أنفاسها تتلاحق ، تبرق عيناها . تنفرج أساريرها ، ترتعش شفتاها ، ها هى ذى عيون الماء تترقرق . ليست واحدة أو اثنتين بل عيون كثيرة ، ترسم منظراً بديعاً خلاباً ، تلفها الأعشاب ، وتحيطها الأخاديد الصخرية المُتكلِّسة . تنحدر الناقة عبر المزالق والأخاديد ، تعصف أخفافها بالأعشاب المُحلِفة ، تُسرع الناقة فى الخبيب ، تصل إلى حافة احدى العيون ، ترمى برأسها فى الماء تكرع ، يختلُ توازنها تنزلق قدماها الأماميتان فى أخدود العين ، تلحق بهما الخلفيتان ، «مزنة» لم تبرح مكانها على «السَنَام» تبتلع العين الناقة ، و «مزنة» ماتزال متشبثة «بالشِداد» على «سنام» الناقة ، فى «عين الناقة»**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الرياض · عبد الله الماجد

* التُرث : ما يتجمع فى كروش الحيوانات المُجَتّرة مما تأكله

** جاء فى كتاب «صفة جزيرة العرب» للحسن بن أحمد الهمدانى المتوفى سنة ٣٥٠ هـ : أن اعرابية كانت تسقى ناقتها من عين ، وغرقت هى وناقتها ، فسميت العين : «عين الناقة» وبعد شهر عثر على سوار الاعرابية فى «عين مُحلِّم» بهجر البحرين (وما بينهما مسافة نصف شهر بالجمال) » .

بكّـــات الـــدم

حجاج حسن أدّول

◆◆◆◆

ـ ١ ـ

غابة كثيفة . الجو شبه ليل رغم أنـه نهار . زخم أخضر تتخلله أصوات وصيحات القرود إلا أن هدير الديناصـور الضخم اكتسـح كل الأصـوات وأخـرسهـا رعبـاً . يحطم الأشجار ملاحقا الآدميين العاريين اللذين يحاولان الإفلات منه . الأول يسبق الثانى بمجرد خطوة . يصرخان وكل منهما لا تفارقه هراوته . يتفاديان الأشجار منطلقين فى براعة . لكن كل خطوة من الديناصور الهائل بمائة خطوة من خطواتهما الحلزونية . يقترب منهما وهو يزأر فترتج الغابة بمن فيها . الثانى أحس بوقع اقدام الديناصور وهو يحطم الأشجـار . يقترب ويقترب فكاد يلحق به . إنه هالك هالك . بدون أى تردد رفع هراوته وضرب بها الأول على أم رأسه الذى يتقافز مسرعاً أمامه . أفلتت الضربة لكن طرف الهراوة الغليظـة اصطدم بالظهر فكسر فقرة من سلسلته . سقط الأول صارخاً يتلوى ليدوسه قاتله ويبتعد .

ـ ٢ ـ

فى ظلمة الليل البارد ، الثلاثة يثيرهم القلق والتوتر لضآلة الفـريسة . يعـذبهم الجـوع ، متلهفـون عـلى نهش اللحم الدامى . يتوجسـون خوفـا من بعضهم . يشوون صيـدهم المهشم الراس على نار محصورة وسط بضعة أحجار . كـل منهم يرقب الآخر . ما يكاد أحدهم يحاول نزع قطعة ليأكلها خلسة ، حتى يزمجر الآخران فى ثورة فيرتد خائباً . يعلمون أن الفريسة الهزيلة لن تكفى بطون ثلاثتهم . تناوشوا وزمجروا ، انقلب اثنان على ثالثهم القوى ، تمكن من الهرب واختفى فى الدغل والظلمة بعد أن أثخناه جروحا . إنهما يقضمان اللحم فى شراهة . أيـديهما ملـوثة بـالتراب ودم الهـارب والدُّهن الساخن عيونهما تراقب بعضها فى توجس . فلم تبق الا قطعة صغيرة من فخذ الفريسة . تبقنا معاً أنها لن تكفى الا بطناً واحدة بالكاد ،فزمجراً ..

— ٣ —

لم تكن نضجت عندما اختطفها الضخم . أبقاها فى كهفه .يخرج هو ليصطاد . لم تستطع الهرب . فالغابة خطيرة وهى مجرد صبية .يعود قبل الليل معجباً بفتوته ومئزره جلد النمر الذى يرتديه يحمل صيداً سميناً وحربته ملوثة بالدماء . أحياناً يعود مجروحاً ، لكنه فى كلتا الحالتين يأكل بشراهة ويلقى لها بالجزء الأصغر ثم يطرحها أرضاً .

بعد آلام متعاقبة بدأت تحب عنفه معها . بل تطلبه . أتى موسم الأمطار ، ثم ذهب . ثم أتت مواسم الأمطار مرات . أصبح معها أطفال ثلاثة . أكبرهم فتى شب حتى استطاع العدو فى سرعة حول الكهف وتعلم صيد الفئران والثعابين .

تلون شعر الرجل بالأبيض وتمزق مئزره وبهت .لم يعد قوياً فتياً كما كان . ذات ليلة ، اكتشف أن ابنه الأكبر ازداد طولاً وعريه فضح تحوله إلى رجل . طرده من الكهف فى قسوة وشج رأس أمه لأنها حاولت منعه . من ليلتها بدأت تضيق به . يعود كل ليلة إعياؤه اكثر وفريسته أضأل . لم يعد يطرحها أرضاً ، تنطرح له فلا يعبأ بها إلا فى فترات متباعدة . توترت وكرهت كهفها وازدادت به ضيقاً

فوجئت بضخم آخر فى يده حربه ملوثة . على كتفه صيد سمين وحول وسطه مئزرة زاه من جلد نمر دخل عليها والشمس مازالت عالية . ينظر اليها ويتفحصها ويراقب الكهف فى توجس . تتمعن فيه بثقة . يذكرها بالذى خطفها قبل مواسم ولّت ، وقبل ، أن يداهمه اللهاث والانهاك وتتبدل سحنته . الذكر الطازج قوة وفتوّه . اطمأن إلى خلو الكهف إلا منها ومن الطفلين . نظر إليها فى هدوء فنظرت اليه فى هدوء . وضع صيده فأشعلت هى النار . ثم ألقيا الطفلين فى ركن فبقيا يراقبان مايدور صامتين .

بعد الغروب بقليل ، ومازال هناك ضوء دموى باهت أعلى الغابة ، أتى القديم المنهوك بصيده الهزيل . دخل خطوتين فى الكهف . ماكاد يشم رائحة الدسم ويقرأ البسمة الساخرة فى وجهها ، حتى انغرست فى ظهره الحربة لتلمع وهى تخرج من صدره . إبتسمت من كانت صبية . فباد لها الآخر الضحك وهو ينتزع سلاحه من المطروح أرضاً .

— ٤ —

فى المساء ، اكفهرت السماء . برق يلمع ورعد يفجع . أمطار شلالية كثيفة . همهمة ودمدمة من الجبل ثم سيول هائجة تهجم على القرية فتكسح أكواخها بمن يحتمون فيها . تجرف الكل فى طريقها . تتدفق فى جبروت

العائلة امتطت جذع شجرة طافية . المرأة فى الأمام وفى حضنها رضيعها . الرجل فى الخلف يمسك بالابن الذى لم يتعد عمره مواسم . خليط من الأصوات . هدير المياه ، زئير الوحوش ، ثغاء الماشية ، فرقعات انكسار الأشجار صراخ أهل القرية والغرق يتهددهم . فوقهم صياح الطيور وبكائيات القرود على قمم الأشجار . ويطغى على الكل ، هزيم الرعد المتواصل .

الرجل من الخلف يحاول موازنة الجذع المندفع مع التيار الهائج فى جنون . ابنه يتشبث بعنقه خائفاً . ضرب الجذع رأس صبى يغرق فتشنجت ذراعاه من المقدمة رغم ألمه ووهنه . بصعوبة يحاول رفع نفسه ليمتطيه مع شبه الناجيين . المرأة بيد واحدة حلت يديه من الجذع ودفعته ليغطس فى المياه . أعادت يدها بجانب اليد الأخرى التى تحتضن الرضيع .

الجذع يندفع مع السيل فى اهتزازات خطيرة يتخبط ويرتطم بالأخشاب والجثث الطافية والمندفعة معهم . يبدو بطول ذراعين يصعد من الأمام . يعرفون نوعه ، لدغة والموت تشنجاً بعدها فوراً . فمه مفتوح على آخره . نابا ه بارزان واللسان المشقوق يرتعش . عيناه المستديرتان شديدتا اللمعة تراقبان المرأة التى أمامه لاتطرفان أبداً رغم الأمواج التى تصعد إليه مياهما وتضرب عوده العضلى وتجبره على ارتعاشات أفقية سريعة . والأمطار من فوقه جداول منهمرة تسقط على رأسه المفلطح فتضطر رأسه للارتعاش رأسياً أيضاً . فحيحه ضائع وسط زمجرة الطبيعة الغاضبة . الأم فى هلع تحتضن وليدها .بينهما وبين الثعبان نصف ذراع فقط . الخوف هو الراكب السادس معهم . اصطدم الجذع بشىء فارتج كل من عليه . مالت الأم رغماً عنها للأمام : لمحت

الثعبان يثنى رقبته ويركز عينيه المرعبتين . صرخت وهى تتكور على وليدها وأم رأسها تهبط على الجذع جاعلة من نفسها شرنقة لتحمى رضيعها . وقعت اللدغة بين منكبيها . يدها مازالت تمسك بالرضيع المحمى واليد الأخرى تشنجت وتصلبت على الجذع حتى لا يسقط جسدها فى المياه فيغرق الرضيع معها .

فى توتر وخوف ، الرجل وصغيره يشاهدان الثعبان يتقدم فى بطئ وهو يميل يمنة ويسرة . الحطام المندفع حولهم ينذرهم بالسقوط أو التراكم فوق بعضهم فى أية لحظة . الصغير يرتعش من اقتراب الثعبان ويحاول التداخل فى جسد أبيه ليجد الحماية . ارتقى الثعبان جسد الأم الشرنقة ، ينزع الرجل ابنه قسراً جاعلاً منه درعاً يتقى به الثعبان .

- ٥ -

الظهيرة والشمس حارقة . جميع أفراد القبيلة يجلسون شبه عرايا فى الساحة التى تحيطها الغابة . أمامهم بضعة رجال ضخام بحراب طويلة . يحرسون مقعد العرش . العرش جذع شجرة مجتث عليه قاعدة غير مشذبة من معدن خشن داكن . عند ارتفاع الشمس التى لا يحجبها السحاب يسخن المعدن فيلهب كل من يلمسه . وكل من تسول له نفسه التسلل فى أيام الاحتفالات المقدسة ، ويجرؤ على الجلوس عليه ، يهب منتصباً من الألم . يتحسس مؤخرته الملتهبة ، فيعتقد أن الإله عاقبه . الملك هو الوحيد صاحب الحق فى الجلوس على العرش المعظم . والملك ليس شيئاً هيناً ، إنه يمتلك القبيلة بأهلها ومواشيها وزرعها وأكواخها . وله أيضاً الأربعون من أجمل نسائها . له دسم الطعام ومئزرهُ من أفخر الرياش . ولا يجرؤ على معارضته أحد . الجموع الجالسة تحت لهيب الشمس صامتة فى وجوم . ينتظرون نتيجة القلاقل الملكية أقبل من ناحية قصره المكون من عدة أكواخ داخل سور له حرمه . حوله حرسه المسلح . الملك الشاب مفتون بفتوته شعره كتلة هائلة مكومة أعلى الرأس وقد دهنت بدهن الخنازير المخلط بروث البهائم ثم أضيف إليه سائل لزج تبكّه شجرة بعد جرحها فى ساقها . وعلى كتلة شعره تاج القبيل ، النصف العلوى لجمجمة فيل .

يتقدم الملك مهيباً وفى يده صولجانه العظمىُ من وحش مأكول يقف وظهره للعرش والجموع أمامه انتصبت واقفة ثم ركعت وسجدت وبقيت هكذا حتى يجلس مليكها . الملك فى غاية السرور والفخر . فهذه أول مرة سيجلس فيها على عرش القبيلة بعد أن اغتال أباه الملك . جلس . ألهبه القرص المعدنى فخيل له أن إليته تشوى . لكن لم يبد على الوجه الملكى أى تعبير ينم عن الألم .

-٦-

خرجو من الأرض التى ضربها الجفاف . دخلوا الأرض المزروعة والمتاخمة لهم . الهزال والإعياء باديان عليهم كلهم . رجال ، ونساء ، أطفال ، عجائز . أحس صاحب الأرض الأعور . نادى فأتى بنوه مسرعيين قابضين على أسلحتهم المسنونة ووقفوا صفاً حائطياً تشع عيونهم عنفاً وكرهاً . تقدم عجوز من الجوعى العطشى . يضم كفيه أمام صدره وعيناه تتوسلان . طعنته حربة ففغر فاه دهشة وهو يجثو على الأرض ثم ينكب على وجهه ليموت ببساطة . تقهقر الجوعى مهرولين تاركين قتيلهم . زمجرت عائلة الأعور وهم يتقدمون عليهم ، فازداد الجوعى هرولة وهم يرفعون من يسقط من الأطفال ويسحبون العجائز المتهالكين . دخلوا الأرض المحروقة جفافاً .

أيام قليلة واخضرّ الحصاد مرة أخرى فى أرض الأعور . جمعوه . ولما حملوه إلى شونتهم ، وجدوا تلال المحاصيل السابقة قد نخرها السوس . ألقوها بعيداً وخزنوا المحصول الجديد .

الإسكندرية : حجاج حسن ادّول

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقفت فى فم الزقاق الذى عُثرتُ عليه فجأة ، اندهشت ، تُرىٰ أين شاهدته من قبل ؟ كأننى رأيته فى زمان طويل ، منذ أيام الطفولة ، كان يشبه كثيراً زقاقنا الطينى القديم ، دخلتُ متوغلاً فى عتمته الرطبة مخترقاً عوالم الكائنات الريشية الدقيقة الهائمة فى الضوء الشحيح الآتى من بعض النوافذ الصدئة . وفى شارع اشبه بردهةٍ مقفلة اقتحمتُ عزلة المكان وهدوءه الذى سيطر على كل شىء ، بدا لى فى منتصف الطريق أن دخولى فى مكان كهذا هو أشبه بحماقةٍ وتسكع لقتل الوقت لا اكثر ، الغريب فى الأمر أننى لم اكتشفه أبداً ولم انتبه له رغم مرورى اليومى بجوار الشارع المؤدى إليه ، كيف حدث ذلك ؟ وما الذى حدث الآن ؟ خيّل إلىَّ من بعيد أننى ارى ذراعاً بشريةً على الأرض قرب أحد الأبواب بوضوح ، لقد كانت يداً مرماة خارجة من الفتحة ما بين حدود الباب وتخوم العتبة ، لقد اوقعت نفسى فى مأزق ، إنها بالتأكيد جريمة قتل ، فالقاتل بعد أن قتل ضحيته هرب قبل أن يتأكد من موتها تماماً .

ثم خرجت الضحية وراءه إلى الباب مستنجدة ، وعلى العتبة أسلمت الروح . لكننى ، لما وصلت إلى الباب لم أر اليد . لقد اختفت وكأن احداً سحبها حال وصولى ثم اغلق الباب بعنف وها هو ذا الباب مازال يتحرك فى اهتزازات بطيئة . حاولت أن أتجاوز الموقف وأستمر فى السير حتى أعبر المكان ، لكننى وجدتنى أطرق الباب بعنف وانا أهدد أصحاب البيت باستدعاء الشرطة إن لم يفتحوا ولأن الباب كان باباً خشبياً بالياً ، لم يتحمل طرقاتى العنيفة ، فانفتح على مصراعيه .. ها هى ذى أبواب الجحيم قد فتحت لك فادخل إذن .. لم أجد أحداً إذ وطئتْ قدماى الأرض الهشة المجهولة ، وكأنه بيت مهجور صحتُ بأعلى صوتى :

ـ يا من فى الداخل ، يا أهل البيت ، ياناس ، ثمّ قتيل فى البيت . أين القاتل ، إنه يختبىء فى مكان ما هنا ، لقد أخفى الجثة حالما رآنى ، ياناس ..

ولكننى توقفت عن الزعيق بسرعة عندما خرج إلىَّ من إحدىٰ الغرف المظلمة صبى مهزول حافى القدمين متورم اليدين ، لم يرتبك وقف أمامى صامتاً ينتظر ما ابتغى من وراء الصراخ الذى ملأ البيت الساكن ضجيجاً ، قلت له :

ـ اسمع أيها الصبى ، هل رأيت قاتلاً يختبىء هنا ؟

فنفى الصبى ذلك بحركة من رأسه قلت :

ـ حسن ، وهل عثرت على جثة قرب الباب ؟

وكرر الصبى علامة النفى ثم سار أمامى هادئاً وسرت أنا خلفه كخروف يتبع جزاره إلى مصيره كان يمشى وانا اتبع خطواته الغامضة وهو يخترق الظلام العفن ويزيح خيوط العناكب فى الفتحات الضيقة التى يخترقها بجسده الهش . كنت أسمع وقع أقدامه على الأرض الباردة الصلبة وهو يتقدم ، لكن بعد أن اجتزنا ممراتٍ لم أستطع عدّها انقطع الوقع واختفت الخطوات ولم أعد أسمع أو أرى شيئاً ، صرخت فى الهوّةِ :

ـ أنت يابنى ، ياولد ، أين أنت ؟

ولكن بلا جواب ! أين تركنى هذا الوغد الصغير واختفى وإلى مَ يرى ؟ هل يكون مشتركاً مع القاتل فى الجريمة ؟ لست أدرى من أين خرج وإلى أين ذهب ! كل ما أعلمه أن وجهه

كان بريئاً وشاحباً ، حتى لقد ذكرنى بمرضى القديم يوم كنتُ فى سِنهِ حينذاك . تقدمت أكثر أجوس فى العتمة وأنا أضغط على يدى اليمنى التى عادت آلامها ثانية بسبب البرد الذى أخذ يشتد شيئاً فشيئاً . كنت أقطع ممرات كثيرة تؤدى إلى غرفٍ مقفلةٍ ما عدا بعض الشبابيك التى تفغر أفواهها بحثاً عن أشعة الشمس ، وفى بعيد تناهى إلى صوت فأس ترتطم بالأرض ولمحت فانوساً يرسل ضوءاً وئيداً على مساحةٍ ضيقة فى الأرض ، اقتربت فى الضوء الواهن فوجدتُ عجوزاً يحفر ، ولحظتُ شيئاً ملقى إلى جانبه لم يكشفهُ الضوء بشكل كافٍ ، اقتربت أكثر ، فعرفت أنه الصبى .. ذات الصبى الشاحب ، المريض ، سألت العجوز ، فلم يلتفت واستمر بالحفر ثم تنفس بعمق وقال :

ـــ وجدته مرمياً قرب الباب ،
سأدفنه أظنه ميِّتا
ـــ تظنّه ؟ـــ إذن فأنت غير متأكد ؟

حاولت الاقتراب منه ، لكنه دفعنى بعيداً واستمر بالحفر ، ثم قال وهو يرمى بالتراب خلفه :

ـــ حاول أن تبحث عن شىء آخر خارج هذا المكان لم أصدق ما أرى كانت أطراف الصبى جميعها ملفوفة بشاشٍ أبيض وعلى الشاش آثار دماء . يبدو أنه نزف كثيراً قبل أن يموت ، كانت أمى دائماً تضع الشاش على أطرافى حينما أمرض وخاصة فى حالات الحُمّى الشديدة . كانت تنيمنى على السرير ثم ترطب كل ما يقع تحت يديها من شاش وكمادات وتضعها على أطرافى فاشعر كأننى فى ثلاجّةٍ . وفى الليل يحبو جدّى صوبى ويرفعها جميعاً وهو يقول :

ـــ ياولد ياكسول تخلص من هذه الأشياء البليدة والعب خارج السرير .. علىّ إذن أن أخرج فوراً من هذا المكان ، كنت أسرع الجرى على ايقاع ضربات فأس العجوز ، حتى تلاشت فى العتمة المتكاثفة . لكنى كنت قد ضللت طريقى فلم أعد أدرى لو تقدمت أكثر إلى أين سأمضى . ثم خطر لى أن أمُر بكل الغرف الموصدة وأطرق أبوابها بقوة وأصيح بأعلى صوتى :

ـــ أين الطريق ؟.. اريد أن أعود .. ليذهب القاتل والضحية إلى الجحيم !
أريد أن أخرج ، ياناس ....
وربما بعد ذلك أصل إلى سر الكائنات الخرافية التى تختبىء فى مجاهل هذه الغرف المقفلة . رحت أطرق الأبواب الخشبية الآيلة إلى السقوط وأنا أطلق عقيرتى .

وسمعت من يبكى بقربى ، ثم سمعت صوتاً آخر يحاول إسكاته بلطف وكأن فى المشهد الغريب رجلاً وابنه ، الابن يبكى ، والأب يحاول أن يستميله لكى يكفّ عن البكاء ، باعطائه لعبة ما .

بحثت فى جيبى لعلنى أجد قطعة من الحلوى فأنا كثيراً ما أحمل قطع الحلوى فى جيبى لأنى أحبها منذ الطفولة .

وتقدمت .. كان نفس الصبى يبكى وهو يمسك بإحدى يديه وبجانبه رجل لم أره من قبل ينظر إلىّ بعينين غاضبتين ذكّرتانى بعين أبى . كان الرجل يحاول إسكاته بهدوء .. اقتربت منهما وأنا غير مصدّق ما أرى وحالما رآنى الرجل هبّ فى وجهى مزيداً وكاد يضربنى بقبضته ، لولا أن ابتعدت عنه ، ثم سمعته يشتم بغضب وهو يقول :

ـــ لا أدرى ماذا يريدون من هذا الصبى ؟ لماذا يحاولون ايذاءه كلما رأوه .

صحت من بعيد مجيباً الرجل :

ـــ يا سيدى صدقنى ، كنت أريد أن أعطيه بعض الحلوى حتى يسكت .

لكنه صاح من جديد :

ـــ لا نريد حلواكم يا أوغاد ! اتركوا الصبى فقط ، اتركوه فى حاله ، أنت لا تدرى بأية حال وجدته قرب الباب ، والعجوز المجنون يشبعه ضرباً وركلاً حتى كاد يزحف روحه ، وها أنت تأتى إليه .. ثم قال لى بالله ، ماذا تفعل هنا ؟

ـــ كنت أبحث عن الجثة !
ـــ اية جثة ؟
ـــ التى أخفاها القاتل ..
ـــ القاتل ..؟ أى قاتل ..؟
ـــ القاتل الذى قتل الضحية وأخفاها هنا
ـــ أى قاتل واية ضحية كيف دخلت إلى هنا ؟
ومن سمح لك بذلك ؟
ـــ الصبى ..
ـــ هذا الصبى ؟
ـــ نعم

لا أدرى كيف تغير المشهد فجأة ، فقد كفَّ الرجل عن طرح الأسئلة وحمل الصبى واختفى فى الظلام . ركضتُ وراءه دون جدوى ، كنت متعباً ، خائفاً ـــ ها أنا ذا أقع فى المحظور ـــ إنها مؤامرة خبيثة دبرها لى ذلك القاتل الحقير واوقعنى فى هذا الفخ ، ماذا يريد من كل ذلك ؟ لماذا لا يقتلنى ؟ الآن بتّ لا أريد الخروج فقد أصبح ذلك مستحيلاً ، أنا أريد القاتل ،

ان القاه وجهاً لوجه ، وبينما انا اقدّم خطوة واتراجع خطوتين ، سمعت صراخاً فاجعاً .. كان بكاء امرأة يقترب بإلحاحٍ مني ، تبكي وتطلق كلمات لم افهمها أول وهلةٍ ، ولكنني أدركت انها اضاعت ولدها وهي تبحث عنه في هذا المكان ، ثم شاهدتني فاشتد نحيبها :

ـ ولدي يا ناس ! ولدي ! لقد قتلوه ، وربما دفنوه الآن .. افزعتني كلماتها ، فاقتربت منها متسائلاً

ـ هل هو ذلك الصبي الشاحب الملفوف اليدين ؟

ازداد عويلها وهياجها وتشبثت بيدي التي تؤلمني حتى صرخت بها :

ـ آه يا امي انت تؤذينني ..

كانت امي كل نصف ساعة تُزيل الشاش القديم وتأتي بجديد غيره وتضعه على أطراف الساخنة ، قالت :

ـ ولدي .. ولدي ..

كان جدي كل ليلة يزيل الشاش ويحملني خارج البيت بعيداً عن السرير وفجأة خرّت المرأة على الأرض متشبثة بقدميّ حتى فقدت الوعي وكفّتْ عن النحيب .

تأملت وجهها المضطرب : ترى هل ماتت ؟ كانت أمي وهي على فراش الموت تتأملني بنظرات غريبة وكأنها تستنجد بي وتدعوني أن ابعدها واخلصها من مخالب الموت ، أما أبي فكان لا يكف عن أن يرمقني بنظرات شزرة وهو يحاول النهوض بصعوبة ، فقد تورمت ركبتاه ولم يعد قادراً على الوقوف أو المشي بينما ظل جدّي يتقدم في العمر ويسافر بسنوات أحلامه السُباتيّة دون أن يعود إلى صحوته إلا نادراً . وحالما يعود إلى وعيه يتأملنا جميعاً ثم ينادي على شخص من أصحابه مات منذ زمن طويل وحين لا يجيبه أحد يمدّ يده إلى سجّادته ويسأل عن وقت الصلاة . وقبل أن يلقى جوابا يلفها ويضعها تحت مخدته ، ويغط ثانية في موته المؤجل الطويل وهو يتمتم بطلاسم لا يفهمها أحد غيره .

كنت الطفل الوحيد في البيت بين كهولة وشيخوخة ودخان وتأوهات وأمراض وعجز وكوابيس ، لقد حملوني مالا طاقة لي به ... تحولت الحديدة التي وضعها أبي على النار إلى جمرة تنزّ ثم ، وبأعصاب باردة ، وضعها على يدي اليمنى لأنه لمحني أبحث في معطف جدي القديم عدة أشياء جميلة كنت قد سمعته يتحدث عنها وهو يحكي لي قصصاً وحكايات مثيرة ، فتصورت انه يحملها معه في جيوبه .. تورمت يدي بعد ذلك وانسلخت وظلّت تؤلمني ، خاصة في أيام البرد ... أشعر الآن بآلامٍ فظيعةٍ في رأسي ويدي بعد أن اختفت المرأة الثكلى ولم أعد أسمع أو أرى شيئاً سوى أنفاسه المتلاحقة المضطربة اتكأت على جدار قريب وقرفصت على الأرض .. كنت أبحث عن دفء ما وأنا أحاول أن أخفي يدي المصابة ، في هذا البرد القارس .. قالت لي أمي :

ـ تعالي يا ولدي ، تعال ، فقد اشتقت إليكِ كثيراً !

وقال أبي :

ـ نَمْ ياولد نم ولا تفكر بالألم ، فسيزول حالما تنام :

وقال جدي :

ـ إيه ياولد ، تعال ونَمْ في حضني وسأدير وجهي حتى لا أضايقك بأنفاسي .

ثم تلاحقت الصور ... مات جدي في صمت ذات صباحٍ كئيب ، وابعدتني أمي وهي تغطي عيني بغوطتها المليئة بروائح المسك والعنبر ، بينما أشمُّ روائح التبغ التي كانت تخنقني كلما نمت مع جدي ، وهو يعلم هذا فاسمَعُه يقول من تحت اللحاف :

ـ هيا ياولد ، اخرج رأسك من اللحاف بعيداً عن رائحة تبغي ...

يالدفء جدي وسطوة أبي وحضن أمي ثم أغمضتُ عيني ، فقد استولى عليَّ خدرٌ لذيذ ، وداعبني كرى مباغت ، ولم أفتح عيني إلا بصعوبة على أصوات ارتطام أنفاس بالأرض بقوة ، وأنا أستمع إلى حوار متداخل لامرأة ورجلين أحدهما عجوز . قالت المرأة وهي تبكي وتومىء إليَّ :

ـ آه ياويلي على شبابك !

ثم تلتفت إلى أحدهما وتسأله وهي تبكي :

ـ أين وجدته ..؟

قال الرجل بأسف بالغ :

ـ كان مرمياً قرب الباب ، لقد حاول الخروج فلم يستطع ، وسقط على العتبة ،

قال الشيخ بحزنٍ :

ـ أظنهُ ميتاً

ثم أقبلَ الثلاثة عليَّ وحملوني ، عندها فقط استطعتُ أن أشمَّ رائحة مسك وعنبر مخلوطة برائحة تبغٍ قديم ...

بغداد : حميد المختار

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نافـــذة الفـــراولـــة

تأليف : راى بـــراد بـــرى

ترجمة : جيـــلان فهمـــى

فى الحلم كان يغلق الباب الأمامى بالنوافذ ، نوافذ الفراولة ونوافذ الليمون .. ونوافذ تشبه السحاب الأبيض وأخرى تحاكى الماء الصافى يتدفق فى جداول الريف . تقابلت زوايا أربعة وعشرين لوحاً من ألواح المنزل الزجاجية حول اللوح الكبير الذى تلوّن بلون الفاكهة والنبيذ والجيلاتين ، ومياه الثلوج الباردة . تذكر أباه يحمله وهو طفل صغير ويقول له «انظر» .

ومن خلال الزجاج الأخضر كان العالم يبدو زمرداً وطحلباً ونعناعاً صيفياً . «انظر» إلى اللوح الأرجوانى وقد أشبع كل المارة بعناقيد عنب «كونكورد» . وأخيراً أغرق اللوح الملوّن بلون الفراولة المدينة فى دفء وردى ، أضفى على العالم شروقاً قرنفلياً أحمر حتى بدت الحديقة المشذبة مثل سجادة مستوردة من أحد أسواق السجاد الفارسى . أما نافذة الفراولة فهى أفضلها جميعاً فقد كانت تشفى الناس من شحوبهم ، تدفىء المطر البارد وتُذكى النار فى الصقيع الذى يهبّ مرتحلاً مع شهر فبراير .

آه ــ استيقظ .

سمع أطفاله يتكلمون قبل أن يستيقظ تماماً من حلمه وأصبح الآن يرقد فى الظلام يستمع لرنين الصوت الحزين منبعثاً من حديثهم كالريح تجرف رمال البحر البيضاء من الأعماق إلى التلال الزرقاء .. عندئذ تذكر «نحن على المريخ» .

صاحت زوجته من نومها « ماذا ؟ » .

لم يدرك أنه كان يتكلم وظل راقداً فى سكون قدر استطاعته . ولكن الآن ــ وبنوع غريب من الحقيقة المخدرة ــ كان يرى زوجته تنهض ليسكن شبحها الغرفة ، يحملق وجهها الشاحب من خلال النوافذ الصغيرة العالية للكوخ الذى استدار سقفه ــ نحو النجوم الصافية غير المألوفة .

وهمس : «كارى» . لم تسمع . وهمس : « كارى .. هناك ما يجب أن أقوله لك ، منذ شهر وحتى الآن وأنا أريد أن أقول .. غداً .. غداً صباحاً .. سيكون .. » ولكن زوجته جلست وحيدة تحت ضوء النجم الأزرق ، لم تنظر إليه . أطبق عينيه وتأمل .

لو ظلت الشمس مشرقة ! ، لو لم يأت الليل ! ، فأثناء النهار تتشابك الأعمال فى المستعمرة فيذهب الصغار إلى المدرسة وتؤدى كارى ما عليها من تنظيف وطبخ وعمل فى الحديقة .

ولكن عندما تغرب الشمس وتخلو الأيدى من الأزهار والمطارق والمسامير وتنفض عن الحساب ، تعود الذكريات كطيور الليل ، تأتى فى الظلام فتسمع حفيفها على السطوح السوداء كبوادر المطر فى موسم جديد لا نهاية فيه للأمطار . تصحو على النقر ــ هو ليس بنقر المطر ولكنه انحدار الطير البطىء ورفرفة الأجنحة ومسح الريش واللمس والتحليق الهامس والانزلاق نحو التذكر عند الفجر .

تحركت زوجته باستدارة بسيطة من رأسها وقالت أخيراً :

«ويل .. أريد أن أعود لمنزلى» .

أجاب : « كارى ! » .. قالت : «هذا ليس بمنزلى» .

رأى عينيها مبللة تسيل منها الدموع

«كارى .. تماسكى بعض الوقت» .

«لم يعد لى أظافر لاتشبث بها الآن» .

فتحت خزانة الملابس وكأنها مازالت تتحرك فى نومها ، وأخرجت طبقات من المناديل والقمصان والملابس الداخلية ووضعتها كلها فوق الخزانة وهى لا تراها ــ تتلمسها بأناملها ــ تخرجها من الأدراج وتضعها بالأدراج . أصبح هذا الروتين مألوفاً الآن .. كانت تتحدث وتخرج الأشياء ، تقف هنيهة ثم تعيد الأشياء مكانها وتعود وقد جفت دموعها إلى السرير .. إلى الأحلام . كان يخاف أن تأتى الليلة التى تُفرغ فيها كل الأدراج وتصل يداها إلى الحقائب القديمة الراقدة جانب الجدار .

قالت «ويل» . لم يعبّر صوتها عن المرارة ولكنه كان ناعماً دون ملامح ، دون لون مثل ضوء القمر الذى كان يكشف عما كانت تنشغل به .

قالت : «تكلمت على هذا النحو ليالى كثيرة لمدة ستة شهور . إنى أشعر بالخجل ؛ فأنت تشقى فى بناء المنازل بالمدينة ومن يتعب مثلك يجب ألا ينصت لزوجة تلقاه بوجه حزين ، ولكن لا سبيل أمامى إلا الإفصاح عما يؤرقنى ... إنها الأشياء الصغيرة التى أفتقدها أكثر من غيرها ، لا أعرف ، أشياء تافهة ! أفتقد أرجوحة الشرفة الأمامية ، كرسى الخيزران الهزاز ، ليالى الصيف . أفتقد مراقبة الناس وهم يمشون أو يمتطون جياداً فى هذه الأمسيات فى أوهايو .. أفتقد البيانو الأسود المستقيم وقد هجرته الأنغام ، مرآتى المزدانة السويدية ، أثاث قاعة الاستقبال .. آه إنها كقطيع الأفيال ، أعرف ، وكلها قديمة .. أفتقد الكريستال الصينى المعلق يصطك بعضه ببعض حين تهب الريح ، الحديث مع الجيران هناك فى الشرفة الأمامية فى ليالى يوليو . كل هذه الأشياء الحمقاء التافهة ؛ هى ليست هامة ولكن يبدو أنها هى الأشياء التى تمر بخاطرى حوالى الثالثة صباحاً ــ إنى آسفة .

قال : «لا تأسفى ، فالمريخ مكان بعيد تفوح منه رائحة الهزل ؛ يبدو مضحكاً . وبالليل أفكر مع نفسى أيضاً وأعتقد أننا أتينا من مدينة جميلة .

قالت : «كانت مُخضرة فى الربيع والصيف ، صفراء وحمراء فى الخريف .. ومنزلنا كان منزلاً جميلاً ــ كان قديماً شُيد منذ ثمانين أو تسعين عاماً .

اعتدت أن أسمع البيت يتحدث بالليل .. يهمس فى البعد ، كل الأخشاب الجافة والدرابزين والشرفة الأمامية وعتبات الأبواب والنوافذ ، حين تلمس اى شىء تجده يتحدث إليك ــ كل حجرة لها حديث مختلف . وحين تسمع كل البيت يتكلم فهو حديث الأسرة حولك فى الظلام يهدهدك لتنام . لا يوجد مثل ذلك فى بيوت اليوم ، فعلى الناس أن يعانوا ويكابدوا العيش فى بيت حتى يتواصل معهم . وهذا المكان الآن . هذا الكوخ لا يعلم أنى أعيش فيه ، لا يهتم إذا عشت أو مت ؛ فهو منزل يصدر عنه صوت الصفيح ، والصفيح بارد .. ليس به مسام لتغوص فيه السنون ، ليس به «بدروم» لتضع به أشياء للعام القادم وبعد القادم ، ليس به «سندرة» تحفظ فيها أشياء العام الماضى وكل الأعوام قبل أن تولد ؛ وبدون «السندرة» ليس لك ماض .

لو كان لنا هنا شىء ضئيل مما كان مألوفاً ــ لوجدنا مكاناً لكل ما هو غريب . لكن عندما يكون كل شىء غريباً ، كل شىء فى ذاته ــ غريباً ، فذلك يعنى أنك تحتاج وقتاً قد يمتد إلى الأبد حتى يصبح هذا الشىء مألوفاً . أومأ برأسه فى الظلام وقال «لم تقولى شيئاً لم أفكر فيه» .

كانت تحدّق فى ضوء القمر الذى انعكس على الحقائب الراقدة جانب الجدار .. رآها تحرك يدها إلى أسفل نحوها . قال : «كارى» قالت : « ماذا ؟ » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

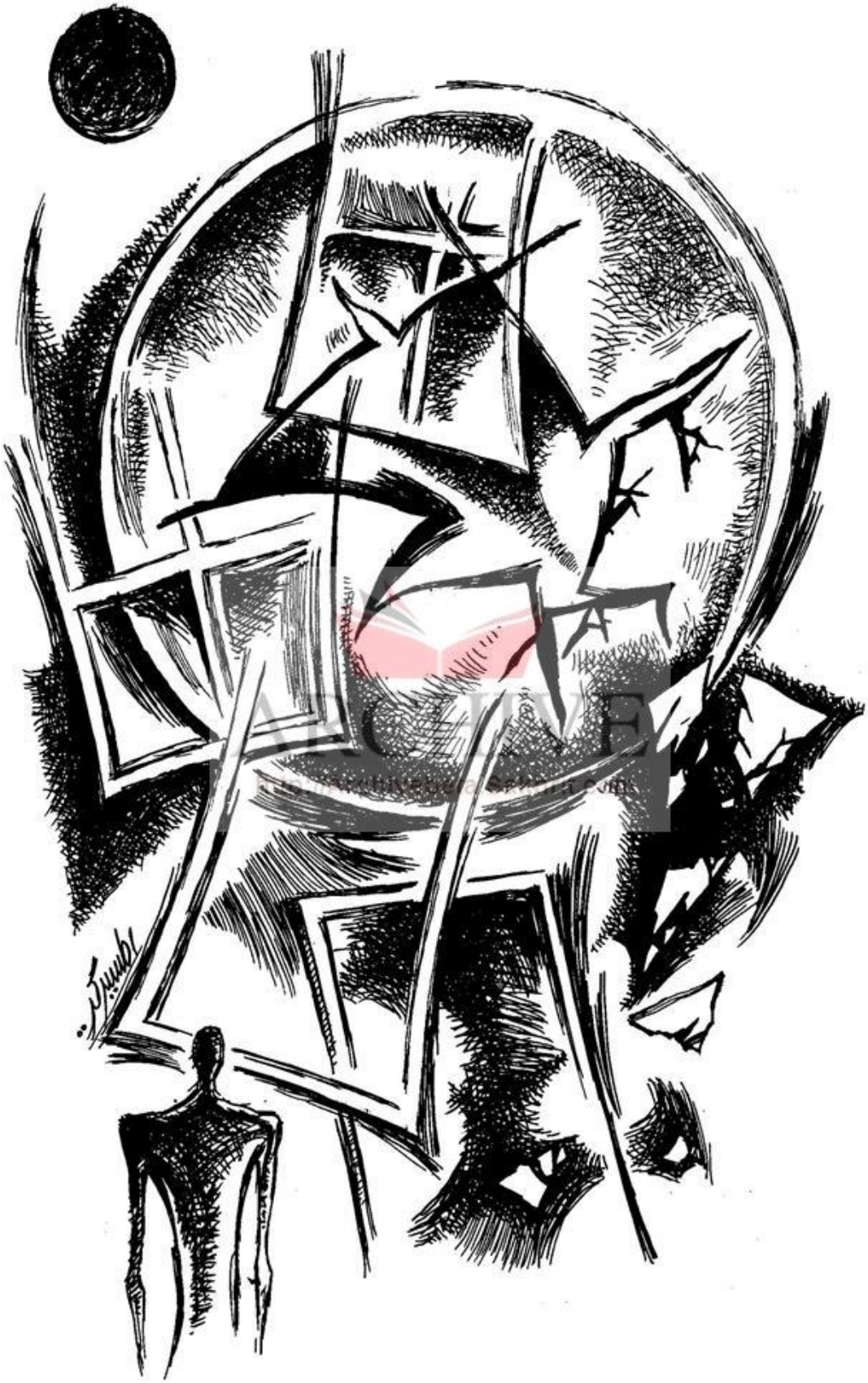

أرجح قدميه خارج السرير . «كارى .. لقد فعلت شيئاً غبياً أحمق . كل هذه الشهور كنت أسمعك تحلمين بعيداً .. مذعورة .. والصبيان فى الليل .. والريح والمريخ فى الخارج .. أعماق البحار .. كل شىء . توقف ثم بلع ريقه وأردف : «عليك أن تفهمى ماذا فعلت ولماذا فعلت . لقد أنفقت كل المال الذى ادخرناه فى البنك منذ شهر ، كل المال الذى ادخرناه مدة عشر سنوات ..

« ويل ! » .

«أهدرته يا كارى ــ أُقسم ــ أهدرته فى لا شىء ، كنت أظن أنها ستكون مفاجأة ولكن الآن ، هذه الليلة .. ها أنت هنا وها هى ذى الحقائب الملعونة ترقد هناك على الأرض و ... » .

قالت وهى تستدير : « ويل .. أتعنى أننا عانينا كل ما عانيناه على المريخ .. ندخر ما يفيض من المال كل أسبوع حتى تحرقه بهذا الشكل فى ساعات قليلة ؟ » قال : «لا أدرى ، إنى مجنون أبله ، انظرى سيحين الصباح بعد قليل وسنستيقظ مبكراً . سآخذك لترى ماذا فعلت ، لا أريد أن أقول لك . إنما أريد منك أن تنظرى وإذا كان لا مناص أمامنا حينئذ .. حسن ، فهناك دائماً هذه الحقائب والصاروخ الموصل للأرض أربع مرات فى الأسبوع» .

لم تتحرك بل تمتمت : « ويل .. ويل ! » قال : «لا تقولى أكثر من ذلك» . «ويل .. ويل» هزت رأسها ببطء غير مصدقة .

انصرف عنها ورقد على جانب السرير وجلست هى على الجانب الآخر . ولم ترقد للحظة ولكنها جلست تحملق فى الخزانة حيث ترقد مناديلها وجواهرها وملابسها مستعدة ومصطفة فى أكوام مرتبة كما تركتها .

فى الخارج أثار الريح الملون بلون ضوء القمر ، التراب النائم ونثره على الهواء .

رقدت أخيراً ولم تزد شيئاً ؛ مجرد ثقل بارد على السرير تحملق أسفل نفق الليل الطويل نحو أصغر علامات الصباح .

استيقظ الجميع مع أول ضوء وتحركوا داخل الكوخ فى سكون . بدا الأمر كتمثيلية «البانتوميم» التى طال عرضها حتى كاد يصرخ أحد الحاضرين من عذاب الصمت ، بينما كانت الأم والأب والأولاد يغتسلون ويلبسون ويتناولون طعام الإفطار من شرائح «التوست» وعصير الفاكهة والقهوة فى هدوء دون أن ينظر أحدهم إلى الآخر مباشرة ، بل يراقب كل منهم الآخر على السطح العاكس لجهاز «التوستر» والأوانى الزجاجية وأدوات المائدة حيث ذابت كل الوجوه فأصبحت الملامح ممسوخة شديدة الغرابة فى هذه الساعة المبكرة .

وأخيراً فتحوا باب الكوخ فدخل الهواء الذى يهب عبر بحار المريخ الباردة ذات الزرقة الباهتة حيث تَبدد شكل الرمال وتغير اتجاهها فكوّن أشكال أشباح . وخرجوا تحت سماء رطبة باردة ذات لمعان بغيض وبدءوا السير نحو المدينة التى كانت تبدو كمدينة فى فيلم سينمائى شُيدت أمامهم على البعد على مسرح واسع خاوٍ .

سألت كارى : «إلى أى جزء من المدينة نحن ذاهبون ؟ » قال «إلى محطة الصاروخ .. ولكن قبل أن نصل إلى هناك عندى الكثير أودّ أن أقوله .. » .

تباطأ الأولاد وتجركوا خلف والديهم ينصتون . حدّق الأب أمامه فلم يكن ينظر إلى زوجته أو أولاده ولو مرة حين يتكلم ليرى وقع الكلام عليهم .

بدأ يتكلم بهدوء قائلاً «إنى أومن بالمريخ ، أعتقد أنى سأومن يوماً ما أنه ينتمى إلينا .. سنتكيف معه ونعيش فيه .. لن نولى الأدبار .. لقد مرّ بى خاطر يوماً فى العام الماضى بعد وصولنا مباشرة وتساءلت « لماذا جئنا ؟ » قلت : لأن .. لأن ــ إنه كما يحدث دائماً لسمك السلمون كل عام ؛ فالسلمون لا يعرف لماذا يهاجر ولا إلى أين يهاجر ولكنه يهاجر على أية حال .. ينتقل عبر الأنهار ، عبر الجداول ، يقفز فوق الشلالات دون أن يتذكر ولكنه يصل أخيراً إلى حيث يتكاثر ويموت . وتعاد الكرة كاملة مرة أخرى . يمكن أن تسميها ذاكرة الجنس أو الغريزة ... لا تسميها شيئاً .. ولكنها موجودة ونحن موجودون .

ساروا فى الصباح الصامت تراقبهم السماء الشاسعة على الطريق تُنخّل تحت أقدامهم الرمال الغريبة ذات اللون الأزرق والأبيض الدخانى قال : «نحن ها هنا ــ ومن المريخ إلى أين ؟ إلى المشترى ، إلى نبتون ، إلى بلوتو .. وهكذا .. هذا صحيح وباستمرار لماذا ؟ يوما ما ستنفجر الشمس كالفرن الذى نفدت منه الطاقة وستنفجر الأرض ، ولكن قد لا ينفجر المريخ وإذا انفجر المريخ قد لا ينفجر بلوتو . عندئذ أين سنصبح ، أين سيصبح أحفادنا ؟ .

هذا هو السؤال !

حملق فى ثبات إلى السماء الصلدة كالصدفة ذات اللون البرقوقى وقال : «لماذا ؟ ربما سنصبح على عالم ما له رقم مثل كوكب ٦ من النظام النجمى رقم ٩٧ أو كوكب ٢ من نظام رقم ٢٢ .. اللعنة .. اللعنة ! أو بعيداً عن هنا ، لابد لك من كابوس حتى تستوعبى ذلك . سنكون قد ذهبنا ــ كما ترين ــ ذهبنا بعيداً فى أمان . لقد فكرت مع نفسى آه .. آه إذن هذا هو

السبب الذى جعلنا نأتى إلى المريخ .. هذا هو السبب فى أن ينطلق الناس بالصواريخ . قالت « ويل ! » قال «دعينى أكمل .. ليس لادخار المال أو للسياحة . هذه هى الأكاذيب التى يدعيها هؤلاء الناس ؛ إنها الأسباب الخيالية التى يدعونها ؛ أن يصبحوا أغنياء .. أن يصبحوا مشهورين — هكذا يقولون ، للتسلية أو الدوران حول الكواكب — هكذا يقولون .

ولكن شيئاً آخر يدق طول الوقت فى الداخل على طول الطريق كما يدق فى سمك السلمون أو الحيتان ، والطريقة التى يدق بها بقدرة الله .. فى أصغر الميكروبات التى تستطيعين أن تطلقى عليها اسماً ! وهذه الساعة الصغيرة التى تدق فى كل شىء حىّ .. هل تعلمين ماذا تقول ؟ إنها تقول انطلق ، انتشر ، تحرك إلى الأمام ، استمر فى السباحة . إنها تقول اجر إلى عوالم متعددة ، ابْنِ مدناً كثيرة حتى يعجز أى شىء عن القضاء على الإنسان . هل تفهمين يا كارى ؟

إن الأمر ليس فقط مجيئنا إلى المريخ — إنما هو الجنس ؛ الجنس البشرى المسكين الذى يعتمد على ما ننجزه فى حياتنا — إنه لشىء عظيم ! حتى لقد يبعث الضحك ! أو يثير الذعر الشديد .

أحس بالصبيان يمشون بثبات خلفه وأحس بكارى تسير بجانبه وأراد أن يرى وجهها وكيف كانت تتقبل كل هذا ولكنه لم ينظر فى اتجاهها أيضاً .

وأردف : «إن هذا لا يختلف عنّا — أنا وأبى — عندما كنا نسير فى الحقول حين كنت صبياً نبذر البذور بأيدينا ، لما كسرت البذارة وكان ينقصنا المال لإصلاحها . كان لابد من البذر بأية طريقة للمحصول القادم . يا الهى ! . يا الهى ! يا كارى أتتذكرين هذه المقالات التى كانت تنشر فى ملحق «الصندای» وتقول [الأرض سوف تتجمد بعد مليون عام] لقد بكيت يومها عندما كنت صبياً وأنا أقرا هذه المقالات وسألتنى أمى : «لماذا تبكى» قلت : «لكل هؤلاء المساكين القادمين فى المستقبل» قالت : «لا تقلق بشأنهم» .

ولكن يا كارى هذه هى الفكرة الأساسية . إننا نقلق بشأنهم وإلا ما جئنا هنا ، فمن المهم أن يستمر الإنسان فى المسيرة . إن كلمة إنسان — وبحروف كبيرة — هى أعظم شىء فى كتابى . إنى متحيز بالطبع لأنى أحد سلالات هذا الإنسان ولكن إن وجدت الطريقة التى يحتفظ بها الإنسان بالخلود الذى يتكلم عنه دائماً .. فها هى الطريقة .. أن ينتشر ويبذر بذوره فى الكون ، وسوف يجنى المحصول رغم السنوات العجاف التى قد تأتى على الطريق .

لا يهم أن تصاب الأرض بالمجاعات أو صدأ الحبوب فسيُنقل محصول القمح الجديد للإنسان فى بلوتو أو إلى أى مكان يستطيع أن يصل إليه الإنسان فى الألف سنة القادمة .

إنى مجنون بالفكرة يا كارى .. مجنون .. فحين وجدتها أخيراً وجدت نفسى منفعلاً بشكل مثير حتى لأوَدّ أن أشُدك ، وأشُد الأولاد وأقول لهم ، ولكن .. اللعنة ! إنى أعلم أن هذا لم يكن ضرورياً .. إنى أعلم أنه سوف يأتى اليوم أو تأتى الليلة التى تسمعون فيها هذه الدقة فى داخلكم أيضاً . وسترون ولن يتفوه أحدكم بشىء من ذلك مرة أخرى . إنه كلام عظيم يا كارى .. أعرف ذلك فهذه الأفكار تصير عظيمة بالنسبة لرجل يبلغ طوله خمسة أقدام فقط ولكن أحلف بكل ما هو مقدس .. هذا صحيح !

تحركوا خلال شوارع المدينة المهجورة يستمعون لصدى خطواتهم . قالت كارى : « وهذا الصباح ؟ » قال : «سأحدثك عن هذا الصباح أيضاً . إن جزءاً منى يريد أن يعود للوطن ولكن الجزء الآخر يقول إذا عدنا فقدنا كل شىء ؛ لذا فكرت فى أهم ما يقلقنا — إنها بعض الأشياء التى كنا نمتلكها قديماً ؛ بعض أشياء ، الأولاد ، بعض حاجاتك وحاجاتى .. وفكرت ماذا لو استخدمنا شيئاً قديماً لنبدأ به شيئاً جديداً .. يا إلهى ! بالطبع سوف أستخدم الشىء القديم . إنى أتذكر من كتب التاريخ . أنهم كانوا يضعون الفحم الحجرى — منذ آلاف السنين — داخل قرن بقرة مفرغ وينفخون فيه أثناء النهار ثم ينقلون نيرانهم فى مسيرات من مكان إلى آخر ليشعلوا ناراً جديدة كل ليلة من الشرارات المتبقية منذ الصباح .. دائما نار جديدة ولكنها دائما تضم شيئاً من القديم . لذا وازنت الأمر .. هل يستحق القديم كل مالنا ؟ لا ، إنما القيمه تكمن فى استخدامنا لهذا القديم . وإلى جانب هذا .. هل يستحق الجديد كل مالنا ؟ وتساءلت : هل تميل إلى استثمار اليوم الآتى بعد منتصف الأسبوع القادم ؟ قلت لنفسى : نعم . فإذا استطعت أن أقاوم هذا الشىء الذى يشدنى للعودة إلى الوطن فسوف أغرق مالى فى الكيروسين وأشعل فيه الكبريت .

لم تتحرك كارى أو الصبيان .. وقفوا فى الشارع يحملقون فيه كما لو كانت ريح عاصفة تمر فوقهم وتدور حولهم تكاد تقتلعهم من على الأرض.. ريح بدأت تهدأ الآن .

قال فى هدوء : «لقد وصل صاروخ البضاعة هذا الصباح وستصل عليه بضاعتنا .. هيا نذهب لنتسلمه» .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صعدوا فى بطء الدرجات الثلاث الموصلة لمحطة الصواريخ وعبر الأرضية التى كانت تُرجع صدى وقع الأقدام نحو حجرة البضاعة التى كانت قد بدأت تفتح ابوابها لاستقبال اليوم الجديد .

قال أحد الصبيان : «حدثنا مرة أخرى عن حكاية سمك السلمون» .

فى منتصف الصباح الدافىء رجع الجميع من المدينة فى سيارة أجرة محملة بالصناديق الكبيرة والعلب والطرود البريدية بعضها مرتفع ، بعضها طويل ، بعضها قصير وبعضها مسطح ، كلها مُرقمة ومُرسلة فى نظام باسم رجل واحد هو «ويليام برنتيس» نيو توليدو ــ المريخ .

قالت كارى « ويل ! » وكررتها مرة ومرة «ويل».توقفت الشاحنة امام الكوخ وقفز الصبيان وساعدوا أمهم على الخروج من الشاحنة . جلس «ويل» للحظة خلف عجلة القيادة ثم خرج فى بطء ليحوم حول السيارة يتفحص خلفية الشاحنة والصناديق . عند الظهيرة كانت قد فُتحت كل الصناديق ما عدا واحدا، ووضعت محتوياتها على الأرض فى قاع بحر المريخ الجاف حيث وقفت الأسرة بينها .

ونادى «كارى» ، وقادها إلى درجات المدخل القديمة على حافة المدينة .

قال : «انصتى إليها يا كارى .. وصرّت الدرجات تحت وقع الأقدام وهمست .. ماذا تقول ؟ اخبرينى ماذا تقول ؟ و

وقفت على الدرجات الخشبية القديمة صامتة ــ لم تستطع أن تخبره . قال ملوحاً بيديه : «شرفة المدخل الأمامى هنا ، حجرة المعيشة هناك ، حجرة الطعام ، المطبخ وثلاث حجرات للنوم .

سنبنى جزءاً جديداً .. بالطبع كل ما نملكه الآن شرفة المدخل الأمامى وبعض أثاث حجرة الاستقبال والسرير القديم» .

قالت : « كل هذا المال يا ويل ! » .

استدار مبتسماً وقال : «أنت لست مجنونة انظرى الآن نحوى .. أنت لست مجنونة . سنأتى بالباقى كله الشهر القادم .. العام القادم ــ الزهريات المزدانة وهذه السجادة الأرمينية التى أهدتنا أمك إياها عام ١٩٦١ .

والآن دعى الشمس تنفجر كما تشاء !

نظر الجميع إلى الصناديق الأخرى المرقمة والمكتوب عليها كرسى الخيرزان الهزاز للمدخل الأمامى ، ومهزة الأطفال المجدولة والكريستال الصينى المعلق .

قال : سأنفخ فيه بنفسى حتى يرن» .

ثبتوا الباب الأمامى أعلى السلم بنوافذه الزجاجية الصغيرة الملونة ونظرت كارى من خلال نافذة الفراولة .

قال : « ماذا ترين ؟ » .

لكنه كان يعرف ماذا رأت لأنه حدّق خلال الزجاج الملون أيضاً ــ فهذا هو المريخ وقد دب فى سمائه الباردة الدفء ... ها هى ذى بحاره الميتة وقد توهجت بالألوان ... وها هى ذى تلاله وقد باتت روابى من الثلج الملون بالفراولة ... وها هى ذى رماله وقد أصبحت كقطع الفحم المحترقة تذروها الرياح .

نافذة الفراولة .. إنها نافذة الفراولة تنفخ فى الأرض الواناً وردية ناعمة وتملأ العقل والعين بشعاع من ضوء الفجر لا نهاية له .

سمع نفسه يقول وهو ينحنى ناظراً خلال النافذة :

«ستتغير ملامح البلد خلال عام وسيصبح الشارع وارف الظلال وستصير لك الشرفة الأمامية والأصدقاء.لن تكونى فى حاجة شديدة إليها آنذاك . ولكن عندما نبدأ هنا بالقليل ، ونرقب هذا القليل ينتشر ــ نرقب المريخ وهو يتغير فستعرفينه كما لو كنت قد عرفته طوال حياتك .

قفز درجات السلم إلى أسفل حتى آخرها بينما رقد صندوق أخير يلفه القماش لم يفتح بعد . فتح ثقباً فى القماش بالمطواة وقال « خمنى ! » .

قالت : « موقد المطبخ ! الفرن ! » .

قال وهو يبتسم ابتسامة رقيقة : «لن تعرفى ولو بعد مليون عام . غنى لى أغنية» .

قالت : «لقد فقدت صوابك تماماً يا ويل» .

ألح قائلاً : «غنى لى أغنية تساوى كل المال الذى كان لنا فى البنك ولم نعد نملكه الآن . ولكن لا يهم» .

«لا أعرف غير أغنية «جنيقييف» .. «جنيقييف» « جنيفييف الحلوة» .

قال : « غنّيها لى» .

ولكنها لم تستطع أن تفتح فمها لتبدأ الأغنية .

رأى شفتيها تتحركان وتحاولان ولكن دون صوت .

مَزق القماش أكثر ودفع يده داخل الصندوق يتحسس ما بالداخل فى هدوء ثم بدأ يغنى بنفسه حتى حرك يده مرة أخيرة .. عندئذ برز وتر البيانو واضحاً يهتز فى هواء الصباح .

قال : «ها هو ذا .. هيا نغنيها بكل ما تحمل من معان حتى النهاية .. كلنا .. هذا هو التناغم .

القاهرة : ترجمة : جيلان فهمى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الدم فوق السطح

ابراهيم عيسى

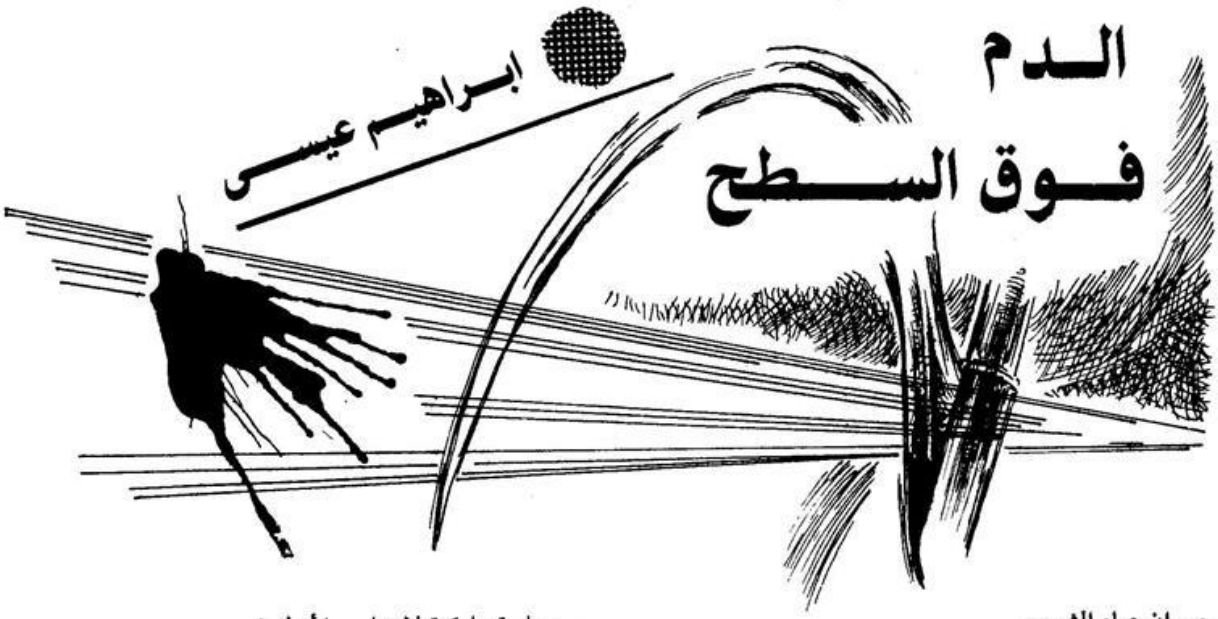

دوران عباد الشمس

عبر القناة الضيقة التى تفصل بين أعواد القصب فى حقل أبيه الصغير . . يطل على شريط السكك الحديد القادم من المدن البعيدة للمدن البعيدة . . الصباح يعلن عن نيته الأولى فى اشعال الأرض شمساً . . وأقدامه بالحذاء العسكرى الضخم تصعد فوق كومات الأتربة الطينية التى شربت أول قطرات الندى الصباحى . . مع سريان الماء الزاحف من الترعة المجاورة . . أحكم الحزام الأخضر المشدود حول خصره . . جذب عود قصب ملفوف بالأوراق الخضراء الخشنة ، نزع أطرافه العلوية ، وشرع فى انتزاع غطائه القصبى ، لكنه عاد فألقاه فى أحضان الأعواد المنتصبة . . لقد تشاجر مع والده على زراعة هذا الحقل قصبا . . فالفلاح الذى يُفلس هو وحده الذى يزرع القصب فى القرية . . ضغط على القبعة العسكرية فوق رأسه . . وخرج من الحقل للقضبان الممددة منذ طفولته فى المدرسة والجرى وراء الرفاق . . قذف حجارة القضبان . . التلهف على زئير القطار القادم . . الجرى فى الحقول وإلقاء الطوب على نوافذ القطار الزجاجية . . صفارات الجنود النائمين والقائمين على سطح القطار تطغى على آذانهم الصغيرة . . يجرون مبتعدين ولعنات الجنود تلاحقهم . .

خطف نظره الديزل الأحمر الرهيب الذى يقطع الطريق كما يؤكد زملاؤه المجندون فى ساعتين فقط بين القاهرة والاسكندرية كلما ناموا فوق سطح قطار . . داعب الزميل زميله :

ـ جلسة ملوكية لا يحلم بها أبوك !

ـ قال يعنى نائم فوق الديزل الأحمر !

كان الديزل الأحمر قد اقتحم عينه عندما لمحه واقفا فوق القضبان معطلا عن الحركة . . لم يمهل نفسه للتفكير . . جرى . . اقترب من الديزل . . وضع قدمه اليمنى على الحافة الظاهرة من إحدى العربات . . مدّ قدمه اليسرى نحو الحاجز بين العربتين ضم ساقيه على الكائن الأسود المطّاطى الذى يجمع العربتين معاً . . حضن بذراعيه سطح القطار . . زحف بجسده حتى وصل صدره فوق السطح . . رفع جسده دفعة واحدة . . اندفع بقدميه فوق السطح . . استنشق الهواء العلوى . . فتح صدره لكل نسمات الصباح المرواغة . . ابتسم . . ضحك ضرب بكفيه صدره المنتفخ . . أخذ يجرى فوق السطح . . محافظا على توازنه . . فرد ذراعيه عن يمين وعن يسار . . وغنى لعبد الحليم حافظ أغنيته الأخيرة . .

كان القطار ينسحب فوق القضبان . . يعلن عن عزمه على الانطلاق . . للحظة . . اهتزت قدمه اليمنى . . لكنه عاد فثبت جسده على سطح القطار وهو يلمح القرية تبتعد وتحضن نظراته المعلقة نبات عباد الشمس الذى زرعه عمه فى أول القرية . . فى قيراط كامل ، تنتصب الأعواد بزهورها الصفراء المنتشية تستقبل الشمس المشرقة . . تدور معها وتلف . . وتزهو بها وتجف . . كما علمه أستاذ الجغرافيا فى ابتدائى . .

حياتها مع الشمس . . تموت إذا غابت . . وتنطفىء

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتنكمش أوراقها على نفسها . .

ـ ياسلام ياأستاذ !

منفذ للخروج

كان جالساً على المقعد المجاور للنافذة ، بعد أن اشتبك مع أحد الركاب على حقه فى الجلوس مكانه . . طالما يملك تذكرة محجوزة من المحطة . . تدخل مفتش التذاكر . . رفض الراكب الرضوخ للحق . . زعق فيه . . وانتفضت كلماته الصادرة من فمه كطلقات الرصاص الطائش . .

أذعن الرجل أخيراً . . فعاد إلى مقعده المحجوز فى القطار الأحمر الذى طالما حلم بركوبه حين يذهب إلى القاهرة فى رحلاته المتقطعة لها بحثا عن أختام أوراقه الرسمية . . فرد ظهره على المقعد . . وضع صحيفة الصباح فى الكيس القماشى لظهر المقعد المواجه . . مال برأسه على الزجاج الذى حجز الشيش البلاستيكى عنه مناظر الحقول والترع . . والمدن الصغيرة . . وأرصفة المحطات التى تعبر أمام العيون . . نظر حواليه يبحث عن طريق إخراج هذا الشيش ، خشى الحرج أمام الراكب المجاور ونظرات الرجل الخاسر لمعركة المقعد تتابعه بحقد لا يبذل جهداً فى إخفائه . .

قرر أن يتقبل هزيمته أمام الشيش ، ويكتفى بقراءة الصحيفة . . عندما التفت إلى الزجاج لعله يلمس منفذا للنظر ومنفذا من الحرج ، داهمته قطرات حمراء فوق « الشيش » ، تلقى برذاذها على الزجاج ، حملق بعينين فقدتا القدرة على الإغماض . . زحفت البقع الحمراء ، انتشرت . . بدأت تتساقط كبقايا قطرات الماء فى صنبور منزله المعطوب .

ارتجفت فرائصه . ارتعشت أصابعه وهى تبحث عن مكان لنزع هذا « الشيش » . . قام مرتعداً ، يتابع اتساع بقع الدم . . نظر حوله متلهفا لاهثا . . تخبطت أصابعه فى المساحة المحيطة بالنافذة . . أزاح الستائر الصغيرة . . أثار ارتباكه خوف جاره فى المقعد . . التفت إليه الركاب برؤ وسهم المطلة من المقاعد . . نهض جاره ومد يده نحو مقبض « الشيش » حرّكه . . وجلس . .

بدأ « الشيش » ينسحب من أمام النافذة ، تصلبت نظراته على اللون الأحمر الذى غطى النافذة تماماً . . أزاح أقدام جاره . . داس على حذائه . . وهو يرتجف بالحمى . . جرى فى الردهة بين المقاعد . . اصطدم ببائع المياه الغازية يجر عربته الصغيرة . . وصل إلى باب عربة القطار . . جذب مقبضها فامتنع . استمات عليه فانفتح فجأة . . خرج برأسه من الباب بينما تشبثت كفاه بالأعمدة الطولية المثبتة فى جانبى الباب . . نظر إلى سطح العربة . . وجد الجثة فوق العربة . . تطل برأسها . . تنسكب الدماء على النافذة والقضبان . . تتوه بقع الدم فوق الأرض التى ينهبها القطار نهباً .

حطام الكوب الزجاجى

خرج من كشكه الصغير المبنى بجوار المزلقان . . تهتز أخشابه وترتعد قوائمه كلما صرخت القطارات عابرة للمزلقان . . تعود ارتعاش الكشك . . وهمود جسده فوق الأريكة الخشبية المغطاة بفراش بال تطل عيناه كلما استيقظ من نومه المتقطع على الموقد الغازى وعدة الشاى . . والمشجب المعلقة عليه ملابسه الزرقاء التى تنتمى لعمره الطويل فى هيئة السكك الحديدية منذ هجر أهله وبلدته وسكن هذا الكشك . . يرفع يده بصفارته إلى فمه الذى خلا من الأسنان . . يطلق صفارته المحذرة من عبور السيارات المزلقان ساعة انطلاق القطار . . والنفير المنتظم من إشارة المزلقان التى تحمل علامة الخطر والأضواء الحمراء المختفية فى الصبح المضىء . . وضع الكوب تحت فوهة ابريق الشاى الصفيحى كالح القاع . . صب السائل الأحمر الساخن ، المتعة الوحيدة فى هذا النهار الطويل الذى يسرق عمره وأسنانه وظهره المحنى فى هذه اللحظة سيمر القطار الأحمر السريع ، يدهس الصمت وعجلات السيارات التى تمر فى الطريق الزراعى منذ عشرات السنين . . كان قلبه مطمئنا على كشكه الصامد فى وجه الزمن . . حتى جاء هذا القطار الأحمر اللعين الذى هدد كشكه بالموت بزلزال مروع . . كانت أصابعه تتحسس جدران الكشك الخشبى بعدما يمر القطار . . يلثم بشفتيه الفراغ بين أخشابه كأنه طعم الشفاه التى لم يلمسها طوال سنينه البعيدة . . أمتلأ الكوب عن آخره . . أمسك به . . خرج من الكشك . . دقت الصفارات فى المزلقان . . تعلن قدوم الوحش الأحمر . . اخترق القطار الفضاء . . لمح بنظراته المكدودة جسداً معلقا فوق السطح . . تنهمر الدماء منه فوق الأرض . سقط كوب الشاى من أصابعه . . تكسر تحت قدميه . . ضاع صوت حطام الكوب تحت هدير القطار . . بينما تصلبت قدماه فى الأرض التى ينهبها القطار نهباً . .

دقات البندقية

أمسك بالبندقية الآلية القديمة التى تؤنس وحشته فى خدمته الصباحية التى تمتد من ظلمة منتصف الليل حتى موعد قدوم القطار الأحمر الذى صار علامة لانتهاء خدمته . . ومجىء زميله

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ليتسلم عناء تصلب الساعات الممتدة من أجل حراسة الأنابيب الخضراء ذات الصنابير الضخمة المرفوعة فوق الأرض . . يجرى البترول فيها للمنطقة الصناعية التى تبعد « كيلو مترات » عديدة عن شريط القطار . . جلس على المواسير الضخمة المتسعة الخضراء . . يراقب السيارات التى تمر على الطريق الزراعى كل ثانية من عمر خدمته . . شغل نفسه بعدها حينا . . واحد . . اتنين ثلاثة . . أربعة . . مائة . . مائتين . . وأربعين . . وستين . . ثلاثمائة . . ثم يذهب به الملل إلى حدوده الأخيرة . . فيغير من طريقته . . يصف لونها . . حمراء . . خضراء . . حمراء . . بيضاء . . صفراء . . ثم تموت الكلمات وتتكرر الألوان حتى يفقد قدرته على اللحاق بها . . يدق بكعب بندقيته التى لم تخرج منها رصاصة واحدة الطوب المحشو تحت القضبان » كان عمال الدريسة يسامرونه فى الأيام التى أصلحوا فيها القضبان . . الشاى والغداء ومداعباتهم الخشنة . . ودقاتهم على الأرض . . رفعهم لأجولة الحجارة والزلط . . وسيارات النقل التى ترحلهم من مكان لآخر . . ثم يرحلون وترحل معهم أحلامه فى مرور الوقت الذى طال وكتب له الخلود منذ تسلمه هذه المهمة الثقيلة . . لكن الزئير القادم من بعيد . . ينبىء باقتراب موعد عبور القطار الأحمر . . ومجىء زميله . . ثوان ويعدو القطار ناهباً للأرض نهباً . . يصطدم الريح الذى يصنعه بوجهه . . ويملؤه الغبار من عبوره الصاروخى . . اقترب القطار . . وانطلق . . لكن عينيه المفتوحتين ، التصقتا بالجسد المسجى فوق سطح القطار يهتز ويرتج ارتجاجاً . . الدماء تسقط منه والهواء يرمى سترته العسكرية عن جسده . . قبضت أصابعه على البندقية . . التى التصقت بكفه الخشنة التى ماتت عن الحركة . . فات القطار والجثة تسكن عينيه اللتين ارتعشت أجفانهما ، وتحركت يده على البندقية . . رفعها للسماء . . تصلبت أصابعه على الزناد . . وأطلق رصاصته الأولى من البندقية القديمة . . اختلط صوت الرصاص بصراخة المشروخ . .

القاهرة ـ إبراهيم عيسى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

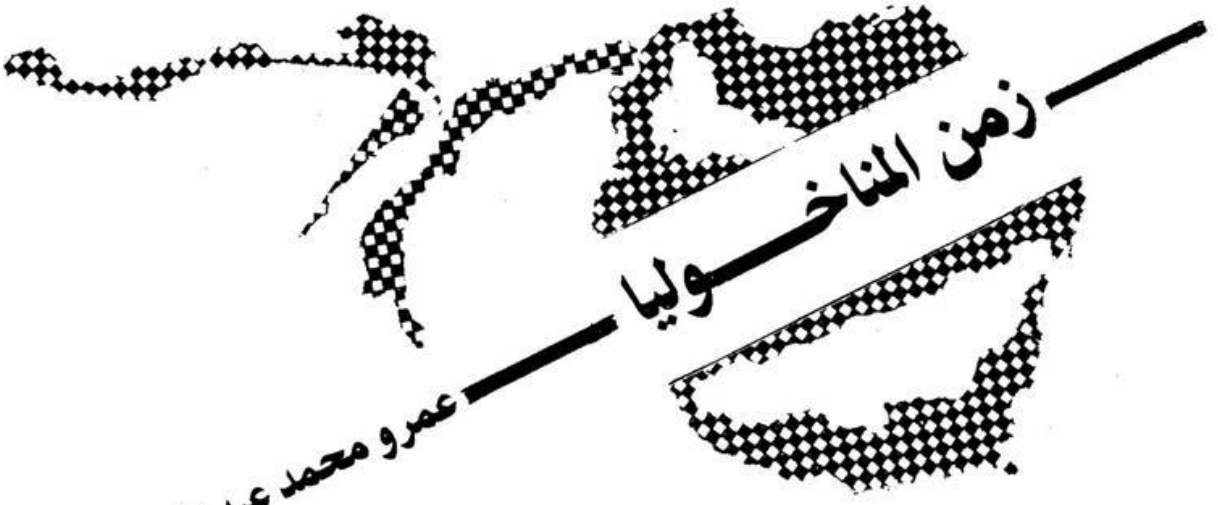

صاحب الصندوق

الولد الشامى ــ ابن العربى سلامه بائع اللب فى محطة سوهاج ــ تراه فى القهوة ، فتحسبه درويشا صغيراً من دراويش المولد ، ربعة ، ضئيلا فى جلبابه الصعيدى المنقوش بكل الألوان ، وعلى كتفه يتدلى صندوقه الخشبى ، الذى يمتلىء بعلب الور نيش وزجاجات الصبغة والخِرق القديمة ، فيسرى الوجع فى ظهره المجذوب إلى حد الانحناء .

طق .. طق .. طق ، يدق صندوقه بفرشة سوداء ، ناظرا إلى الأحذية ، منبها أصحابها المنهمكين فى الدومينو والشاى وحرب لبنان والمرأة التى ذبحت زوجها والسجائر ، وتدهور مستوى المنتخب الكروى ومنحة العيد والبحلقة فى بنات المدارس و .. و .. و .. واللاشىء !

« تلمّع يا أستاذ ؟ » . يقول الشامى ويحرص أن يخرج صوته مسموعاً فى غير إزعاج ، يتقافز بخفة بين الكراسى ، قد يلكزه واحد على ظهره ، وقد ينظر إليه آخر بقرف ، وربما وجدت شلة شباب فى العبث به متنفسا سهلا من كبت أيام خانقة .

مساكين .. طول عمرى أعرف أنكم مساكين ، مثلى تماما ، لكنكم تدهنون رؤوسكم بالفازلين وتتعطرون بالكولونيا ، فقط .. أعرف جيدا أن ما فى جيوبكم الواسعة قد لا يكفى ثمن أكواب الشاى ! .

يدور الشامى فى القهوة ، يتفصد العرق من جبينه ، ينزل على عينيه ، الحمل ثقيل على الظهر الموجوع ، لكنه لا يمل ، بين لفة ولفة ينزوى لحظات فى ركن ، يحط صندوقه ويقعد جواره صامتا ، يفرد ظهره ، يسلمه إلى ملاسة الحائط ، يُطلق لعينيه حريتهما ، يبلع باشتهاء مع زبون يرشف من الكركدية الذى يحبه ، تأتيه من التسجيل « الهوى هوايا » فيدندن مع عبد الحليم ، ويبنى لجمالات بنت رفاعى القصر العالى ويبتسم ويهرش شعره الأكرت بنشوة ، وحين يتذكر سحنة المعلم المقلوبة ــ عند حساب صبيانه آخر الليل ــ يفيق ، ويفز ليخطف الصندوق على كتفه ، تؤله الحركة المفاجئة ، يشعر بطقطقة فقرات ظهره ، يتأوه ، ثم يعاود اللف آملا فى فيض الكريم ! .

صاحب الطربوش

مال الشامى برأسه ، وخفق قلبه كحمامة ذبيحة ، عندما أشار إليه أحد الزبائن بسبابته : « تعال يا .. » !! هل قفز على البلاطات الفاصلة أم طار ؟ . « بسرعة عندى شغل مهم » ! قال الرجل ونظر إلى ساعته . « أمرك يابيه » ! رد الشامى وتأهب لإنزال صندوقه ، لكنه توقف فجأة عندما نظر إلى الأرض .. كان الرجل يدس قدميه فى حذاء أبيض من الكاوتش ! اندهش الشامى وتأمله بإمعان : كان وجهه غير مألوف ، يكبس رأسه فى طربوش أحمر ، يلبس بذلة ويمسك بمنشة من شعر ذيل الحصان ، يهزها بقوة حول زجاجة كوكاكولا أمامه ، يطارد ذبابا وهمياً ، فيهتز زر طربوشه إلى اليمين وإلى الشمال ! .

« لكن ده ما يتلمعش يابيه » قالها الشامى بعجب ، فرمقه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الآخر بازدراء . « لمعه وانت ساكت » ! كانت اللهجة حاسمة ، انقلبت لها سحنة الرجل ، وانقبض منها قلب الشامى ، سادت لحظة صمت ، هل شعرت بخوف يا ابن العربى ؟ وماذا ترى قد دار برأسك حين اقترب منك الرجل وقال بإغراء : « طيب .. لمّعه ولك عشرة جنيهات » ، قال الرجل ودس يده فى جيبه ، وأخرج منه ورقة من فئة العشرة جنيهات ، فردها على كفه ، عشرة صحيحية ، حمراء ، ملأت عينيك ياشامى ! بلعت ريقك وأنزلت صندوقك على الأرض ، بدالك الرجل جاداً .. عشرة .. لم يرها جدك المرحوم سلامه ، قد يكون رآها .. لكن أمسكها بيده ؟ .. ماذا تفعل بها ياولد ؟ .. آه .. من زمان تشتهى الفراخ المشوية ، تقف أمام الشواية ، تبص إليها بوله وهى تدور ببطء وسط اللهب ، فيدور معها دماغك ويسيل لرائحتها لعابك ، نعم ، تشترى فرخة كاملة ، تلتهمها وحدك تأخذ البنت جمالات السينما ، حفلة ٩ فيها فيلم إعلاناته على الحيطان تسجر ، ستتمنع بنت الكلب فى البداية ، لكنها — حتما — ستدخل فى فستانها النص كم وتأتى معك .. ولكن .. ؟!

حسان الشمندى — زمان — قال له العمدة فى عرس ولده : ارقص ياحسان لولدى رقص الغوازى ، واعطيك جلابيه صوف ، فربط حسان وسطه بشاله ، ورقص ورقص فضحكت عليه البلد وغنت : حسان الغازيه .. راح ياخد جلابيه !!

تردد الشامى ببصره بين زحام الشارع وطربوش الرجل ، صدت أذناه ضجة الكون . مسح بيده على جبهته ، لوى بوزه ، وزفر بقوة ، قبل أن يبحلق فى الرجل ويصفعه برده : « الكاوتش ما يتلمعش يابيه » !!

لا يدرى لم شعر بارتياح عندما قالها ، بوغت الرجل ، ارتفع حاجباه ، هز المنشة بعصبية ، فانسكب لون الطربوش على وجهه ! « لكن أناقلت يتلمع يعنى يتلمع » ! ، « ياحول الله .. يابيه ده كاوتش » ! .. ضرب الشامى كفاً بكف ناظرا للناس مستنجدا ، فزّ الرجل واقفا ، وكور قبضته وهوى بها على الترابيزة ، فاهتزت الكوكاكولا وصرخ بعلو الحس :

« أنت بتعارضنى ياجربوع ؟ ، ياحراس .. تعالوا امسكوا الجربوع ده .. ياحراس .. يا ! كانت القهوة قد التمت ، وكان صوت الرجل أجش ورأسه يهتز فى هستيريا حاول الجرسون أن يتحدث إليه ، لكنه أزاحه من طريقه وشق الجمع يرغى ويزيد ، تابعته العيون حتى بلعه زحام الشارع ، فارتدت كلها إلى الشامى الواقف مزهولا ! .

زمن المناخوليا

قهقه البعض لما سمع الحكاية ، بينما اكتفى البعض بالإبتسام ، تمتم واحد وهو يشرب الشاى : « مجنون قابل غبى » ! مط الشامى شفتيه رفع الصندوق إلى كتفه ، وابتسم وهو يلعن بصوت مسموع « زمن المناخوليا » ، ثم عاود اللف تتبعه العيون ، فرد جسمه ودندن مع عبد الحليم : « وأبنِلك قصر عالى .. آ آ ..عالى » ! ، طقطق ظهره ، لكنه لم يشعر بوجع .

باكو : عمرو محمد عبد الحميد

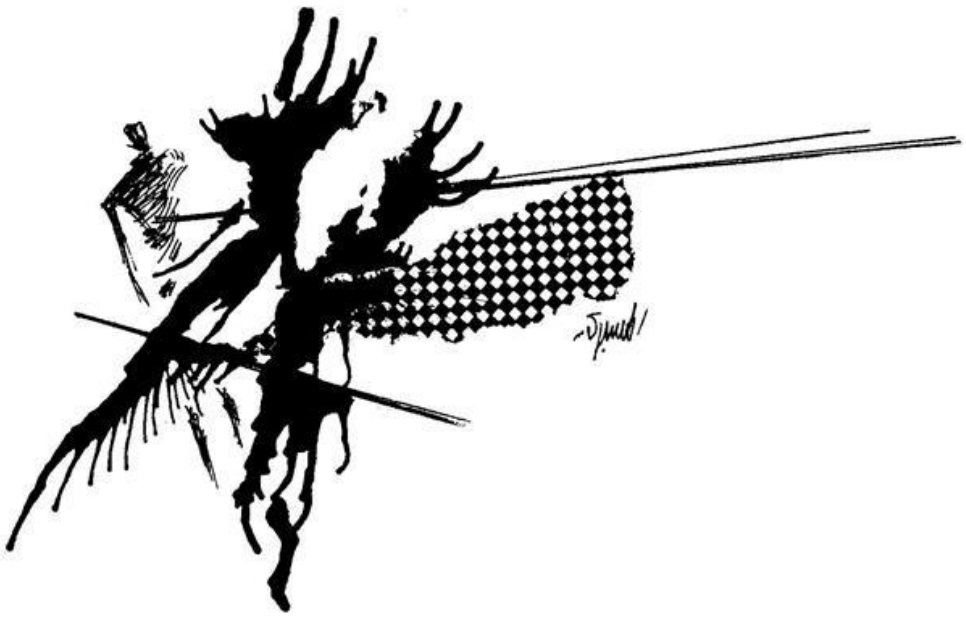

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الكـــــرز

ليـــلى الشـــربينى

ـ انظرى إلى الربيع إنه يطل عليك .. انظرى .. فقط انظرى ..الا تشدك تلك الأزهار إلى الحياة ؟

ـ كم هو دارج كلامك هذا ياعزيزى !

الأزهار .. الأزهار والربيع ، كم احببت وانت تعلم ... ذلك الخليط من الأخضر الزيتونى .. لون براعم تلك الشجرة .. وازهارها الوردية .. لكم احببتها وهى ترسم على زرقة السماء .. فى هذا الشهر من السنة إحدى روائع الفن اليابانى .

لكن اليوم .. اليوم

اليوم راسى فوق الوسادة .

وجسدى ثقيل .. وانت .. انت بعيد .

ـ انا .. !

نعم انت

اشاحت بوجهها وذهبت نظرتها عبر النافذة إلى شجرة ..

وانحدرت من عينها دمعة سخيّة

مدّ يده امسك يدها

ـ لم احبّك مثل ما احبك الآن

لا تقتلينى

لا تبتعدى عنىّ

انت ...

ـ انت ...

ـ انا ...

احتبس الكلام فى حلقه ...

ـ لااحب الوداع

ـ ماذا لو صففت شعرك ؟

اتودين ان اطلب لك حلاق المستشفى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ سآخذ إذناً من الطبيب وسنخرج للعشاء .. سأمسك بيدك .. وسنمشي الهوينى .. ونـذهب حيث الكمان ...حيث النغم ..

حبيبتي ...

ـ الشجر جميل في هذا الشهر ..

ـ خذي هذي « الروزاس» أتيت بها لك .. دعيني أضعها حول عنقك .

دعيني أيضاً ألف هذا الخيط حول إصبعك .. سيكون هذا الخيط مقاساً لأجمل خاتم .. وسنحتفل سوياً ...

ـ بالشجر المزهر

ـ سيأتي ربيع .. وربيع .. وربيع آخر ..

ـ وفي كل ربيع ..

•

ـ خذني إلى الحديقة .. خذني الآن ...

ـ الطبيب ..

ـ دع الطبيب .. دعه ... أسندني حتى الحديقة .

ـ ... ...

نظرت إلى المرآة فوق الحوض .. شعرت أن وجهها كالح ..

نظرت إلى عينيها اللتين غسلهما الدمع ...

حاولت الإمساك بالمشط لتسوى شعرها ... أحست بيدها ثقيلة .. وأن المجهود الذي تبذله لتسريح شعرها كبير .. كبير .. ودت لو أرخت ذراعيها وتركت المشط يسقط .. حيث تقف .

ودّت لو عادت إلى السرير .. تماسكت .. وسوّت بعض خصلات شعرها .. أبرزها .. تلك اللواتي في مواجهة المرآة ..

عزمت على مغادرة الحجرة

ودّت لو ابتسمت

نظرت إليه ..

ـ إلى أين أنت ذاهب ؟

ـ .....

ـ لم ارتديت تلك الثياب الأنيقة .. هل أنت مدعو .. اليوم . !

ـ لا

ـ إذن

ـ لك ...

•

ـ هل أنت متعبة ! .. هل نجلس على الحشائش ! هل . !

ـ هيّا نذهب الى جوار العنبر الآخر ..

ـ أنت ...

ـ لاست مجهدة ..تعالَ ...

•

ـ أتراها !

كم هي جميلة وقت الغروب !

ـ كنت واثقاً أن المفاجأة شجرة

ـ كنت واثقة انك ستحبها .

ـ أحبك أنت ...

ـ في الربيع ...

ـ في الربيع القادم ...

رأى نفسه ينحني يضع زهرات الربيع الوردية على المثوى الموحش ... في الربيع القادم

احتبست دمعة في عينيه ..

لم تر دمعته وهي تنظر إلى الشجرة .

القاهرة : ليلى الشربيني

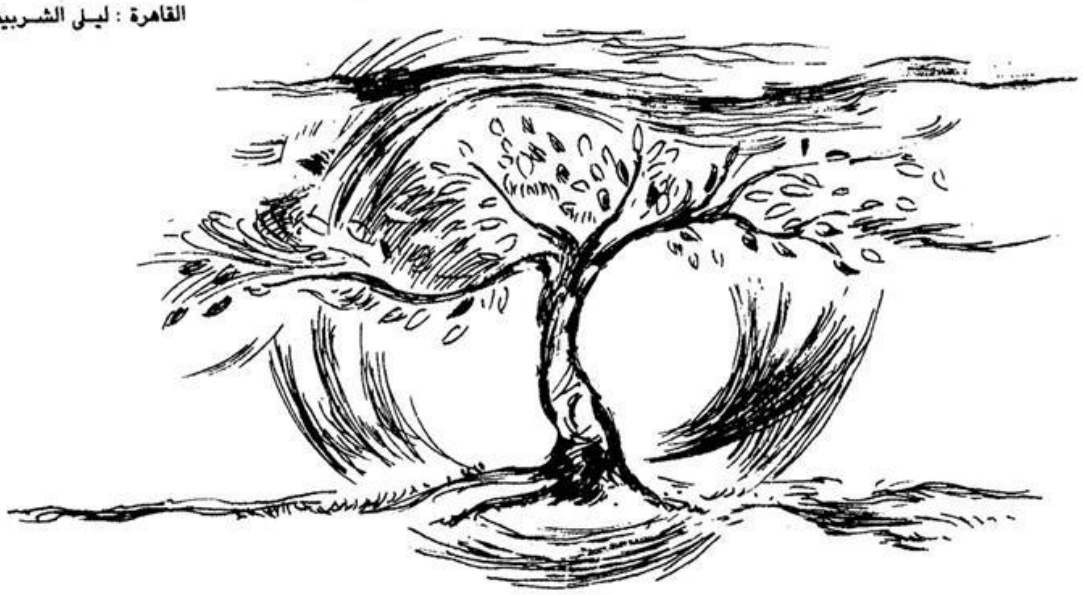

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

النغم والشجن

سعد القرش

كأننى حين دخلت ، أزحت أكوام السعادة .

من أول الحارة ، والنساء يمسكن بخيط الغناء . أتعلق بيدها متمنية لهاالخير . أفكر : كيف أبيت ليلتى ! . فيما تشتبك يدها الأخرى بالذراع الممنوحة لها ... ذراع العريس . تدس المرأة يدها فى قلب العلبة الصفيح . ثم تمطر قطرات الملح على رؤوسنا ، وتتناغم الأصوات بلا اتفاق : ياحسود إرجع ورا .

الوحيدة التى تمنيت رؤيتها ، كانت هناك . غائبة . لا احتاج إلا إليها فى هذه الليلة . تصافح عينى وجوه النساء ، دون العثور على الوجه ذى الملامح الثابتة . لا أذكر أنى رأيت وجهها . هى رأتنى كثيراً ، لكننى أراها دائماً فى وجه .. أختى .. العروس .

.... كأننى - وأنا ابنة الأعوام الثلاثة - أحس بدفء يديها .تنميني . تهدهدنى . تغنى لى . تضاحكنى حين أصحو . تنهر أختى إذا ضايقتنى . لا تعبس فى وجهى إذا بكيت وايقظتها من النوم .

أمى ... الوحيدة . الغائبة الحاضرة .

نصل إلى باب الدار . الغربال يتربع على العتبة ، تستقر به حصوات الملح الأبيض . النساء يتحلقن حول العروسين مصفقات . يهبط الصمت فجأة . تقول إحدى الجارات كأنها تحذر العريس : « إسمع » . ثم يتبدل صوتها تماماً ، تلبسه النعومة ، فيصير عذباً :

«إوعى لها ياواد ... إوعى لها ...»

« حلة الاتفاق » تشق بها إحدى قريباتى الطريق إلى الباب . تدلف إلى الداخل وتخرج بسرعة . تغمز كل العيون . تتطلع إلى العروس ..

« ياعريس إبقى افتكر .. خلى حتة من الدكر »

*

تسعة أشهر ....

بعدها غابت أمى . غابت صورتها عن عينى . لم أكن أفهم . وكانت أختى دائمة البكاء . تسعة أشهر فقط يا أبى ! ! .

أما كان يمكنك أن تنتظر أطول من ذلك ! . الحمل تسعة أشهر . .

للجنين تسعة . ثم يخرج من رحم المجهول ، إلى قبضة الحياة . الانتظار تسعة . تسعة فقط يا أبى ! ! . طلب إلى أن أقول لها « يا أمى » . كانت تحبنى ولا تحب أختى . تضايقنى أختى ، فألوذ بحضنها . أختى تناديها باسمها ، أو تقول لها « خالة » . تراكمت على الأيام ، فقالت لى أختى إن هذه زوجة أبينا . ليست أمنا . أمنا هناك . وقالت أختى إننا فى الصباح ، بعد ذهاب أبى ، وانشغال زوجته ، سوف نذهب لزيارة أمى .

أخذتنى من يدى ، إلى حجرة قديمة . انتزعت صورة من الثياب الممزقة ، ومسحت عنها غبار الأيام ، فرأيت أمى .. أمنا . واحتضنا الصورة ... وبكينا .

وحدنا فى الدار ... أختى والعريس ، وأنا .

أمدّ له يدى مصافحة ، ومهنئة ... أستدير إلى أختى . بعينيها تتعلق نظرتى . بينى وبينها خطوة واحدة . أخطوها ثم أخرج . لمن أخرج ! . وكيف أبيت ليلتى ! . معاً كنا ننام . ونضحك . أننسى مضايقات زوجة أبينا . تحكى لى عن أمى ... عن حواديتها ... تطل علينا من وجه القمر متدلياً منه إلى الحجرة ، ونوره يستلقى وديعاً إلى جوار السرير .

سوف أخرج ، وأرجع إلى الدار . الباب مغلق . أطرقه مرة واحدة . يفتح الباب على أمى .. أمى أنا .. أمنا . ضاقت بالإطار ، فحطمته . الوجه هو هو . وإطار الصورة فى الركن ، تتبعثر الحروف من شفتىّ : « السلام عليك يا أمى » . أمد ذراعى مستسلمة . أعانق الحنان القديم . تطوق عنقى بذراعيها . تقول : « عقبى لك ياحبيبتى ... سأنام معك الليلة .. وكل ليلة ، فلا تخافى » .

تمتص الدهشة أعوامى ، فأصير ابنة الأعوام الثلاثة . الصوت الرقيق هو هو . الابتسامة العذبة ما تزال . أقول لها :

« لا . لا . يا أمى ، ليس مكاننا هنا . هيا بنا » .

« إلى أين ! »

أتحامل عليها ، وأصل خيوط الدلال من جديد . أرد متوسلة :

« هيا قبل أن تعود زوجة أبى ... إنك لا تقومين على الخناق ... الا تريدين أن نذهب إلى أختى .. هيا يا أمى ... ما أجمل هذا الاسم ... أمى ..أمى ! » .

*

« يامهلبية يا ....

أنا خدت الواد دا ليّا يا ... »

يفزعنى غناء النساء ، فأنتبه إلى أن أختى أمامى واقفة . خطوة واحدة بينى وبينها . أخطوها ثم أخرج . ولن أخرج . وكيف أبيت ليلتى ! . إلى الدار .. إلى زوجة أبى .. لكننى أثق برؤية أمى .. سأراها .

أتقدم خطوة . تفتح كلتانا للأخرى ذراعيها .. وقلبها . تمتزج دموعنا الصامتة . أتخلص منها ـ لحرج الموقف ـ بصعوبة . أخرج حاملة حزم الكآبة . والنساء ينتهين ـ لتوّهن ـ من الغناء ، ويستدرن راجعات .

بنا أبو صير ـ سمنود (غربية) : سعد القرش

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من بين الجفون

محمود عبده

أشياء تتحرك فى كل اتجاه .. وسرعة حركة الناس ، ليست عشوائية بقدر ما هى سرعة من تلسعه النار ، (فودى) الذى شاهدتْه فى فيلم (الكارتون) فى العالم الذى تحده جمجمة رأسها تحتشد الأسئلة : لماذا .. كيف .. أين .. متى .... لا يستطيع تحديد معالم الشارع .. تحس فقط أنه عار .. ترفع وجهها لأعلى ، لا ترى إلا وجهاً .. أ وجهين .. وسماءً بلا لون .. كلما أحست أن يديها على وشك الإفلات من يديهما زحمة الشارع رفعت رأسها ..ربما تتعمد ذلك فجأة ، لترى وجهيهما.. ودائماً تخطىء التقدير .. ينظر كل منهما لأسفل فى الوقت المناسب ، ويبتسم لها .. تتلقى الابتسامة عن عدم اقتناع .. تحس أن الابتسامة مصنوعة .. وجاهزة .. تقرر عدم النظر لهما .. وتكتفى بتتبع هذا الإحساس الذى يتجسد فى دفء أو برودة الأيدى .... تقول أمها :

ـــ نامى

تدس رأسها تحت الغطاء .. ومن بين الفرجة تراه لا يزال يتحرك على الحائط .. تصرخ :

ـــ أمى

ـــ قلت : نامى .. يتحرك على الحائط ! .. أين هو ! .. لا يوجد شىء .. هذه صورة .

تدس رأسها تحت الغطاء ....

الأم تحكم القبض على يدها وتجذبها جهة الدكان على جانب الطريق :

ـــ أشترى لك (شيكولاته) !

ومن الجانب الآخر يقبض الأب على يدها ويجذبها وينظر لأمها بحدة :

ـــ دائماً تفكرين فيما يملأ البطن ! . أليست لعبة تنمى الذكاء أفضل لهذه الطفلة ! :

.. أصبحت تسير ويدٌ وحيدة تقبض على يدها .. والأخرى تحمل لعبة كبيرة ملفوفة .. وفضلت أن تضع (الشيكولاته) فى جيبها .. عندما تعود إلى المنزل سوف تأكلها .. وتلعب باللعبة الكبيرة .. عندما قالت أمها : ماذا بك ! فضلت الا ترفع رأسها .. وعندما أعادت عليهاالسؤال : لماذا لا تأكلين ! ولا تلعبين ! ..قالت : أنتظر أبى .. ثم انكمشت .. وعادت إلى النظر فى مكان ما ، تفكر فيما قالته الأم : (دماغك ناشفة مثل أبيك) ...

تسمع صوت المفتاح يدور فى فتحة باب الشقة .. بعدها تدب الخطوات فى أذنها ..تزداد ارتعاشة يديها وهى تحاول زيادة الفرجة فى الغطاء .. تحاول أن تصرخ .. تنحبس الصرخة فى حلقها .. تخاف أن تصحو الأم وتنهرها وتقول لها : نامى ...

الحركة تزداد فى الحجرة المجاورة .. يبحث عن ماذا ! ..يأخذ كل شىء ويمضى ! ..يفتح باب الحجرة .. يتقدم نحو السرير .. يقترب منها أكثر .. تنكمش داخل الغطاء .. تكتم أنفاسها وتغمض عينيها .. يرفع الغطاء بلمسة خفيفة .. يكشف عن وجهها .. يضع قبلة على خدها .. ثم يخرج من الشقة ببطء .

الجيزة : محمود عبده على حسن

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصتان

١ - القـــــرين

٢ -موت كومبارس

عبد السلام إبراهيم

القـــرين

ابتعلت المنازل الأقدام والرؤوس ..

ظهر شبح من بعيد .. يقترب ببطء .. يتوقف .. يقترب .. يتجه يميناً .. يساراً .. يتمدد ظله أمامه .. يصغر فيصغر .. يدور حوله فيصبح على يساره .. ثم يلف بسرعة ليختبئ وراءه ..

وقف بقامته المديدة .. يرتدى « بالطو » قديماً به رقع ملونة .. يلف حول رأسه (ملفحة) سوداء .. وأخرى حول عنقه .. ظهرت لمسات الزمن بوضوح على وجهه .. حذاؤه الكبير يصطك بالأسفلت عندما يمشى .. يمسك مكنسة طويلة ..

أخذ ينظر إلى ظله الذى استلقى على الأرض وامتد لتستند رقبته ورأسه على الحائط .. نظر بعيداً فى آخر الشارع فلمح رجلاً يأتى راكضاً .. اعتدل فى وقفته .. دعك عينيه بإصبعيه .. مر بأظافره الطويلة ــ التى تكاثف التراب بينها وبين الأصابع ــ على الخطوط الجلدية الطولية التى امتدت من أسفل عينيه لتتحور فى أشكال نصف دائرية على ذقنه .. أين الرجل ؟ أين ذهب ؟

عاد ينظر إلى ظله .. مازال نائما على الأرض !

بدأ يجر بعض الأوراق ويكومها على جانب من الشارع .. ألقى بالمكنسة على الكومة .. جلس بالقرب منها .. بينما جلس ظله أمامه متشكلا بهيئته .. واضعاً ذقنه بين كفيه ..

دفن وجهه بين ركبتيه .. الأهداب المتدلية من (الملفحة) بدأت تنتفض شملت الأجزاء كلها .. كتفاه يرتعدان .. يداه .. ساقاه .. الجسد كله يرتعش .

أخرج رأسه من بين ركبتيه .. تتساقط الدموع من عينيه لتجرى فى القنوات التى كونتها الخطوط الجلدية الطولية على وجهه .

السكون يلف المكان .

الظل يرتعش .. يرتعش .. يرتعش

نهض .. نهض معه .. أمسك بالمكنسة .. أخذ يجر تنسيه .. تحدث صوت احتكاك فصوت صدى .. يدور ظله حوله .. يطول .. يقصر .. اختفى . !

ذهب إلى مكان مظلم حتى لا يقف له ظله بالمرصاد .. !

مـــوت كـومبـارس

دلف إلى خشبة المسرح ،
الأضواء متوهجة ..
انزوى فى ركن نوره باهت .. وقف صامتا .. بينما استمر الحوار بين البطل والبطلة وقد وقفا فى منتصف خشبة المسرح .. سكبت الكشافات عليهما الأضواء .

تقدم إليه البطل بقامته الطويلة .. وملابسه الأنيقة .. وقف على بعد خطوات منه .. كلمه بينما وقف هو وكأنه شبح .. يلقى بظله على الحائط .. تاهت معالمه بين خطوط الديكور ..

عاد البطل إلى مكانه .. يحاور البطلة .. دخل ممثلون .. صالوا وجالوا .. ثم خرجوا .. مازال واقفا .. بدأ البطلان يرقصان .. علت ضحكاتهما .. تجاوب الجمهور معهما .. صفق لهما .. تبادلا القبلات

بدأت أطرافه ترتعش .. حاول أن يسيطر عليها .. يتنفس بسرعة .. انساب العرق على خديه .. اصطكت أسنانه بشدة .. ترقرقت الدموع فى عينيه ..

اقتربت المسرحية من النهاية .. دخل ممثلون .. التفوا حول البطلين .. تعالت أصوات التصفيق .. الصياح .. عبارات المديح .. أخذ يجر قدميه .. وقف فى الخلف .. نزلت الستاره ببطء ..

وقف الجمهور .. أسدلت الستارة تماما .. جرى .. نفذ من بين الستارة .. يلهث صدره يعلو ويهبط .. ساقاه ترتعشان .. خرج الجمهور .. صاح .. تاه صوته .. المخرج خلف الستاره ! ياأستاذ .. دورك انتهى .. المسرحية انتهت !

لم يعبأ به استمر .. أشار بيديه .. سالت دمعتان كبيرتان على خديه .. امتزج صوته بالبكاء : اسمعونى .. أريد أن أتكلم .. أشياء هامة .. شفتاه تتحركان .. لم يخرج صوته .. انفجر فى البكاء .. اهتز بشدة .. اشترك الصدى معه .. وقع على خشبة المسرح .

قنا — أرمنت الحيط:عبد السلام ابراهيم

ARCHIVE
http://Archive.Akhbarakhri.com

الرؤية

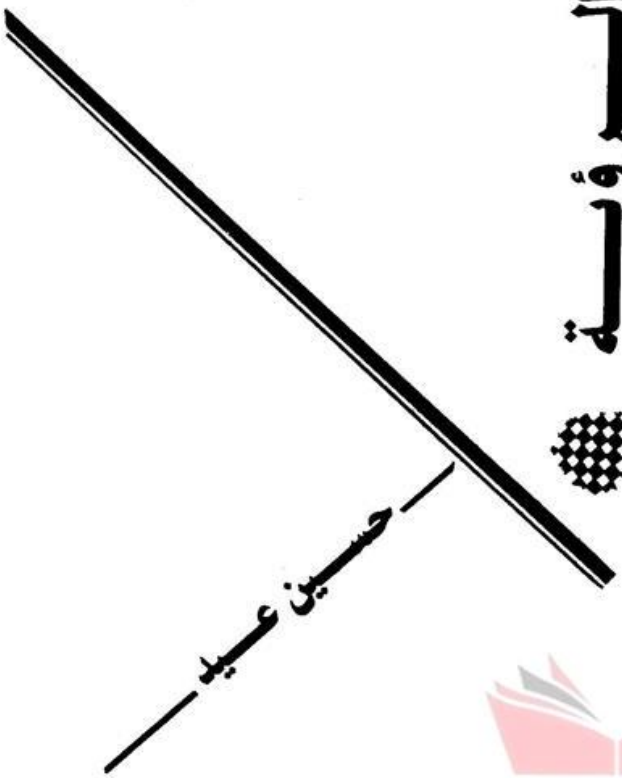

حسين عيد

زيارة واجبة :

اقتحمتُ الحجرة الواسعة . رأيت المتحلقين حول سرير أخى المريض ، يعتلون كنبة على الجانب الأيسر ، تنتهى بمائدة فى الركن عليها مروحة ، ويتوزعون على كراسى فى الجانب الأيمن .

اشرأبت الرؤوس مستطلعة ، تعرفت بينها وجوه أمى وابنة أخى « إلهام » وزوجته « زكية » . ألقيت التحية بصوت خافت ، خشية ازعاج صفوان . أفسحوا لى حيزاً على طرف الكنبة الملاصقة للسرير ، الذى يتمدد عليه أخى الأكبر ، جلست . أدرت رأسى ناحيته ، فارتطمت بضلفة زجاج نافذة الغرفة المفتوحة ، ومن وراء خصاصها المغلق سرعان ما طرقت سمعى أصداء باهتة لحركة الشارع الخارجى .

كان ضوء المكان شاحبا بفعل أشعةٍ تسربت متكسرة من (الأباجورة) ، التى تواجه الحائط مباشرة فأضفت ظلالاً حزينة على وجوه الحضور .

لفّتنى رائحة غامضة ، تشيع فى الجو ، لم أعرها انتباها . استقرت نظراتى على أخى . شاهدته مغمض العينين ، بارزة عظام فكيه وسط جلد وجهه المتهدل ، الذى انتشرت فيه شعيرات ذقنه النامية دون انتظام ، لم يكن هذا أخى الذى قابلته فى حلم الليلة الماضية ، ولم يكن ــ أبدا ــ هذا بيتنا القديم .. « **كان الأخ حليق الذقن ، مكتمل الصحة ، وافر النشاط ، واقفا معى أمام مبنى جديد ، ضخم ، رمادى اللون ، امتدت أسفله عدة محلات وارتفعت طابقين يتوسطها مدخل زجاجى ، له مقبض نحاسى لامع ، وراءه حوائط رخامية مصقولة . عبرناه معا ، إلى ممر طويل ، انفتح فى النهاية على بيتنا ذى الطابق الواحد . والذى بدا عريضا بشكل لافت للنظر ، وايضا ..** » .

يشدّ ضيف على يدى : عود حميد يا أستاذ

توقفت الرؤية . شددت على يده . تمتمت بكلمات مبهمة . ظلّت عيناه فى مواجهة عينى .. « هل كان يهنئنى بسلامة العودة ، أم كان يواسينى ؟» .

تسع سنوات فى منفاى الاختيارى ، وحيدا ، أنحت أمنية عمرى .. كنت فى الماضى « أيام الفقر » أتخيل أصحاب الأموال وأتساءل دائما « كيف يفكرون ؟» ، آملا أن أنتمى إلى عالمهم ، أن أصبح واحدا منهم ذات يوم . الآن . صرت فردا من جماعتهم ، أفكارهم ــ نفسها ــ تدور بذهنى ، أحلامهم ــ ذاتها ــ يفرزها خيالى ، وغدا المال هو المحور ، تلوك آلته كل الأفكار ، تطحنها ، تغربلها ، وشعاره المرفوع دائما « هل من مزيد ؟! » .

فتح المريض عينيه الواهنتين . انتفلتت كلمتان من بين شفتيه : هواء .. هواء !.

كان المعنى واضحا . حاولت أن أمد يدى إلى المروحة الموضوعة فى الركن القريب لأديرها ، لكن يد الزوجة كانت

اسرع ، فارتفع ازيزها شارخاً حاجز الصمت الضارب حولنا ، وهفّت مع الهواء القادم الرائحة نفسها مرة ثانية ، وقد بدت مألوفة على نحو غريب .

إستكان أخى ، وانتظم تنفسه .

سمعت الأم تدعو : ربنا يشفيك يا ابنى

التفت إليها ، متشحة بالسواد أنت دائما ، منذ بدأت أعى ما حولى ، كنت أنت السواد المجسد ، متعللة تارة بموت الأب أو أى من الأبناء أو الأحباب ، حتى ترسخ لدى شعور بالنفور من السواد ، بقدر ما كنت تجدين فيه من متعة .. أتذكرك الآن ، وهل استطيع أن أنسى كيف كنت تنحازين لأخى الأكبر وكم راهنتما كثيرا على فشلى ، حتى ظننتما حصولى على دبلوم التجارة سراباً لن أبلغه ، فإذا ميزانكما ينقلب ، وانجح فى الدبلوم بتفوق وأعمل ثم أكمل تعليمى باجتهاد خاص ، فأنال بكالوريوس التجارة ، ويتوالى نجاحى فأسافر للعمل بالخارج حتى أصبحت الناجح الوحيد فى الأسرة الكريمة !

فجأة ارتفع نحيب طفلة تحبو على السجادة التى تتوسط الحجرة . صاحت الزوجة : إلهام .. ابعدى بنتك من هنا .

رفعت عينى ، خيّل إلى أنهما تلاقتا مع عينى الزوجة لوهلة خاطفة كانت كافية لبث رسالة سريعة بأن الوقت غير مناسب لطرح فكرة هدم جدار البيت الخارجى على أخى ؛ كانت حالته متقلبة ، تتحسن صحته فترة قصيرة ، فينتعش ويسعد لمجرد قدرته على القيام والتحرك خطوات ، وقد تتدهور تارة أخرى ، فينكسر ويأسى ، لمجرد أنه طريح الفراش ، عاجز عن النهوض .

تابعت إلهام وهى تحمل ابنتها بعيدا ، محاولة إخفاء وجهها فى جسد الطفلة .. « هل كانت تبكى ؟ »

قلت للزوجة : هذا المنزل كالوقف لارجاء فيه ، إلاّ بهدم جداره الخارجى ، وجعل حجرة أخى والأخرى المجاورة لها « محلين » كبيرين ، هكذا نفيد منه ونحن أحياء ؛ ببيعهما بعدّة آلاف ..

حضرت إلهام خلال حوارى . كانت تنصت باهتمام ، ستنال نصيبها أيضا ..

قالت الزوجة : أوافقك تماما

انتابتها لحظة تردد : لكن من سيقنعه بهذا ؟.. والأم الكبيرة ..

قاطعتها : اتركى الأمر لى ..

احمر وجه إلهام : لن يوافق أبى ، ولا جدّتنا أيضا ..

نـاظـرة إلىّ بثبـات : وارفض أن تطـرح عليـه هـذا الموضوع خلال مرضه ..

ابتسمت فى وجهها : سبق أن حدثته ، يجب ألاّ نرفس النعمة .

حملقت فى وجهى ولم تتكلم ، ولسان حالها يقول « أهذا هو الذى فكرك بزيارتنا الآن ، بعد غياب سنوات كاملة » ؟

تسللت إلى أنفى مرّة أخرى نفس الرائحة المراوغة ، حاولت أن أتعرّفها ، لكنها أفلتت منى ، تطلعت حولى . فكرت .. هل يساعد المكوث وسط الظلام المضمّخ بأنوار باهته وانفاس مكروبة وأزيز منتظم على انثيال الذكريات ، كبديل عن مواجهة واقع مأزوم » ؟

فجأة انبعثت آهة استغاثة لاهثة متقطعة من المريض المحاصر فى بحار الألم : الرؤية .. الرؤية .. أين الرؤية ؟

انقطع صوت صفوان . سكن الجسد المعذب ، غاب صاحبه فى عالمه الداخلى ، فعاد حلمى يلحّ كرّة أخرى.. « تقدمنى عبر الحجرات الخالية مهرولا ، مشيرا إلى الحوائط السيئة الطلاء ، وإلى بابين ظهرت على وجهيهما الخشبى مسحة من آثار الصفرة ، وكأن عملية التلميع توقفت لسبب مجهول ..

أومأت برأسى موافقا . كان البيت سيىء التشطيب فعلا .. عندئذ ظهرت فتاتان ، « لعلهما مسؤلتان هنا !» . شرح أخى لهما عيوب العمل ، وقد ارتفع صوته جياشا بالغضب .

قالت المجاورة له : البابان غاية فى السوء !

علقت الأخرى مشيرة إلى الجدران : كان يجب استخدام ماكينة الرش الآلية ..

اقترب أخى منى هامسا : هناك إذن تلاعب ما ! » .

عادت إلهام وهى تحتضن طفلتها إلى صدرها ، لعلها أرضعتها . رمقتنى بنظرة غريبة .. هل كانت تكرهنى ؟ » . واريت ابتسامة كادت ملامحها تتشكل . « أى خرافة ؟ ابنة أخى تكرهنى !، لماذا يتضايق الآخرون عندما نبحث عن حقوقنا ؟.. لماذا » . كنت قد انتهيت منذ زمن بعيد إلى تقسيم البشر إلى ثلاثة أقسام : نوع محظوظ ، تتكاثر الثروة بين يديه ، ونوع ذكى ، يطمح أن يرتفع للطبقة السابقة ، فيفعل المستحيل ليحقق هدفه ، ونوع آخير ، « بوزفقر » بطبعه ، قانع بحاله ، راض بمكانه ، حتى عندما تتاح له الفرصة ، يرفضها بعيدا ، متعللا بحجج واهية ، من الصنف الأخير بلا شك أمى وأخى وذريته ، خاصة إلهام ..

هاجمتنى نفس الرائحة . شعرت بألفة معها . أحسستها داخلى منذ زمن بعيد ، تنفستها بعمق .. « هل كان أخى مصدر تلك الرائحة ؟ » . أمسكت بها ، أشبه ما تكون برائحة

دودة القز وهى تغزل شرنقتها . استعدتها .. « كان اخى يربّى دود القزّ فى صندوق احذية من ورق الكرتون ، صنع به عددا من فتحات التهوية .. فى الصباح كنا نشترى توتا وورق توت من فلاحة تبيعه امام باب المدرسة . كنت فى اولى سنواتى بالمدرسة وكان هو فى الرابعة ، كنا نغسل التوت وناكله ، ثم نضع ورق التوت بالعلبة . كنت اراقب حركة الدود اللولبية وقرضاتها الصغيرة من اطراف الورق العريض ، لكن اخى لم يكن يسمح لى ابدا بالاقتراب من العلبة او لمس الدود حتى اتيحت لى الفرصة ذات يوم حين خرج اخى لشراء بعض مهام البيت ، فانزلت الصندوق من فوق الدولاب ، منجذباً برائحته الخاصة ، وفتحته . كانت هناك دودتان تسعيان فوق اوراق التوت ، اما الثالثة فتكومت حول نفسها فى احد الاركان ، ناسجة حول نفسها خيوطا حريرية ناعمة . نزعتها من العلبة ، يشدنى شوق عارم لاكتشاف ما بداخلها ، مزقت الخيوط من حولها ، فانفلقت مؤخرة الدودة بين اصابعى ، وخرجت احشاؤها ، وفاحت فى الجو رائحة مقززة ، فرميتها ..» .

انتفضت على عينين مصوبتين إلى . كانتا عينَىْ أخى فى صورته المؤطرة التى تقتل الجدار المقابل .. أتذكره الآن بوضوح ، بوجهه الممتلىء ذى الشفتين الغليظتين ، وحاجبيه الأسودين الكثيفين ، وعينيه الواسعتين ، وجبهته العريضة ، وانسحابة شعره الغزير على جانبى الرأس ..

سقطت نظراتى تلقائيا على الراقد على السرير ..

« هل يمكن أن يكون لكل منا وجهان » ؟

دعاء أم :

أدعو الله ، أبتهل إليه ؛ أن يشفى ضنايا صفوان ، بعد أن استفحل المرض ، وطال مداه ..

لكنى أتوجس شرا ، أستشعر نذير شؤم تحمله رياح الأيام الحارة ، عبر وادى الظلمات . أكاد أتلمسه كامنا فى قلب الأشياء ، رابضا فى محيط الانتظار ، يتحين فرصة الهجوم والانقضاض .

أستشف النذر الغامضة من كلمات التهدئة ، المسكنة ، التى تسكبها زكية وخالد أو الأقارب والجيران فى سمعى .

يكاد ينفطر قلبى كلما نظرت إليه ، فأعرف أن قانون الدنيا هو الفقد ، وأومن أنه القانون الحق ..

لكنى أتجلد ..

أحيانا أحس أننى أنجبت ابنى البكرى فقط ، هو الوحيد ، جزء منى . أما الآخر المتربث هناك ، فكثيرا ما أراه غريبا عنى ، يحيرنى أنى أنجبته ..

أنجبت صفوان فى قريتنا البعيدة ، وحين انحدرنا إلى المدينة للعمل والاستقرار ، كان هو رفيقى أيام غياب الزوج ، وفى رحاب أرض هذا البيت كانت أولى عثراته وسقطاته فى الحبو والمشى . ثم جاء خالد ، ابن المدينة ، بعد أن ماتت قبله طفلتان ، واستغرق الأمر سنين طويلة ؛ لأفهم أن « البطن قلاّبة » ..

كان صفوان يتقبلنى كما أنا ، بسوادى وحزنى ، بعد أن مات أبوهما ، فوقفت حياتى على تربيتهما ، وكثيرا ما كنا ننهض مبكرا فى صباحات الجمع ، لنمضى لزيارة المقابر ، والترحم على الزوج الأب . وكان خالد إذا عرف بالأمر تهكم على أخيه الأكبر ، بل كثيرا ما سمعت كلماته المجوجة تثير الشجار بينهما ، خاصة حين ينعته : « أنت ابن أمك » !

كان صفوان عطوفا حنونا ، زوجّته على يدى من ابنة أختى (نبيلة) الطيبة ، التى كانت تحبه ، ولم أكلفه شيئا أبدا ، حتى السكن وفرته له فى بيتنا القديم الواسع .

عاشا معا أياما هنية ، وانجبا إلهام وصفية ، لكن فجأة شعرت ببوادر الخلاف تنمو بينهما ، وأصبح صفوان يكثر من غيابه عن المنزل ، ولما سألته ذات مرة ، قال بأسىً : النصيب يا امه ! » .

حاولت أن أصلح بينهما أكثر من مرة ، وباءت محاولاتى بالفشل ، حتى رحلت نبيلة عن دنيانا إثر مرض مفاجىء .

كيف فشل زواج وضعت فيه خبرة عمرى ، وفهمى الكامل لطبيعة ابنى ؟

هل كان خطئى أننى نسيت أنى عجوز ، وأنه شاب له فى الحياة مآرب أخرى ؟

أو أن ما يأتى سهلا ، حتى لو كان صالحا ، سرعان ما يسأمه الانسان ؟

أو لعل للمشاعر بين البشر مقاييس أخرى ، نعجز عن استيعابها نحن العجائز الفانين ؟

المهم أننى استفدت من التجربة ، عندما فاتحنى — بعد شهور طويلة — برغبته فى زواج جديد صمتُ ولم أنطق ، وجهزت البيت لاستقبال زكية ، واحتملت الكثير من أجل الحبيب ..

« الرؤية .. الرؤية .. أين الرؤية » ؟

تفجعنى صيحتك اليائسة !.

أراك غارقا فى هلوسات المرض ، تصارع أمواجه الجارفة ، تنشد البشارة ، والرؤية بيّنة ..

يسد مصابك الفادح أمامى المسالك ، فتتفجر ينابيع الأسى ، ووسط غبش الحجرة ، عبر غشاوة الدموع ، طفت وجوه الحاضرين على السطح واختلطت بوجوه الراحلين ، فبدت الدنيا كحلم عابر ، غير حقيقى ..

هل كنت أبكى ؟

وما جدوى البكاء ؟

حوار ذاتى :

« هل أشفق عليه » ؟

ومتى كان لا يستحق الشفقة ؟

كان طوال عمره شخصا ضعيفا ، أسلس إلىّ قياده عبر كل منعطفات حياتنا وأزماتها ، ورغم هذا كان دائما جاحدا ، ناكرا للجميل ، فلم يشعرنى أبدا بانجذابه إلىّ .. كان يعذبنى أنه لا ينتمى إلىّ ، بل ينتمى إلى زوجته — تلك — الأولى ..

وكثيرا ما تساءلت .. « لماذا تزوجته ؟ »

كان يتردد على منزلنا على فترات متقاربة ؛ لأنه صديق أخى ، ويعملان معا فى شركة واحدة .. كنا نتبادل النظرات وكلمات المجاملة . لم أهتم به حينئذ ، لأننى كنت مكتفية بعلاقتى بجارى ، وبمستقبل موعود . فجأة تزلزل الكون حين أفلت الحبيب متزوجا بأخرى مهاجرا إلى بلاد الثروة . عندئذ تقدم لى صفوان . كنت حطاما ، لكننى لملمت أشلائى المتناثرة ، حتى لا يشمت بى الأعادى ، وقبلت مخدوعة بأمل أن ينتزعنى الفارس الجديد من أرض التيه ، إلى دنيا السعادة ..

كم كنت واهمة !.

كان حبيبى قويا ، حادا ، وكان هذا ضعيفا ، واهنا ، وكنت من عالم يعبد المال ؛ لأنه المخلّص من وهدة الفقر ، وكان هو لا يهتم بأمر المال . بل كان عزاؤه منصرفا إلى الآخرة . وكنت أحاول أن أدفعه لأعلى ، لكنه كان جثة قانعة ، لا طموح لها .

حاولت ، وحاولت كثيرا ، لكنه كان بحيرة آسنة ، حتى اضطررت أن أتحرك وحدى ، وفُرت مالاً ، وعملت خياطة ، واشتريت « مصاغا » ، وشاركت أخى بعض مشاريعه ، واحتفظت بالعائد لنفسى ، ليس من أجلى فقط وانما من أجل مستقبل ولدى ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أما خالد فيذكرنى بحبيبى الغادر ، فهو قوى قادر ، عرفته بعد زواجى ، وكانت أيام زيارته لنا سعداً وهناء ، كان يعاملنى ، كسيدة مجتمع ، فيخرجنى من ظلمات الصفوانية إلى أضواء الواقع ، وحين تزوج اختار فتاة متعلمة ، وناسب مركزا كبيرا ، فكنت أدفع صفوان للارتقاء بعلاقاتنا بالارتباط به ، لكنه كان بطبعه كسولا ، عازفا عن متع الحياة الاجتماعية ، حتى سافر خالد وأسرته إلى الخارج ، وكان مقلاً فى خطاباته ، فكنت أحث صفوان أن يكتب إليه ، وأن يلتمس له العذر فى غربته . وحين اشتد به المرض فى الأشهر الأخيرة ، كتبت لخالد تفصيليا عن حالته ، حتى عاد منذ أيام ..

فى زيارته الأولى ، وبعد أن اطمأن على أخيه ، انفرد بى ، وقبل أن يطرح فكرته عن هدم جدار البيت القديم الذى يطل على الشارع الرئيسى ، كنت قد التقطتها ، متفهمة ، مباركة ، مؤيدة وحين سمعت الهام طرفا من الحوار ، حاول أن يستميلها إلى فكرته .

هو نموذج عملى ، يعرف ما يريد ، ويسعى لتحقيقه بشتى السبل .

اين الرؤية :

افتح عينىّ تتجمع الوجوه أمام ناظرى ، تتزاحم ، تتراكم ، تتكتل ، تنبعج . تتشوه ، تتطاير واحدة إثر أخرى ، أحاول أن أمسك بها دون جدوى ..

تنغلق عيناى تلقائيا ، تتقاذفنى أمواج عاتية ، أسعى جاهدا أن أتشبث بأى شىء . تتبدد جهودى سدى ..

« امسكت الأم بيدى طفلا صغيرا ، عبر الطريق الرملى الطويل ، الذى اصطفت حوله شواهد القبور . لسعتنى صرخات حادة ، رفيعة ، فاجعة ، لذت بتلابيب ثوب امى الأسود » ..

« قالت نبيلة : الا يرضيك شىء بالبيت ؟
ناحت : عدم رضائك جعل البيت جحيما
ارقب دموعها ، ولا يرقّ قلبى ..»

يصفعنى سؤال أحد الجيران : ألم يره طبيب ؟

تتقاذفنى أيدى الأطباء . أبحث فى عيونهم عن بريق أمل . تصدمنى كلمات تشجيع باهتة ، لا ترضى أحدا . انفعل .. « ما مرضى ؟. أجيبونى ؟! » .. وما من مجيب ، عدا حبّات مسكنة للألم ، أرفضها باصرار ..

« ربنا يشفيك يا ابنى » .

تأتى كلمات الأم الطيبة بردا وسلاما ، نسمة هينة أستروحها فى جحيم خانق ..

« قلت لها : نبيلة ماتت وقضى الأمر .. وارغب فى الزواج لتربية البنتين ولراحتى
نظرت إلى طويلا ، ولم تنطق . فايقنت بالموافقة » .

نبيلة ماتت ..

وانداحت أيام عطرة ، لن تعود ..

كم حاسبت نفسى !. « لماذا كان الانسان جهولا ، لا يحسب قيمة النعمة إلاّ بعد فقدها ؟!..

اجتاحنى هذا اليقين بعد معاناتى مع زكية ، التى ظننتها يوما الأمل المشتهى ، فاذا هى نار حارقة ، كثيرا ما هربت من أوارها إلى قبر نبيلة أبثها هَم الأيام الغادرة ..

« أهو انتقام السماء ، لمن يتبطر على نعمة الله » ؟

أحسُّ مقدم دورة جديدة من الآلام . أسمع هديراً مواجها العاتية تتفاقم داخلى . تستشرى فى شتى الاتجاهات ، مدمرة كل ما يعترض طريقها ..

« وهل يأتى الانتقام الالهى مرتين » ؟

افتح عينى بصعوبة بالغة ، اكتشف أخى يرنو إلى ، أحاول أن أبتسم ، يخيب مسعاى . تتفرطح ملامحه ، تسيح ، تذوب فى أثيركونى ، وإذا عشرات الأيدى تتجاذبنى ، تتنازعنى ، تتقاذفنى ، فأطير إلى علو شاهق ، لا تهاوى مترنحا فجأة ، على أرض صلبة ببطء شديد ، يلفنى ضباب كثيف ، يُغيّب ما حولى ..

ابحث عن منفذ للنجاة ، أنشد خلاصا لا يجىء ، فأنبس بوهن ..

« الرؤية .. أين ..؟ ».

القاهرة : حسين عيد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

السباحة على الحواف المدببة

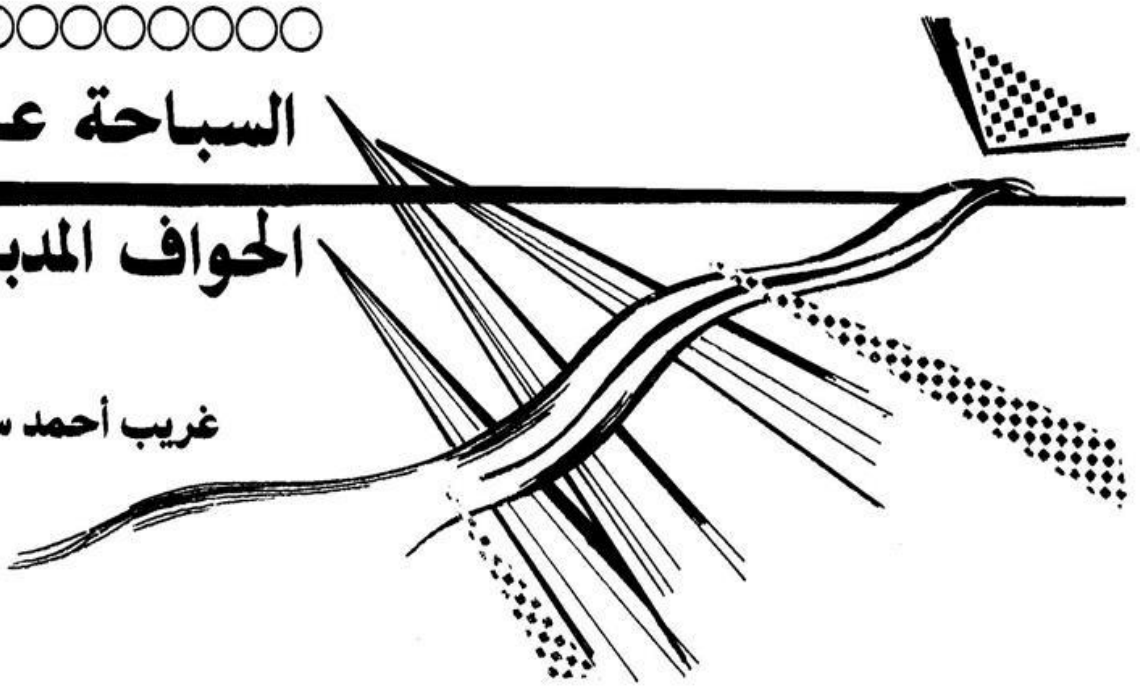

غريب أحمد سالم

تخرج من بين الشقوق الجافة العطشى .. دقيقة .. صغيرة . آتية من العمق الفسيح . حيث أخذت عنوة . تنمو .تترعرع .تكبر . ترتفع قامتها . تتعالى . تعانق السماء . تنادى . تدعو . يذوب صوتها فى موجات الريح .

الشمس تنزلق نحو العالم الآخر . تلتقى حمرتها الأفلة برمادية الجبال البعيدة .

يونس الصغير عائد وسط زملائه من المدرسة فى الجانب الآخر من القرية . هكذا تعودوا يحثون الخطى . العودة إلى البيت . اللعب قبل أن تغوص الشمس فى البحار البعيدة خلف الجبال المترامية .

الشنط القماشية على الظهر محملة بالكتب والكراسات . يونس يتقدم الصغار فى خطوات سريعة . مريلته ذات الصفار الباهت . تتناثر عليها بقع غامقة . من أثر اللعب الجنونى .

تطرأ على ذهنه فكرة . تختصر الطريق . بدلاً من السير بجوار الترعة تلك المسافة الكبيرة . حتى يصلوا إلى القنطرة الخشبية . ويجتازوها إلى قريتهم .

المياة انقطعت عن الترعة . وها هى تجف وتذوب فى شقوق الأرض الملحية .

جرى نحو الترعة بمفردة . وهو ينظر خلفه . يدعو زملاءه للحاق به . كاد يتعثر ولكنه اعتلى الجسر . كانت هى تنتظره . دقيقة . صغيرة . تنمو . تكبر . تتعالى تستطيل تعانق السماء . تمد ذراعها الطويلة نحوه . تدعوه . يقف مذهولاً . تتسع حدقتاه يشحب وجهه النحيل . ينفصل عن العالم . يذوب داخل اللحظة .

بيضاء . بيضاء . شعرها ، وجهها ، ذراعاها . جسدها . الشمس هناك خلفها حمراء . تكاد تحتضن الجبال العالية البعيدة . شعرها الأبيض يطير مع هبات الهواء . يستوضح ملامحها ودبيب الخوف يسرى دفاقاً فى عروقه . وأصوات الصغار خلفه يكاد ولا يسمعها .

اخيراً أفلح فى التراجع قليلاً . لكنه لا يستطيع الاستدارة . وتمتد ذراعها نحوه وأشياء أخرى لا مرئية تدعوه . ويتراجع بجذعه . الدموع تنثال على وجنتيه بعد طول تحجر . ويتخلص من يدها بعد أن كادت تصله . ويتراجع بخطوات ثقيلة . ويتعثر ويقع .

تأتيه فى الليل . تحلق عالية . فى هالة براقة غامرة تدعوه . وحفيف جناحين عريضين فى الق أخاذ يكاد ينتزعه

وتأتيه فى تابوت معلق فى الهواء . ينفتح تخرج منه . وتسبح نحوه . ويخفق قلبه الصغير . وتمد ذراعاً دافئة تحيطه . ويرتعب .

يقوم فى منتصف الليل صارخاً . يوقظ البيت كله . تضمه أمه إلى صدرها . تُسمى عليه . ينظر فى وجهها خائفاً .

تتداخل لديه الصور والأشكال . تضمه أكثر . وتقول بأس شديد .

ـ أنا آمك ياحبيبى خايف من إيه ؟ .

يهدأ . يستكين . يجول بعينيه فى وجوه إخوته . وأمه وأبيه . يعود الهدوء إلى البيت . يخاف العودة للنوم . ومعه أمه . تحنو عليه . تتحدث إليه . وتسأله عما يخيفه . يتحدث إليها وهو يبكى .

إناء نحاس صغير فوق الجدار الخارجى للبيت . ينتظر طلوع الفجر . توقظه أمه فى هدوء . يستيقظ مذعوراً . الأشباح والخيالات تتراءى أمامه . تأخذه فى دفء صدرها اللين ، وبأصابعها الرقيقة تطرد النوم والخوف من جفنيه . وتتمتم هامسة هوه إيه يا بنى بس الى جرالك » .

ضوء اللمبة الجاز الشاحب يسرى فى الغرفة راكداً يجلس على الفراش يمسح الغرفة بعينيه . تخرج أمه بعد أن اطمأنت عليه . وتعود بسرعة وفى يدها إناء نحاس صغير وعلى شفتيها ابتسامة شاحبة . تجلس بجواره . تقبل جبهته .

يتعلق نظره بالإناء . يتفحصه جيداً . طبق أصفر صغير على جوانبه ما يشبه المفاتيح الصغيرة داخله أوراق خضراء تتكاثف عليها قطرات ماء دقيقة . ينظر فى وجه أمه . تبتسم مشجعة . وتقول بصوت حان .

ـ ياللاه ياحبيبى . كل من ده عشان ربنا يطرد عنك كل وحش .

يمد يده متردداً . تغوص عيناه داخل الأوراق الخضراء . والقطرات البللورية الذاتية الصفرة والحوافى البنية . وتتداخل الألوان . وتأتى من بعيد . صغيرة دقيقة فى حجم قطرة الماء . يسمع صوتها آتياً من بعد سحيق .

يمضغ الأوراق ببطء . يشعر بمرارة لأذعة يحاول أن يبصقها . يد أمه تمنعه . وتعيدها إلى فمه . تلقمه غيرها . همسات صغيرة فى أذنه لا يتبينها . وفمه يزداد مرارة . والصوت يقترب وتمتد الأذرع نحوه . وهواء الفجر البارد يأتى من فُرجة الباب . يهتز الضوء الشاحب ويتموج .

يد أبيه الخشنة تحتوى يده . يسير بجانبه . تسرع خطواته ليحاذيه . يرفع وجهه ليرى وجه أبيه . يفتش فيه عما ينتوى عمله .

تداخل الخوف والشوق بقلبه عندما صعد الجسر . شقوق غائرة فى جدار الترعة ليس إلا . ابتعد عن أبيه . يبين فى يده إبريق فخارى . احس بنظرات ابيه تخترق جسده . وابتسامة ساخرة على شفتيه وهو يقول :

ـ اهده ياولد . أوى ما فيش حاجة . لا بنت لابسه أبيض فى ابيض ولا جنيّة بحر . ده بس عقلك الصغير هو اللى صور لك الكلام الفارغ ده .

ذاب داخل جسده من الخجل . وطأطأ رأسه وحاول أن يتكلم مفصحاً عما بداخله . لكنه لم يفلح .

كانت المياه تتناثر من الابريق على الأرض . سرعان ما تذوب بين حبات الرمال الصفراء . وشعر بالبرودة والقشعريرة تتخلل جسده . والقطرات البللورية تتساقط على وجهه .

على الحافة . على الخط الفاصل الدقيق الذى يفصل المساحات . على التوق العارم . على الانسيال الجامح . كان النهر واسعاً . وكانت المياه تنحسر . وكان واقفاً على الشاطىء . وكان جدار النهر يتسع . وكانت طيور بيضاء تحط على مياهه . وكانت تمد مناقيرها داخله . وكانت تطير بعيداً . وكانت المياه تأخذ فى الانحسار سريعاً وكان يطل رأس من بين الأمواج المنحسرة يتبعه جسد .

الشعر يطير فى الهواء . الذراعان جناحان عريضان . العيون خليط من الألوان ينمو الجسد . يكبر يرتفع وتنادى بصوت مبحوح . يمتد الجناجان نحوه . يحاول التراجع ويفشل . وتحيطه بجناحيها . يشعر بالدفء الحانى . ويلتصق بها . ويغوص . يغمض عيناه ويرتقى .

يتشقق جدار النهر . وينزلق داخله . النشوة تدغدغ حواسه . ويسرى فى شفافية رقيقة .

يفتح عينه على عالم آخر . نور غامر أتى من قرار بعيد . يسير نحوه . يسبح مغموراً فى تياره . عمودان فضيان شاهقان مرشوقان فى السماء . يومضان ببريق خاطف . تتسع المساحة بينهما كلما دنا منهما سابحاً . والنور الغامر يأتى . وحفيف الأجنحة يتلاشى . وتنصهر الأشياء . وتذوب فى عمق الآتى .

السويس : غريب أحمد سالم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

○ دراما شعرية
من فصلٍ واحد

بيـــت النجـــوم

وليـــد منيـــر

(بيت النجوم) مرصدٌ اقامه عمر الخيام فى نيسابور عام ١٠٧٤ م ، وعن طريقه بدأ العملُ بالتقويم الشمسىّ . وفى عـام ١٠٩٢ م تمَّ اغتيال السلطـان « مالـك شاه » ، واحرق اعوانُ الملـك الجديـد مرصـدَ الخيام ، ونهبـوا ما به ، وحُرِمَ الخيام من عمله ، وصودرت كتبه ومن ثَمَّ ارتدَّت البلادُ إلى الوراء سنينَ عدداً ، وصارت تتحبَّطُ من جديد فى ظلماتِ الجهلِ والطغيانُ .

مكانٌ مرتفع .
اطلالُ مرصدٍ احرقه جنود الملك الجديد واعوانه .
بعض الكتب الممـزقة المتنـاثرة ، ورجـل فى الثـامنـة والأربعين من عمره يجلس حزيناً مشتتاً .
(ضوء الغروب يحتل خلفية المشهد)

صوت : الآنَ ، لا بيتَ لَكْ
الآنَ كل النجومْ
تحت حذاءِ المَلِكْ
تَبَعْثَرَتْ .
والكرومْ
فَرَّت من الآنيةْ
لكى توشوشَ لَكْ
: يا واحداً فى الهمومْ
أين هى الأغنية ؟!

عمر : أين هى الأغنية ؟!
ضاعتْ
كما كل شىء
لم يبقَ إلا الجنونْ
فى زمنِ الأُحْجيةْ
(ينهض)
: مالكْ شاهْ
كم كـان جميلاً هـذا المَلِكُ الغـاربُ مثـل الشمسْ
كم كان يرى !
كم كان يُحِبّ !
هابطاً (يسير فى تباطؤ)
كم كان يطيل الإصغاء إلى الملكوت ليفهمْ
كان ابوه صديقى
ورأيتُ كأنى المسُ فيه جبينَ ابيهْ
وأُحِسُّ بمـاءِ الحكمةِ يجـرى تحت لِحَـاءِ الشجرةْ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لما حَدَّقتُ بهِ
عرياناً
مقتولاً
كالطائرِ فى التيهْ .
لكنّى لمّا امعنتُ
تأكدْتُ من الطعنةِ ؛
كانت اعمقَ من شُبّاكٍ مفتوحْ
لم اتحمّلْ ان اكشفَ للدمّ
اسرارَ مؤامرة الحُلْمِ على الروحْ .
واستبقيتُ كطفلٍ فَزِعى .
استبقيتُ كطفلٍ ذكرايَ كشمعةْ .
وهربتُ من الوجعِ
الوجعِ
الوجعِ النائمِ فى منديل دموعى
لالوذَ بدكّان الخَزّافْ
لالوذَ بطينته المبلولةْ
لالوذَ بصوتى
لالوذَ بطيفِ الكَرْمةْ .

(**يتوقف عن السير**)

(**عابر سبيلٍ عجوز يدخل من الناحية الاخرى متوكئاً على عصاه**)

العابر العجوز : (**يكلم نفسه**)
اطلالُ نيسابورْ
ابعدُ من ان تُرَى
لانها مطويّةٌ فى داخل النفوسْ
اين هو الماضى من الحاضرْ ؟
يابؤس مستقبل ابنائنا
فى زمنٍ كهذا .

(**ينتبه إلى وجود عمر**)

: هل انت واحدٌ من الضحايا ؟

(**عمر يلتفت إليه**)

: ما دامت الشمسُ التى أرهقتُ نفسى
فى حسابِ حركاتِ روحها
وسكناتِ روحها
تموتْ
فما الذى يمنعُ ان اكون مثلها ضحيةً

العابر العجوز : كأننى اعرفُكْ !
كأننى سمعتُ هذا الصوتَ قبل اليومْ !
كأننى مُعَلّقٌ فى خيطه النحيلِ ؛
هذا الصوت يستهوى شباباً قُتِلُوا
ويستعيدُ حكمةً يُخَمّنُ الشيوخ من امثالى
بالبصر الواهنِ
والسمعَ الضعيفِ نورَها .
آهْ
انتَ عُمَرْ !

(**عمر**) : نَعَمْ
لتَسْتَرِحْ .
انت مسافرٌ ؟

(**العابر العجوز يجلس**)

: اريدْ .

(**عمر**) : فى هذه السنّ
وفى اهوالِ ايامٍ كتلكَ
يا ابى ؟

العابر العجوز : اريـ يـ يـ دْ

(**عمر**) : الم تكن مُذْ زمنٍ وجيزْ
معلّماً بأحد المعاهد التى ...

العابر العجوز مقاطعاً :

: عُزِلْتُ
تذكرنى إذنْ ؟

(**عمر**) : يذكرك ابنٌ لصديقٍ لى
يقول دوماً إنك الشيخ الذى عَلّمْتَهُ
الوثوبَ كالعصفورِ من غصنٍ إلى غصنٍ
ومن كتابٍ مدهشٍ
إلى كتابْ
يقول إنك الـ ...

العابر العجوز مقاطعاً مرة اخرى :

: ... دهشةُ
والحزنُ
والاغترابْ

(**عمر**) : اليأسُ لا يدومُ يا ابى
ها انت تلقانى وحيداً
خائباً
مطارَداً
كأننى فأرٌ ...
وكل هؤلاءِ
الملكُ الجديدُ ، والجنودُ ، والاتباعُ ،
والمُزَيّفون من حولى
ومن ورائى
كالقططِ الوحشيةِ الجوعانةْ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أُنظرْ إلى « بيت النجومِ » :
مرصدى
أُنظرْ إليهِ ،
صارَ أطلالا .
وصرتُ واقفاً على الأطلالْ
أسترجعُ الذى مضى
« رحيم » ماتْ
و « ياسمين » ماتتْ
ومات « مالكْ شاهْ » .
وزال كلُّ شىء
كلُّ شىء !
كلُّ شىء !
(يجهش بالبكاء)

العابر العجوز غارقاً فى الشجن :
: لم تدَع المعركةُ الأخيرةْ
فتى جميلاً من تلاميذك إلاّ
ورمت فيه بسهمٍ من سهامها .
فمنهم المقتولُ
والأسيرُ
والبائعُ
والهاربُ
وألصيَّادُ فى الماءِ العَكِرْ
تشوَّه الناسُ كثيراً
أيها الشاعرُ
واستبدَّت الظنونُ بالمقيمْ
لكنْ بين حزنك الضافى
وحزنى لم تزلْ مسافةٌ واسعةٌ
مسافةٌ تفصلُ بين مُنْتَهَى الرَجُلْ
ومُنْتَهَى العجوزْ
لكلِّ حالٍ مُنْتَهَىً يا عُمَرْ
دعنى وحالى
نَفِدَ الذى معى
وصار قلبى يابسا
الحَلُّ فى الرحيلْ
الحَلُّ فى الرحيلْ
(ينهض العابر العجوز متوكئاً على عصاه ويخرج من الناحية المقابلة) .
(تعول الريح)

صوت : انتَ إذنْ وحيدْ
انتَ إذنْ مُحَاصَرْ
انتَ إذنْ بلا حبيبةٍ
ولا صديقْ !
الوقتُ أينْ ؟
الماءُ أينْ ؟
ونعمةُ النسيانِ أين ؟
(ينحنى عمر على كتابٍ ممزَّقٍ ويتناوله)
(ينظر فيه محاولاً ان يصلح بعض صفحاته)

(عمر) : لا وقتَ
لا ماء
ولا نسيانْ
لقد تضوَّع العبيرْ
إلى نهايةِ المدى
وآنَ ان يَكُفَّ
لقد ترامَى النَهْرْ
إلى الجهات كلها
وآن ان يقفْ
الحرفُ ضدُّ الحرفْ
هذا أوانُ اللغةِ المقلوبةْ
ها أنذا أسقطُ فى تقويمى
كأننى ذبابةٌ تسقطُ فى العَسَلْ
(تشمل الظلمة خلفية المشهد ليبزغ شيئاً فشيئاً قمرٌ مُدَوَّرٌ كبير . عمر يلقى بالكتاب من يديه .
يرفع يديه إلى أعلى أمام القمر)
: ها أنذا أهربُ من داخلى
لكى أعودَ ضارعاً إليكْ
يا قمرَ المدينةِ المغلوبةْ
أرصدُ تقويمكَ من جديدْ
وأحسبُ الأزَلْ
هـــذا
أوانُ الحَلَكْ
كل الرياضيّاتِ
والأشعارِ
والفَلَكْ
علمٌ بلا جدوى
كلٌّ بلا جدوى
أنا أغنّى لكْ
الخطأ القديمْ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صار يُغنى لَكْ
الخطأُ القديمْ
صار يغنى لَكْ !

(ينهار جانياً على ركبتيه)
(تختفى خلفيـة المشهـد ، وتعـود الإضـاءةُ السابقـة من جـديـد لتشى بضوء الغروب)
(يدخل ثلاثة من تلاميذ عمـر الخيام وكـانـهم يحـاولـون الـهـرب ممن يتعقبهم ــ يتلفتون)

الأول : سمعت جنديا يقول إنهم لم يجدوهُ
الثانى : يبحثون عنهُ ؟
الثالث : مَـــنْ ؟
الأول : الرجلُ العجوزُ فى السبعينْ .
الثالث : إذنْ ، فهم لا يبحثون عنّا ؟
الثانى : ربما لا يبحثون عنا .
الأول : مؤكّدٌ لا يبحثون عنا .
الثالث : والرجل العجوز فى السبعين من يكونْ ؟
الأول : مُدَرِّسٌ معزولْ
أوعزَ للشباب أن الملكَ الجديدْ
سيغلقُ المعاهدَ الموجودةْ
ويحبسُ الشمسَ التى تضىءُ
فى قَفَصْ
لكى يكونَ المجدُ للظلامْ
الثالث : وبَعْدُ ؟
الأول : فـــرٌّ ..
ربما اختَبَأْ
وربما رَحَلْ

(عمر ينهض رويداً من جثوته)

(عمر) : رَحَـــلْ
التلاميذ : أستاذنا عُمَرْ !
أنت هنا ؟

الثانى : فكيف لم نَرَكْ ؟
(عمر) : وما لزومُ الرؤيةْ ؟
الشمسُ سوف تدخلُ القفصْ
والليلُ سَيِّدٌ على القلوبْ
الأول : لتبقَ يا أستاذنا هنا
فالملكُ الجديدُ يكرَهُكْ
لكنه يخشى تَذَمُّرَ الناسِ إذا ما حَبَسَكْ
كل الذى يريدهُ
الاّ ترى أَحَدْ
ولا يراك منهمو أَحَدْ
الثالث : وإن رَأَوْنا معه ؟
الأول : هنيهةً وننصرفْ
الثانى : ماذا لو أننا رحلنا ؟
الثالث : أستاذَنا
لو شئتَ ان ترحلْ
لم يعترضك منهمو رَجُلْ
هم يَنْشُدون هذا .
الثانى : ياليتنا نرحلُ ياأستاذنا .

(جلبةُ جنود
اربعـةٌ يـدخلـون فجـاةً وخـامسهم سيدهم .
التلاميذ فى فزع)

: ما هـــذا ؟
(الجنود الأربعة يقبضـون على الأول والثانى ويسوقونهما إلى الخارج .
(سيد الجند يتجه إلى عمر)
: أنت إذن عُمَرُ الخيّامْ .
صاحبُ هذا البيتْ !
(يشير إلى الطلل)
: يا عمر الخيامْ
أدخلْ ما شئتَ الحانةْ
واكتبْ ما شئتَ الشِعْرْ
وتأمّلْ
واجعلْ أيامكَ تورقُ بالخمرِ
وبالحوريّاتْ
لكن لا تتفلسفْ
لا تشرحْ نظرياتك للفتيانِ
ولا تمكثْ بينهمو كى يستفتوكْ
وإذا أغوتكَ الأسفارُ
فسافرْ
هـــذا
أو تدخلُ انتَ وقرصُ الشمسِ إلى قفصٍ واحدْ
هل تسمحُ لى ؟
(ينحنى ليتنـاول ما تبقى من الكتب الممزقة المتناثرة ثم يستقيم وينظر فى عينىْ عمر)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

: ـــ هذى ايضاً لا .

(يشرع فى الخروج)

(يتوقف كما لو كان قد تذكّر شيئاً)

ـــ أَحْرِقْ ما لم اتناوَلْهُ من الاوراقِ بنفسك

(عمر يبتسم فى عجز)

لا توجد اوراقٌ .

سيد الجند : إن وُجِدَتْ .

هذا من مصلحتك

(يخرج)

(تمر لحظة صمت)

(عمر) : لك ان تختارْ

الثالث : اختارك يا استاذى

(عمر) : لا ..

اعنى بين الماضى والماضى

لا تخترنى

فانا شىء آخرْ

الثالث : لا افهمْ

(عمر) : إمّا أن تخرجَ من تقويم الشمسْ

اى تخرجُ من تقويمى

او تدخل فى تقويم الدمّ

اى تدخل فى تقويمك

الثالث : استاذى ..

لا افهمْ

(عمر) : فى الحالينْ

انت بعيدٌ عنّى

الثالث : ما خنتُ أَحَدْ

(عمر) : بل خُنْتَ حياةَ العالمْ

الثالث : ارجـــوكْ

سكّينُ شكوكِكِ

توجعنى .

(عمر) : كنت أُحِسُّ

الثالث : بماذا ؟

(عمر) : بِـــكْ .

الثالث : بعيونى ؟

(عمر) : بمَدَى شَوْفِ عيونِكْ

الثالث : صَدِّقنى

لا ادرى لِمَ لمْ يَرْتَبْ فىَّ الجُندُ

لعلهمو لم يكترثوا بى

(عمر) : اوْ لمْ يُبصرك سواىَ

الثالث : (كانه وجد خيطاً)

نَعَمْ

مُحْتَمِلٌ

(عمر) : اوْ لمْ تبصرْ نفسك فى نفسكَ

الثالث : ارجوكَ

(عمر) : اسمعنى

قُلْ لهمو إنى لن ارحلْ

فهنا حزنى

وطريقى

وسماواتى

وهنا قبر « رحيم » .

وهنا ذاكرتى

وبقاياىَ

وحلمٌ مفقودٌ فى العطرْ

وهنا « بيتُ نجومى »

وهنا بيتُ طفولتها

وملاعبُ صبوةِ قلبى

حتى كَبِرَتْ

ومضتْ دون وداعٍ

وهنا الشمسُ المقتولةُ بين يَدَىْ « مالك شاهْ » .

وهنا الحانةُ

والاسطورةُ

اذهبْ انتَ مع الايامِ إلى آخر احجارِ الارضْ

ياجاسوسَ القمرِ الخادعْ

لكنك لن تذهبْ

ستموتُ هنا

لن يثقوا فيك كثيراً

انتَ « المابين »،

وفى « المابين » يكونُ الشكّْ

ويكون الشبحُ الكاذبْ

ادخل فى تقويمكْ

يازَبدَ الماضى

يا اسيانُ بروحِكْ

ادخل فى تقويمكْ

فى تقويم الدمّْ

وسأسمع عن بُعْدٍ صرختكَ الندمانةْ

واقول : اذكرنى يا خَوّانْ

فانا علّمتك يوماً ان الاحلامَ بعيدةْ

لا تُمسكها إلا آنيةُ الخَزّافْ

لا يمسكها إلا عطرُ الوردةْ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(الثالث يهرع هارباً إلى الخارج وقد غطى وجهه بكلتا يديه)

(الريح تعول)

صوت : ارفع الكأسَ يا عُمَرْ
واعتصرْ خمرةَ السحابْ
كلُّ شيءٍ على سَفَرْ
كلُّ شيءٍ إلى ترابْ
ارفع الكأسَ بالعذابْ
إنها طيفٌ من عَبَرْ
إنها آخرُ العزاءْ
إنها آخرُ الصُوَرْ
ارفع الكأسَ للسماءْ
ربما نجمةٌ تَمُرّ

(عمر يصبُّ بعض النبيذ فى كاسٍ ويرفعها عالياً ثم يبدا فى شربها . صرخة واحدة طويلة ومفزعة تاتى من الخارج . يسقط الكاسُ من يده ويتهشَّم)

عمر : إنه هُوَ ..
مات كما قد تنبَّأَ قلبى
ترى لو فهمْ
كان ماتْ .
ولو ماتَ
كان تَعَرَّى

غروبٌ ثقيلْ
يُخَيِّمُ مثل الجرادِ على الكونِ
يا شمسُ
لو تطلعين !

(يبزغ ضوء شمسٍ باهرةٍ فى خلفية المسرح . تظهر امراة جميلة فى اعلى المكان وتهبط رويداً رويداً)

عمر فى ذهول :
ياسمينْ

ياسمين : أنا ياسمين
وَتَرٌ فى كمانِ الوجودِ الحزينْ

عمر : ياسمينُ
أُكَذِّبُ عينىَّ أم لا ..
طفولةُ روحى
وخيمةُ ذاكرتى

وشراعُ السفينةِ
فى بحر أسطورتى ؟

ياسمين : ومراياكَ فى وَحْدَتِكْ

عمر : والمروجُ الضنينةُ بى ؟

ياسمين : وشوكُ أساكَ الذى لا يلينْ

عمر : كم أَحَسَّتْ مواقيتُ قلبى إيابَكْ !

ياسمين : كما قد أَحَسَّتْ عبورَ الفتى حين خانَ إلى ضَفَّةِ الموتِ ..

عمر : قلت له
إنه مَيِّتٌ حين خانَ
وحَذَّرته
لم يُصَدِّقْ
وها هو ماتَ

ياسمين : نَعَمْ
ماتَ
شاهدتُ صرخته تتدحرجُ نحوى
ولكننى متُّ ايضاً
أتذكرُ ؟

عمر : اذكرُ

ياسمين : كنت أُحِبُّكَ

(عمر) : أعــرفُ

ياسمين : أدركتنى فى النهايةِ
كنتُ مريضةً
وكنتُ على سطحِ بيتٍ فقيرٍ توسَّطَ حياً فقيراً
وكانت حَلَبْ
ملتقى شوقنا المستفيضِ
وحسرتنا المستفيضةْ

(عمر) : وكنتِ جنونى

ياسمين : ووسدّتنى بيديكَ الترابَ
وعانقتَ حزنكَ

(عمر) : تحت شجيرةِ كَرْمٍ

ياسمين : وكنتَ حبيبى

(عمر) : لِمَ الندمُ الآنَ ؟

ياسمين : كنتَ شروقى

(عمر) : أفَارَقَكِ الظِلُّ ؟

ياسمين : لا .

(عمر) : تذكرين « رحيم »

(ياسمين تهز راسها)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

: رحيم
و « بيت النجومِ »
و « بيتى » .
وتلك الجبالَ

(يظهـر « رحيم » فى اعـلى المكـان ، ويهبط رويداً رويداً)

(ياسمين) : (فى ذهول)
: رحيم ؟

(عمر) : (فى ذهول)

: رحيم ؟

(رحيم مادّاً ذراعيه)

: نَعَمْ
تذكران ثلاثتنا ؟
كل شىء كما كانَ
والشمسُ
والأرجوانُ الشهيدُ
وهذا النّدى

(موسيقى حزينة تتهادى من بعيد)

ياسمين : تسمعانِ ؟
عمر ورحيم : نَعَمْ
ياسمين : إنها زهرةُ الياسمين
عمر : تماماً
ولكنها خمرةُ الكرمِ
رحيم : حقاً
ولكنها معدنُ الذهب الخالصُ النورِ
ياسمين : أجملُ ما سَمَعَتْ أُذُنى
فى الممالك قاطبةً
(عمر) : اسكبوا روحها فى الكؤوسِ

(يمـلأون من زجاجـة ثلاثـة كؤوس ويـرفعونهـا عاليـاً ثم يشـرعـون فى شربها)

عمر : (يفرغ من كاسه)
حنانٌ تَعَتَّقَ عشرين عاماً
رحيم : ثلاثينَ
ياسمين : خمسينَ
عمر : دهـــراً
رحيم : هى الشمسُ يا عُمَرُ
عمر : العُمْرُ يا ياسمينُ
ياسمين : المُنَى كُلُّها

يا صـــديقىَّ

(فجاةً تتوقف الموسيقى .

يدخل الجند وسيدهم غاضبين

يتوجه سيد الجند إلى الثلاثة

: فَرَّتْ من القفصِ الشمسُ
ما العمل الآنَ ؟
انتمْ
ولا غيركمْ

(لحظة من الصمت)

عبثٌ لن يطولَ

(متوجها إلى عمر)

: أما قلتُ لكْ ؟
عمر : لم تقلْ
سيد الجند : قلتُ لكْ
عمر : لم تَقُلْ
سيد الجند : كيف هرَّبتم الشمسَ من قفصى
أين خَبَّأتم الليلَ
قولوا
عمر : هما لم يجيئا
سوى الآنَ
سيد الجند : انتَ إذَنْ ؟
عمر : لا
سيد الجند : فَمَنْ
لن يكون سوى واحدٍ منكمو
قد تركتُ المَلِكْ
غاضباً مثل عاصفةٍ
عمر : ياسمين
أنت من بعيدْ
ورحيمُ أتى من بعيدْ
وأنا لم أغادر مكانى ..

سيد الجند وقد اصابه الرعب

: انتما
ياسمين
رحيمْ
الم تذهبا للأبدْ ؟

انتما
آهِ
من انتما ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(فى غضب)

: أيها الجندُ

فلتذهبوا بالجميعْ

(يتحرك الجندُ سريعاً ولكن ياسمين ورحيم يختفيانِ فى لمح البصر كما لو كانا غير موجودين اصلاً)

يتملك الجنود الفَزَعُ

يصرخ سيدهم :

لا اصدِّقُ

لا ..

ياإلهى !

(يشرع الجنود فى الهرب)

سيد الجند : قفوا

هل تخافون من سِحْرِهِ

إنه ساحرٌ

— — —

(يتوجه إليه)

يا عُمَرُ

: اين خَبّاتَ ليلَ المَلِك

اعْطِنا ليْلَنا

ولتقم انت وحدكَ والشمسُ

فى بَلَدٍ

غير هذى

عمر : انا لن اقيمَ سوى ها هنا

وانا لست اكذبُ

لم ارَ ليلَ المَلِك

لم أُخَبِّئ سوى زمنى

ونبيذى

فماذا تريدون من زمنى

ونبيذى

سيد الجند : وتلك التى خلعت ثوبها للرجالِ

لتسبحَ فى قرصها المستديرِ

وتُوقعَ بين النساءِ وازواجهم

كيف هَرُبتها .

— — —

هذه الغانيةُ

هل تضاجعها

بمَ ترشوكَ

كى تتحدى إرادتنا

وتقيم لها

هكذا

دارةً عاليةً

عمر : لم أُهَرِّبْ أحَدْ

سيد الجند : اعترفْ يا عُمَرْ

سوف تفقدُ حريتك

سوف تندمُ دون نهايةْ

عمر : لقد قلتُ ما أعْرِفُهْ

مُرْ جنودك ان يذهبوا

فانا متعبٌ

واريدُ الشرابَ إلى آخرِ الدهرِ

ارجوكَ

لا شانَ لى بسواىْ

وقد قلتُ ما اعرِفُهْ

سيد الجند : حسناً

سوف نذهبُ

لكننى

أوّلاً

سوف اتركها بين عينيك مقتولةً كالغزالِ

سينفجرُ الدمُ من دفءِ اعضائها

قانياً

لزجاً

وستشربُ حتى الثمالةِ

يا أيها الجندُ

فلتقتلوها

اغرزوا فى مفاتنها

كل ما تحملون لها من حِرابِ المودّةِ

هيّا .

(الجنود الاربعة ينتشرون وهم يحملون فى ايديهم حراباً طويلة ويطعنون قرص الشمس فى خلفية المسرح — ينفجر اللونُ الاحمر من قرص الشمس ويتناثر فى خلفية المشهد)

: اغرزوا فى مفاتنها

حربةً

حربةً

هكذا

هكذا

يشاركهم بحربته

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(عمر الخيام ينهار على الأرض باكياً)

: ياسمينْ

ياسمينْ

ياسمينْ

(سيد الجند يقهقه فى هستيرية واضحة وهو يواصل الطعن)

: ها .. ها

ها .. ها .. ها

هكذا

هكذا

(يظلم مشهد الخلفية تماماً .. يكفُّ الجنودُ وسيدهم عندئذٍ عن الطعن بالحراب)

سيد الجند يمثل انه يرفع كاساً إلى فمه ويشرب

: النبيذ لذيذْ

اغتبقْ يا عُمَرْ

اغتبقْ

اغتبقْ

(يضحك ويضحكون)

(يخرجون من المسرح)

(عمر وحيداً يبكى)

ياسمينْ

ياسمينْ

كلُّ هذا النبيذِ دَمُكْ

صوت

كلُّ هذا النبيذ دمى

كلُّ هذا النبيذْ ؟!!

(الرياح تعول)

: كلُّ هذا النبيذْ

كلُّ هذى الشُهُبْ

كلُّ تلك الأغانى

لم تكن لكَ انتْ

لم تكن لكَ انتْ

لم تكن لكَ انتْ

— — —

كلُّ هذا النبيذْ

كلُّ هذى الشُهُبْ

كلُّ تلك الأغانى

هى ما تستطيعُ الحياةْ

هى ما نستطيعْ

فَأَدِرْ كأسك الآن فارغةً

للترابِ

وقُـــمْ

انتظر يا عُمَرْ

أن يجئ الذى لك انتْ

انتظرْ

انتظرْ

(ســـتار)

القاهرة : وليد منير

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أحمد مرسى

أدوار الخراط

أحمد مرسى فنان طُهرانىّ .

وأعنى بهذا أن له أسلوباً نقياً ، خالصاً من شوائب كثيرة قد نجد عكارتها اليوم فى كثير من الأعمال .

وهذا أسلوب نحن اليوم أحوج ما نكون إليه ، حتى نمضى على الطريق فى انجازات المدرسة الفنية التى يسعنا أن نسميها « المدرسة المصرية » بمختلف تياراتها ومذاهبها .

لست أريد هنا أن أثير قضايا ، هى فى الغالب قضايا لفظية ، عن الفروق بين الأسلوب والمضمون ، فانما ذاك فى الفن ، عندى ، مزاجٌ دقيق وثيق الوحدة لا انفصام بين عناصره ، وهو بديهى الآن من فرط تداوله ، ولكنه مع ذلك بحاجة دائماً إلى اعادة توكيده .

ومنذ بداياته المبكرة فى مطالع الخمسينيات كانت حدود فن أحمد مرسى ، فى نهاية التحليل ، هى اللون ، والمساحة : الحدود المثلى للفنان الذى أداته الفرشاة واللوحة ، مهما قيل عن « الرمزية » عنده . انه لا ينفى عن فنه « الشاعرية » ولكنه ينفى عنه ، بقدر مايسعه ، صيغ الفنون الأخرى . فلن تجد عنده التجسيم الذى هو من خصائص النحت ، ولن تجد التصورات العقلية ، ولا قضايا الأدب والخطابة ، كما عساك تجدها فى « صور » كثيرة ، ولن تجد تلك العناية المكينة بالنقل الخارجى الدقيق للأشكال والأحجام ، ولن تجد الانصياع الخانع لقواعد « المنظور » . وانما هو ، كما قلت ، لونٌ ومساحة ، أصفى عناصر التصوير .

ذلك يفسر ما فى أغلب أعماله من إهمال للايحاء بالعمق المكانى ، عن طريق الحيل التشكيلية المألوفة من تكبير وتصغير ، أو تظليل وتنوير وتركيز مثلا . إنه يومىء إلى عمق مكانى ، مجرد ايماء ، ولكنه مع ذلك يوحى بعمق للرؤية ، الفنان هنا يُسبر غورا فى « الصورة » الداخلية لا فى المشهد « الخارجى » ومن ثم فان أبعاد صوره هى ، حرفياً ، أبعاد الصورة : طولٌ وعرض . فى هذين البعدين وفى الحدود التشكيلية فقط ، يستطيع هذا الفنان أن يذهب بنا إلى أبعاد مضاعفة ، إلى أغوار فى النفس غائرة ، ومشاهد من الحُب والتراحم بين الناس بعضهم وبعض ، وبينهم وبين الأشياء الحية والجامدة ، وإلى آفاق من الجمال التشكيلى البحت . لا يأتى « البعد الثالث » عنده من مجرد حِرفية فى التصوير ، بل من توزيع اللون ، وتنويعه ، ومساحاته . حتى فى الضوء : إنه مقلٌ جداً فى استغلال خدع الإنارة والقاء الضوء ، وأنت غالباً تجد عنده ضوءاً متسقاً ذا درجة واحدة ، شائعاً فى الصورة ، لا يقتحم حَدَّىّ اللون والمساحة ، ولا يُغيم عليهما ، بل يفسح لهما كل الأفق .

وهو أفق فسيح براح ، فى سعة إمكاناتٍ للادراك توشك ألا تكون لها حدود ، فى تجارب جَسوُر تبلغ شأوا من الجمال ، جمال اللون الشخصى النابع من معاناة ، وحساسية ، وذوق ، وجمال مساحاتٍ فيها تناغم خفىٌّ وانسجامات تكاد تلوح عفوية لا تعسف فيها ولا بحث ، لكنك بعد تأمل يسير تقع على دراسة واعية صاحيةً لتشكيل الخطوط وتكوين المساحات .

هناك شىء لا أضجَر من ترديده : إن خصائص المزاج المصرى فى الفن التشكيلى ينبغى البحث عنها فى عناصر الفن التشكيلى نفسه . وهى ليست قطعاً قضايا عقلية ، أو أدبية ، أو دعائية . وألوان أحمد مرسى هى بحث جاد ، وباهر ، فى التعبير عن الروح المصرية . وألوانه فيها خضرة زهرية أبلغ من خضرة غيطاننا ، وزرقة اسكندرانية أصفى من بحرنا ، وهذه الحمرة الطوبية العميقة هى شمس الصعيد نفسها ، مصفّاة ، فيها كل احتراق أرواحنا ، نحن ، لا غيرنا ، تحت شمسنا . هذه الألوان هى بعض رسالة الروح المصرية التى يوسعها أن تَبلغ الإنسان فى كل مكان .

ظاهرة أخرى لم تعد اليوم بحاجةٍ للتأكيد : هى قلة احتفال الفنان الحديث بالتزام حدود الأشكال والمقاييس الخارجية الواقعية ، اليومية المظهر ، لموضوعاته . وفى العالم الذى نراه هنا تقوم مسوخ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قميئة ، شوهاء . وانما هو ينقل لنا وعْىَ الفنان بالشىء الجوهرى خلف الظواهر ، ويلهمنا بجمال غريب فى هذه المسوخ ، هو جمال تشكيلى صرف ، اساسا ، لكنه — لذلك — يبتعث عندنا المحبة القائمة بين الناس ، فى دخيلتهم جميعا ، فتتحنن قلوبنا أمام هذه القامات الصامتة والساكنة التى تنوء بها ماساة ما ، لكنها راسخة مكينة تواجه المأساة ، وقد غرزت اقدامها فى الارض . فنتماسك نحن ايضا ، خفية ، امام هذه الشخوص المتشددة المتماسكة التى تحرص على الحياة بعناد ، أمام هذه الوجوه الصلدة الصخرية التى تنهل منها العاطفة مع ذلك ، وقد بُترت بتراً عن جسومها ، او قُطعت عنها شرائح اللحم وتراكيب العظام ، أمام هذه الظهور المنصوبة ، والأجسام القوية التى اجتثت عنها رؤوسها وهى مع ذلك تختزن ثمراتِ الحب والحياة فى قرارتها ، كأنها تختزن بذوراً صلبة مليئة بالعزم ، والرغبة فى التحرر والانطلاق ، وصدورنا تنبض أمام هذه العيون الواسعة المصرية التى تفيض بالفاجعة ، وبالعمق ، وبالرقة ايضا .

ليس فنّه اذن مجرد بحث عن الأسلوب ، ذلك شىء عقيم ، انه ايضاً شاعرية ورحمة ، تنتقل إلينا أساسا من خلال الألوان والمساحات . انه احيانا يحب ان يسمى مذهبه « الواقعية الشعرية » ، لكنه الآن يحب أن ينسب نفسه إلى « التعبيرية الجديدة » التى تكتسح الساحة الفنية فى الحقبة الأخيرة . وهو مُحِقٌ فى كلتا النسبتين ، ومازالت التصنيفات غير قادرة على الوفاء ، بأمانة ، بما ينقل .

ولكن ما اهتمامنا بالبطاقات ، والألفاظ .. ؟ الواقعية إذا شئت ، والتعبيرية بلا شك ، وأصداء ، سيريالية لا تريم ، لكنها كلها تنبع عن حس جمالى مرهف ، وشاعرية فيها غناء أسيان تُخامره دائماً نبرةٌ حزينة ، تصل أحياناً إلى ذروة كالذروة التى يبلُغ فيها القلب ان يبكى . على انه دائماً يعنى بأن يضع لك زهرةً حمراء ، تفاحة حمراء ، او حمامة او سمكة حمراء ، شمساً او قمراً او افقاً وضيئاً ، كأنه يؤكد ان عنده دائماً استبشاراً ، ولكنه استبشارٌ مركبٌ وصعب التكوين ، يضم فى حناياه حساً بالفجيعة ، ذلك كله لا ينتقل اليك الا عبر الوسائل التشكيلية فحسب : اللون والمساحة والتكوين .

عن هذه الرحمة ، وعن هذا الايمان كنا نجد الشخوص الشعبية المصرية ، فى أعماله المبكرة . وقد ظلت هذه الشخوص باقية على نحو ما فى كل لوحاته ، بعد ان ازدادت رهافة وصفاء تشكيلياً خاصاً . كنا نجد عندئذ ، ومازلنا نجد ، تنويعات على الصيادين الاسكندرانيين مع قواربهم واسماكهم ، كأنهم اخوة الفنان ، او « الانا الأخرى » عنده . هذه القوارب الجانحة ، والمُبحرة هى أدواتنا ، كلنا ، للخروج إلى الكون العريض ، وهذه الأسماك هى عطايا الكون لنا ، وما نستنبطه نحن من الاعماق . اما هذه النسوة واولادهن ، وثيابهن السابغة ، فلسن مجرد نسوة ، بل امهاتنا واخواتنا ، ونساؤنا ، واجسادهن المسطّحة فيها مع

عـــن الفنـــان

— ولد أحمد مرسى فى الاسكندرية فى ١٩٣٠ .
— تخرج من كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية فى ١٩٥٤ .
— شاعر ورسام وناقد ومترجم .
— اشتغل بالصحافة وكتب دراسات ومقالات وتعليقات عديدة فى النقد التشكيلى والأدب ، فى كثير من المجلات والصحف العربية وفى البرنامج الثانى بالاذاعة المصرية خلال الستينات ، وأرسى قواعد وتقاليد النقد التشكيلى فى العراق عامى ١٩٥٦ و ١٩٥٧ .
— أول فنان مصرى يرتاد مجال الديكور المسرحى الذى كان حكرا على الأجانب ، صمم الديكور المسرحى والملابس لمسرحيات سقوط فرعون — ثورة الموتى — المومس الفاضلة — جميلة بوحريد ، للمسرح القومى .
— أعد بتكليف من دار النشر « لاروس » الفرنسية دراستين تاريخيتين عن الفن التشكيلى فى مصر والعراق لنشرها فى مجلة « آلفا » ثم فى « دائرة معارف لاروس » .
— يقيم فى نيويورك منذ عام ١٩٧٤ ويتردد على القاهرة والاسكندرية كل عام دون انقطاع .

شارك فى المعارض الجماعية التالية :

* جمعية « الاليانس فرانسيز » الاسكندرية	١٩٥٤
* بينالى الاسكندرية الأول	١٩٥٤
* متحف الفنون الجميلة — الاسكندرية	١٩٥٥
* بينالى الاسكندرية الثانى	١٩٥٦
* بينالى الاسكندرية الثالث	١٩٥٨
* معرض الواسطى ، بغداد	١٩٧١

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أقام المعارض الفردية التالية :

* الاتيلية ، القاهرة	١٩٥٨
* متحف الفنون الجميلة ، الاسكندرية	١٩٥٨
* الأتيلية ، القاهرة	١٩٥٩
* متحف الفنون الجميلة ، الاسكندرية	١٩٦٠
* الاتيلية ، القاهرة	١٩٦٩

* مسرح الـ « بالاس » ، لندن ١٩٧٠
* قاعة اخناتون ، القاهرة ١٩٧٣
* المركز الثقافى السوفيتى ، الاسكندرية ١٩٧٣
* جاليرى « آسيفر » نيويورك ١٩٧٧
* جاليرى « آليف » ، واشنطون ١٩٨٥
* جاليرى « فوربال » ، نيويورك ١٩٨٧

ـــ اسهم فى اصدار المجلة الطليعية « جاليرى ٦٨ » التى لعبت دوراً بارزاً فى تطور حركة الحداثة المصرية والعربية .

صـــــدر لـه :

« أغانى المحاريب » قصائد ، الاسكندرية ١٩٤٩
« ايلوار » مع الشاعر عبد الوهاب البياتى ، القاهرة ، ١٩٥٩
« أراجون » مع الشاعر عبد الوهاب البياتى ، القاهرة ، ١٩٥٩
« بيكاسو » بغداد ، ١٩٧١
« الشعر الأمريكى الزنجى » بالانجليزية ، نيويورك ١٩٨١
ـــ صمم ورسم أغلفة ووضع الرسوم الداخلية للطبعات الأولى من دواوين شعر عبد الوهاب البياتى وصلاح عبد الصبور واحمد عبد المعطى حجازى ، ومجموعات قصص وروايات ادوار الخراط .

المقتنيـــات :

* متحف الفن الحديث ، القاهرة
* متحف الفنون الجميلة ، الاسكندرية
* البنك الصناعى ، الكويت
* دار الاوبرا ، القاهرة .
* مجموعات خاصة فى مصر والعراق والكويت ولندن ونيويورك وواشنطن .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التشكيلية اولاً واخيراً ، اى فى مواقعها من مسائل التكوين والتلوين وايقاع المساحات وتجاوب أشكال : الدائرة والمثلث والعمود الراسى والخط الأفقى ، هكذا .

ومن ثم فان هذه الروح الشعبية لم تأت اعتسافاً ولا عن استهداف سابق مرسوم ، بل يأتى عمق تأثيرها من توفيق الأداة الفنية البحتة فى اداء وظيفتها الجمالية (هذا هو الجوهر ـــ الأسلوب معا ، وعن صدق الفنان فى حسه بموضوعاته .

شىء آخر فى هذه الأعمال ، شىء كأنه انفاس آتية من عهود عريقة ، بدائية ، كأنه كتلة صخرية متدحرجة اولية ، توحى بها الوان كأنها جواهر جافية غليظة خشنة ، وعناصر داكنة باقية بقاء الجبال نفسها ، والوان من الخضرة الغريبة او الصفرة او الأحمرار ، كأنها شفق بدء العالم ، او غسق نهايته . هذه ايضا من سمات القُربى الوثيقة بين الفنان ومصادره الشعبية ، واوشك ان اقول بينه وبين مصادره البدائية .

فى مرحلة من مراحل مسيرته الفنية اختفت احلامه الرقيقة الآسية ، وشفافيته وشاعريته النحيلة الصافية المقطرة التى كانت من ماء الحنان والوحشة السائل على اللوحة ، ولكن الوانه ظل فيها عمقٌ قليل ، وانبساطٌ على مساحات ضحلة وضاعت نهائياً حتى الآن ، تلك الخطوط الواضحة السوداء المحددة التى كانت تذكرنا احيانا بتفعيلات الشعر وايقاع الأوزان والموسيقى التشكيلية الجنائزية عند « رووه » . لقد خطا عبر حدود مراهقته الفنية ، وترك الساحات البراح الخاوية التى تهب فيها الريح ، واقتحم ميداناً فيه زحمة النضج واحتشاد الرؤى القوية .

لوحاته عندئذ عجينتها كثيفة ، الوانها متراكبة غنية خصيبة ، كأنها تربةٌ تتفتق فيها الأزهار والنباتات والقمح والأعشاب ، طيبة ورديئة ، على السواء ، من ألف لون وكأنما كان ـــ ولعله فى كثير من لوحاته الأخيرة ايضا ـــ يتفجر بالمتعة الحسية الخالصة التى تُشعرك بامتلاء اللحم بين أصابع يديك ، وقوام الجسد اللحيم الطرى اللين ، وبهاء الألوان الضاحكة احيانا او قتامة الألوان المكتومة المقفلة على ذلك انوثة ملغزة متسرعة ـــ كالفاكهة ـــ بعصارة محجوزة . لقد تخلين الآن ، ربما ، عن المنديل باوية ، والفستان بسفرة ، ولكنهن مازلن قيمة تشكيلية أساسية فى عمله ومازالت الأنوثة عنده لغزاً وغواية معا ، ومازالت المرأة ـــ جَسَدانيةً وميتافيزيقيةً معا ـــ هى ينبوع بهجة منيرة واحتدامٍ متوهج فى عالم اللوحة الداكن الثقيل .

أما القطط ، والعيون ، والأسماك ، والطيور ، والأقزام فهى مصر الفرعونية والقبطية والعربية معا ، فى حوارينا وازقتنا ، وفى « بياصات » بحرى والأنفوشى والعطارين ، واركان الاسكندرية المنزوية ، فى سكك نفوسنا وساحات روح شعبنا . وهى ليست « رموزاً » ، بل هى شفرات ، ليست استعارات أو مجازات « ادبية ـــ قولية » ، بل هى « علامات تشكيلية » ، ليست دلالتها أساسا فى مضمونها التراثى او الفولكورى ـــ لا فرار من هذا التراث مع ذلك ـــ وانما دلالتها فى الصياغات

حياة عنيدة ، غائرة أحيانا أخرى .

تجاوزت تصميمات اللوحة بساطة وسذاجة الصبا الفنّى ، سواء كان رومانتكيا أوسيرياليا ، واضحت تصميماته معقدة ، مركبة ، كأنها متاهات التكوينات العضوية الحية ، تحيرك بتشابكها وتطورها وتقلبها على عدة مستويات ، لكن النظام الأساسى هناك ، فى مجموعها ، يلهمك بالاعجاب والعجب ، ويمكن دائما — مع تعقده — اختزاله الى هياكله الداخلية البسيطة . ومع ذلك فإن الخصائص الجوهرية فى فنه ستظل باقية — انّى لها أن تزول ؟ — إن الشاعرية هناك . ولكنها غنية كثيفة العجين ، والأسى الموحش الذى اتسمت به أعماله الأولى قد أصبح حزناً فيه اقبال على تجربة الحياة ومعاناتها ، والشغف بتلوين المساحات الكبيرة ألوانا هادئة فسيحة ، أصبح تغلغلاً يجمع بين ألوان تضعها فرشاة قد ثملت بخمر الأضواء والظلال ، تغوص فى أغوار التجارب الجمالية وتكوّم ملء اليدين من بهجة التلوين ، بهجة خالصة قوية فيها السُكر النابع من الأحساس بالقوة والتمكن .

اتسعت رؤيا هذا الفنان فأصبحت شاسعة ، كأن قامته قد طالت ، وغارت رؤياه فى الوقت نفسه إلى موالج دفينة فهى متغلغلة راسخة القدمين ، وتعقدت كما تتعقد الحياة الأولية فتصبح كياناً عضوياً متراكب المستويات يلم أسره نظامٌ وطيد متعدد البؤر والأطراف .

ويسعنا أن نقول إن خصائص فنه عندئذ — ومازالت إلى حد كبير — هى

أولاً : المتعة الحسية العنيفة التى يجدها فى اللون .

ثانياً : النضج فى التشكيل والاحساس معا ، اذ يجمع بين عدة مستويات فى تنظيم شتى المساحات والتكوينات ، وفى الايحاء بشتى المشاعر والمزاجات ، ثالثاً : الشاعرية التى تجاوزت البساطة الرقيقة الى الكثافة الخصيبة . رابعاً : النبرات القوية المليئة فى تناول الموضوعات بجسارة واقبال ورسوخ .

من أهم القضايا التى تثيرها ، دائماً ، أعمال أحمد مرسى ، مرة أخرى ، قضية العلاقة بين التكوين التشكيلى ، بقيمه المختلفة من حيث المساحة واللون والخط والروابط الشكلية ، وبين المضمون الذى يكمن وراء الصياغة التشكيلية . وانما تعرض لنا هذه القضية فى لوحاته الأخيرة التى نجد فيها هذه العلاقة الحميمة بين ما نصطلح على تسميته بالشكل ، وما نحاول أن تستكنهه باعتباره المضمون . هذه دائماً من الأسئلة التى ما تفتأ تثور من جديد ، مهما قيل فيها ، ومهما تكررت الاجابات عنها بصياغات مختلفة ، ولا فاصل يمكن أن يكون بين هذين العنصرين ، حقيقة ، ولكننا بهذه التقسيمات ، والتجريدات ، نحاول أن ندرج إلى خفاء العمل الفنى .

ذلك أن العمل الفنى عند أحمد مرسى يكتنفه خفاءٌ ملحوظ ، لا ينال منه ، لأنه عنصر آسر من عناصر التواصل بين الفنان والمتلقى لفنه . وقد يبدو من الغريب أن يكون الخفاء ، والغموض ، والاستعصاء على الفهم العقلى القريب المباشر ، عنصراً من عناصر التواصل ، ولكننا نعرف أن ذلك من كشوف السيريالية ، والرمزية ، والتكعيبية والتجريدية وغيرها من مذاهب الفن الحديث ، وأن الانجازات الفنية فى هذا السبيل تتجاوز الجُسور القديمة المعبدة المطروقة ، وتلقى بجُسور جديدة ، فيها جَسارة وجراة ، بين وعى الفنان ووعى المتلقى لفنه ، عبر المهاوى والأخاديد والفواصل التى تقوم ، بالضرورة ، بين كل وعى وآخر .

والمهم فى ذلك أن هذا الخفاء نفسه عامل من عوامل الجاذبية ، ونداء ، ودعوةٌ إلى التلاقى ، بما فيه من تَحدٍ ، واستفزاز يتطلب الاستجابة .

ان الرمز عند هذا الفنان ليس قيمة شعرية فقط ، وليس قيمة فكرية فقط . إن الرمز هنا ، والمضمون الدرامى المكتوم الخفى ، انما يندرج فى تلاصق عضوى بالقيم التشكيلية التى تكون اللوحة .

ويمكن أن نستخلص بعض هذه القيم التشكيلية من اهتمام الفنان بالتشكيلات الدائرية والمثلثة أساساً ، ومحاولته الدائبة فى اقامة تكوينات غضة وأصيلة من العلاقات المتبادلة بين الدائرة الكاملة والناقصة والمقطوعة والمضمرة ، وبين المثلث فى مختلف تركيباته ، وبين الخط الأفقى الممدود ، والتعامدات الراسية .

ومن القيم التشكيلية الأخرى العلاج اللونى الذى يختطه الفنان ، متوخياً فيه أن يثير عندنا الصدمة اللونية الحسية ، فيثير بذلك نفسه يقظة للوعى ، وتوفراً للاحساس ، فهو يستخدم الأزرق والأخضر فى علاقات خاصة ، وهو يضع الأحمر فى مواقع مفاجئة ، وهو يندرج بالبنفسجى الداكن والأزرق بمختلف ظلاله ، فى علاقات تجريبية يوفق فيها ، فى لوحات مرموقة عديدة وعتيدة توفيقاً كبيراً .

من هذه العلاقات التشكيلية نفسها وليس من إضافاتٍ أو اقتحامات خارجية عنها تتقطر لنا ايماءات الرمز ، والدراما الكامنة وراء اللوحة ، وهذا بالضبط ما أعنيه عندما أقول إن الرمز عند هذا الفنان قيمة تشكيلية أساساً .

فهو لا يفرض علينا تصوراً فكرياً ، بل هو يتيح لنا التأثر التشكيلى ، بما تحمل أعماله من علاقات تشكيلية : الدائرة الناعمة من ناحية والمثلث الجاف الحاد من ناحية أخرى ، التدرجات اللينة فى اللون ، ثم المساحات المفاجئة ، الحمراء أو البيضاء الناصعة ، بما تحمل من صراع آنى كامن وقطرى — هذا التناقض التشكيلى نفسه هو الذى يحمل المضمون الدرامى ، وليس العكس ان صح ، مرة أخرى أن هناك إمكان للتقسيم بين القيمتين التشكيلية والدرامية ، وفى ظننا أنه ليس هناك إمكان لمثل هذا الفصل المعملى بل هناك تناغم وتوازن وتجاوب بين القيمتين .

ومن هنا تأتى القضية الثانية إذ نصاحب تطور صنعة هذا الفنان من اللوحات الصغيرة الكثيفة العجائن المزدحمة بالتشكيلات الصعبة ، إلى أسلوبه الحالى ، وهو أقرب إلى الجداريات الفسيحة ، كأنما يعوضنا عن بهرة الأنفاس وازدحام الصدر فى الدراما الشعرية التى تكمن وراء رؤياه ، بانفساح

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الأفق التشكيلى ، واتساع مساحة الدراما التشكيلية ، سعياً وراء هذا التوازن ، واقامة لعلاقة الفعل ورد الفعل فى التكوين النهائى .

ان الصفاء التشكيلى الذى يعود مرة اخرى إلى أعماله بعد أن كان قد استهل به هذه الأعمال — على نحو فيه كثير من البساطة التى تشارف على البراءة — هذا النقاء الناضج ، اذن ، فى أعمال احمد مرسى ، وهذه التكوينات الجريئة المقطرة ، وهذه الألوان التى تتسع فى مساحات عريضة تكاد تكون من نغمة واحدة ، وان كانت فيها التدرجات التى تكاد تكون عفوية ، هذه كلها تُقرِّب صنعته الفنية شيئاً ما من التكتيك التجريدى ، وتكسبه ثراء جديداً .

وفى ظنى انه يتجه إلى التخلص من تعقيدات التأثيرات السريالية المركبة .

إن له الآن رؤيا تشكيلية خاصة به اصيلة ، تجمع بين العناصر التجريدية والرمزية معا ، كما تجمع بين الشاعرية والتعبيرية معا ، دون أن تكون هذه المصطلحات جميعا وافية ولا كافية .

ولكنه ، فى ظنى ، لم يَخلُص تماما من تراثه السيريالى — الشخصى والعام — سواء كان ذلك التراث شعرياً أو تشكيلياً ، فما زالت الرؤى ذات الجنوح السيريالى تراوده ويعالجها ، كأنما هو الحنين إلى حب قديم .

وفى ظنى أيضا أن المساحات الواسعة ، أو « الجداريات المصورة » كما اسميها ، هى الأداة التى تتفتح فيها موهبته الشاعرية — التشكيلية على أكمل وجه .

احمد مرسى ، فى يقينى ، شاعرٌ تشكيلى ، هذا صحيح ، ولكنه تشكيلى بالدرجة الأولى ، وفى إهاب الباحث التشكيلى يكمن الشاعر الذى يبحث عن أسرار الروح .

فى عام ١٩٦٩ ، منذ عشرين عاماً بالتمام ، كتب الناقد اليونانى — المصرى ديمترى دياكوميديس :

« ان مناخاً غريباً ينتمى إلى الحكايات الفانتازية ، إلى الأدب السادى القبرى المقبض ، على السواء ، ويتصل بالتعبير عن شحنة الليبيدو الغريزية ، وعن الذهنية الحادة المرهفة ، معاً ، يخلص إلينا من هذه اللوحات الكبيرة التى يعرضها احمد مرسى .

« ولا شك أن فى عمل هذا المصور رغبةً واضحة فى الايحاء الشعرى ، وفى تجسيد الأحلام ، وهناك فيه ذكريات ملموسة من السيريالية ، وتأثيرات من شاجال وبيكاسو ولكن ذلك كله قد استوعبه الفنان وتمثله تمثلاً تاما ، مما يتأتى عنه تصوير شائق جداً ، وجذاب جداً ، جاء عن فكر واعٍ وعن جسارة وعناد . أى أنه ، بعبارة موجزة ، عمل لا يشابه أعمال الآخرين » .

(البروجيرية الفرنسية ، القاهرة ، ٢٩ مايو ١٩٦٩) .

وبعد ذلك بنحو خمسة عشر عاماً يأتى الروائى والناقد والكاتب المعروف المقيم فى لندن شفيق مقار ، ليقول :

« لا يُسمى احمد مرسى لوحاته . فلا يحدد لها هوية منطوقةً بالكلمات أو الأرقام أو حتى أبيات الشعر . باعتبار أن اللوحة قادرة على أن تفصح لك بنفسها عن هويتها الحقيقية متى تواصلت معها وتركتها تستدرجك وتغويك فتفتح لك منفذاً إلى العالم الذى جاءت منه فانبثقت فى وعى الفنان . ومرسى على حق فى تعففه عن تسمية لوحاته . فهى لا تحكى حكاية . ولا تدعى موقفاً فلسفياً . ولا تجتهد فى تقديم أية عروض تسجيلية أو تقارير مصورة عن الطبيعة ومن فيها . ولا تتغنى بشىء . ومع كل ذلك ، تظل لوحاتٍ فصيحةً للغاية — متى أصغيت وتركتها توسوس فى سمعك ونظرت بعينين مفتوحتين فتركت الوانها وخطوطها تتسرب إلى ما تحت عتبة الوعى .

فاللوحة عند مرسى عملية إعادة تركيب للواقع بعد تفكيك أوصاله ، واعطائه الواناً جديدة تكشف النقاب عما يخفى ذلك الواقع وراءه ، لتظهره على حقيقته كما تتراءى لمخيلة الفنان .

وحقيقته فاجعة . لذلك يظل اللون الأزرق — لون الحزن عند المصريين — بكل تدرجاته ، والبنفسجى ، والرمادى ، واللون الأسود ، مفترشاً معظم مساحة اللوحة من الوان احمد مرسى الأثيرة ، إلا حيثما تعلق الأمر بالمرأة .

فالمرأة فى لوحات مرسى تتوهج ، وهى — بشكلٍ ما — نبع اشتعال داخلى ما يفتح الطريق أمام الوان كالبرتقالى والأحمر لتفترش عالم اللوحة بما أسماه مرسى فى مرثيته لبراك ، بريق اللون ، وإن كانت الوان مرسى الزرقاء والرمادية والبنفسجية والسوداء تظل تلفو بعذاب مندهش لعذاب ناقم ومفتاظ أو قاعد مسلم أمره لربه ، فان انبثاقات اللون الحادة التى تحدثها المرأة بحضورها فى لوحاته ، أشبه بانبثاقات الموسيقى سبيليوس ، لا تكف عن القول : آه . هذا عالم فظيع ، لكن فيه المرأة ، فهى تحاجى الحزنَ وتدحضه — إلى حين . ريثما ينبثق عذاب رمادى أو ازرق أو بنفسجى جديد .

وان كانت المرأة عزاء ، وملاذا فى خضم برودة الحزن المثلوجة التى ينضح بها جسد العالم فى لوحات هذا الفنان . فان الحيوانات — والجياد — بشكل خاص التى تسرق من ذلك العالم الوحشى بعضاً من سكينة أشبه بالسلام الذى يعقب الصلاة . وقد يكون ذلك السبب فى أن احمد مرسى الذى لا يكف عن اعادة ترتيب ملامح الوجه البشرى واعادة ابتكار الأشكال للكثير من اعضائه ، يستسلم وديعا طيباً لما تفويه جياده به من جمال . (الدستور ، لندن ١٨ فبراير ١٩٨٥) .

فى التقديم الذى صدَّر به الفنان معرضه الأخير فى نيويورك ما يشير إلى معان قد نتفق مع صاحب التقديم فيها أو نختلف :

ما يومىء إلى العشاق الماثلين ، برضى ، فى السكينة والثبات ، تغمرهم المساحات العريضة المسطحة ، وكأنما قوة العاطفة تكاد تشلّ البهجة ، وكأنما حس التحرر يغلفه الصمت .

أو ما يومىء إلى أن الفنان يصور الطائر — رمزاً للحرية ، والحصان — رمزاً للخصب — مرة بعد مرة ، باعتبارها أجزاء لا تنفصل عن المشهد السيكلوجى الداخلى . فلا نرى الطائر أبداً يشق

الفضاء ولا نرى الحصان أبدا يعدو فى مناكب الأرض .

أو ما يومىء إلى أن عمل الفنان وان كان رمزياً فى مضمونه ، إلا أنه عمل تصويرى وبصرىّ .

أو ما يومىء إلى أن اللوحات مقسمة إلى نغميّات مرهفة التدرج ، منخفضة النبرة ، رصينة وقاتمة فى معظمها ، وتُسهم أصداء هذه النغميات فى تكوين الأحساس الشامل بالعمق الذى يتحقق حينا عن طريق تصوير الأجواء الخارجية وحينا عن طريق أبعاد المنظور المحسوبة . ونجد أن الظلال تزيد من هذا الحس بالعمق كما أنها تشارك فى سرية الصورة النهائية — وهى صورة مبنية على الجماليات التكعيبية التى تكتسى بنبراتٍ تعبيرية عالية لا تردد أصداء صرخة « مونش » بل تذكر بما نجده عند « بيكون » من « العاطفة — فى — السكون » .

أو ما يومىء الى أن شخوص الفنان ماثلة فى السكون دائماً ، والتفاعل بينهم ليس جسديا بل هو تفاعل ينتمى إلى العاطفة . انهم يجسدون تناقض الموت فى الحياة ، بل الحياة فى الموت إن رعب الفراغ عند أحمد مرسى يبلغ من طغيانه اننا نرى عازفاً موسيقياً مستوحداً ، ساكناً ، وقد شاهت ومُسحِت أداتُه الموسيقية . والشىء الوحيد الذى يخفف من هذا الرعب هو — أحيانا — مساحةٌ حمراء تضيف دفئاً وأملاً إلى بيئة قاتمة وحزينة ، ينتظر فيها الانسان والطبيعة ، كلا على حدة ، مجىء الخلاص النهائى : انتصار الخصب على العجز والعقم .

سوف أخلص إلى بعض القيم التشكيلية فى مجمل عمل هذا الفنان وخاصة فى لوحاته الأخيرة .

فمن حيث التكوين : تتسم تكوينات أحمد مرسى بالسعة والانفساح العريض وبقَسَمة صَرْحية أو معمارية واضحة — فى الفترة الأخيرة على الأخص ، وان كانت تلك القسمة كامنة بالقوة فى أعماله الأولى — مهما كان من مساحة هذه الأعمال .

ومازالت الوحدات البنائية فى عمله — على اتساعها — هى :

أولاً : وأساسا الدائرة بأشكالها ودرجات اكتمالها أو نقصانها ، وظهورها أو تخفيها ، واستوائها أو انبعاجها ، والدائرة مع ذلك عنده دائماً توحى بقدر من النعومة والانسياب ، وتوحى ، من ثَم ، بقدر من التصالح مع العالم . والتوافق معه ، بدرجات مختلفة ، والاتساق فى داخل قانونه الأساسى ، قانون الدوران والصيرورة المستمرة .

المثلث وتنويعاته هو الوحدة التالية فى الأهمية ، سواء كان مبتوراً أو صحيحاً ، سواء كان متطاولاً مسحوباً أو مضغوطاً مسطحاً ، سواء كان جلياً أو مُضمَرا ، وأخيراً سواء كانت خطوطه حادة قاطعة أم مغلفة بقدر من الليونة — ولا أقول التهدل — والرخاوة .

أما اعتماد الخط الأفقى والخط الراسى فهو اعتماد أساسىٌ فى تكوينات أعمال الفنان . بل يكاد يبلغ درجةً من الاقتحام والسفور وفرض الذات تدفعنا أحيانا للانتباه إلى أن ثم ضرورة حتمية ، فى رؤية الفنان ، لهذه التقسيمات الصريحة القوية ، وكأنما يقول لك ، دون أن يقول شيئاً بطبيعة الحال — أن العالم عنده ليس انسجاماً تاما وان التَّجَزُّؤ والانقسام فيه هو أيضا قانون لا مفر منه .

ومن نافلة القول أن هذا النوع من التقسيم بسيط ولا سفسطة فنية فيه ، ولكنه يسهم إسهاماً حقيقياً فى اقامة الصيغة الصرحية أو المعمارية فى اللوحة ، ويُرسِّخ بنيتها الداخلية ، ويصنع — بذلك — هيكلاً راسيا لا تتعرض فيه اللوحة للزعزعة التى تتأتى كثيراً عن اتساع مساحاتها ، أى أنه ينأى بالتكوين عن خطر الانديار والتميع الكامن فى انثيال التكوين الفسيح وفى فَرْشته المنبسطة . ويُسهم فى التكوين ، بشكل أساسى ومتكرر ، قيامُ الشخوص العمودية ، كأنها تماثيل حية ، أو كأنها قامات تبدو دائماً شاهقة وراسخة وراسية الأركان وهى مع ذلك مشدودة متوترة ساكنة وماثلة وعلى وشك انفجار مكتوم لا يحدث أبداً . وكثيراً ما تأتى فى وحدات ثنائية أساسية من رجل وامرأة ، أو رجل وحصان أو حضور غير مشخَّص مع أداة موسيقية ، وهكذا ، وتساندها وحداتٌ ثانوية تأتى غالباً ثلاثية ، وصغيرة ، أو بعيدة ، ويكتمل التشكيل بوجود وحدة الطير أو السمكة أو الحيوان الذى يتخذ سمة أسطورية أو ميثولوجية ، فانتازية على كل الأحوال ، وعلى الرغم من التشويه واختلال المقاييس المألوفة الذى يُلحَق — عن عمد — بهذه الكائنات الصرحية أو المعمارية الشامخة ، فان فيها مع ذلك قدراً من الجلال يفرض وجودها علينا فرضاً .

والحصان — كما لا يمكن أن يغيب عن الملاحظة — هو الحضور القوى فى كثير من التكوينات ، بكتلته الجسمية أحيانا ، ووجوده الرحيم خبىء المعنى فى معظم الأحيان ، ووجهه الذى يتصل بملامح بملامح انسانية غير منتصلة ، وكأنه فى أحيان كثيرة حصن حصين (وليس مجرد حصان) أى كأنه ملاذ وسور ومأوى ونجدة ، أكثر بكثير من معنى وجود المرأة التى تبدو دائماً مدعاة للقلق كما أنها ينبوع للبهجة .

فلا شك أن لوجود الحصان معنى رمزياً وأكاد أقول معنى ميتافيزيقيا ، يتأتى عن هذه القيم التشكيلية : الجسامة والرسوخ ورصانة الألوان وتعبيريتها ، وصياغة الملامح الانسانية وما وراء الانسانية معا .

والصقر الفَخور — هل هو حوريس العريق ؟ — يمتّ بصلة وثيقة إلى هذا التصور ، وذلك التصوير ، بل هو يأتى أحياناً كأنه كيانٌ شامل يُظلل الكون ويهيمن عليه ، كأنه رخٌ آلهى ، ويأتى فى معظم الأحيان إما على شكل وحدة مثلثة ، مركبة المثلثات ، أو فى تكوين أفقى مسيطر .

يقوم البحر الساجى العريض الداكن الزرقة ، عادة بدور أساسى فى تكوين اللوحة ، بأفقيته الفسيحة المترامية ، تَقسِم اللوحة أحيانا وتُلائم بين مقوماتها أحيانا أخرى ، تقطعها قَطْعاً أو تدور فى داخل بنيتها بدائرية ناقصة ومتعرجة أحياناً أخرى ، ان حرية هذا الفنان فى تكوين لوحاته « الجدارية » تقترن فيها البساطة والتركيب ، ولا تقف عند حدود

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الروتين الذى يركن اليه غيره عادة عندما يواتيه النجاح .

يُعدِّل الفنان إذن من أفقية البحر بأن يجعله دائرياً او مثلثا ـ خليج او بوغاز ـ مرة ، وبأن يجعل العلاقة بينه وبين الوحدات الأخرى علاقة حرية وتنوع ، فالشخوص أو الحيوانات أو الطيور أو الأسماك كلها ترتبط بالبحر بعلاقات تشكيلية متنوعة ، فلا حرج عند الفنان من ان تسير القامات البشرية ، أو تطير ، على مياه البحر وأن تخوض القامات الحيوانية فى غمراته ، بل قد يكون ذلك ضرورة فنية ، كأن البحر عنصر جوهرى من عناصر الوجود بالنسبة للوحة وبالنسبة للرؤية الشاملة من وراء اللوحة .

اما من حيث التلوين : فان الخصيصة الأولى فى أعمال هذا الفنان هى قتامة أو دكنة الألوان ، من ناحية ، وقيمة الصدمة فيها ، من ناحية أخرى .

فهذه الوان الحلم الليلى العميق ، أو الوان الكابوس المطهَّرة المُصفَّاة ، أو الوان هواجس النفس الخفية : الأزرق بكل تدرجاته ، والرمادى ، والأسود ، أما الصدمة فتأتى إذ تجد الأحمر القانى ، مثلا ، فى قلب الأخضر الخام ، على خلفية من البنفسجى القاتم أو ذلك الضرب من الأزرق الداكن أو العتمة المزرقة الكامدة ، وهكذا .

ان زُرقات ورماديات هذا الفنان جديرة وحدها بدراسة تفصيلية ، فهى فى تراوحاتها وتبايناتها وتآلف نغميّاتها تدعوك للتأمل الطويل ، وكأنما هى أصداء مفصحة وشجية عن أنواع من الشجن متآخية أو متنافرة ، تنبثق فى قلبها بهجاتٌ غير متوقعة .

والتدرج اللونى ، أو « الموسيقى التشكيلى » ، من الأزرق إلى الرمادى الفاتح أو الداكن أصبح الآن من الملامح الثابتة ـ المتغيرة باستمرار ـ فى عمل هذا الفنان .

انظر مثلا ورديّات ـ أو حُمْرات ـ اللحم الأنثوى وما يجرى مجراه من علامات الأنوثة فى العالم ـ السمكة على سبيل المثال ـ وقارن ذلك بدكنات أو قتامات أو غُبْرات الأجسام الذكورية ـ رجالاً أو جياداً .

وعلى طول هذه السلالم اللونية بمختلف تنغيماتها لن تجد « حلاوةً » أو عذوبة سُكَّرية ما ، فلن تجد ، بالتالى ، تهافتا انفعاليا قط .

وفيما يتعلق بالعلامات أو الشفرات الأثيرة عند هذا الفنان أو إذا شئت ، لك أن تسميها **مفردات لغته التشكيلية** ، فسوف أشير بسرعة أولاً إلى وجوه شخوصه ، إذ هى أقرب إلى الأقنعة المبتورة الفاغرة عيونها مع ذلك عن حياة عميقة تفيض مأساويةً على نحو ما ، وهى على الأغلب مثلثة حتى لتكاد تكون نَمَطية فى هندسيتها ، ولكنها عارمة الحيوية فى داخل هذه القالبيّة ، إذ تثقبها تلك العيونُ الشاسعة الفسيحة .

فهذه اذن قيمة التشويه الجمالية .

تأخذ من الأساليب التعبيرية وفيها مع ذلك شبهة تجريدية ، لعل ذلك يُعزى إلى الفتنة التى يمارسها المسرح على هذا الفنان الذى زاول عمل الديكور المسرحى منذ عقدين من الزمان .

وفى هذا السياق المسرحى سوف تجد ان العباءة ، أو الوشاح ، تقوم بدور خاص فى لغته التشكيلية ، فهى تتيح له منطقةً كاملة من المقدرة على الصياغة والتعبير والتصرف فى التشكيل ، وهى فى الوقت نفسه تحمل إيحاء خاصاً يمتّ بصلة إلى الصوفية ، أو الروحانية ، وهى ايضا قيمةٌ درامية فى توزيع نغم التكوين الموسيقى ، وفى حرية هذا التوزيع . على أن الوشاح ، والعباءة ، علامةٌ أى شفرةٌ على جدلية الخفاء والتجلى ، على ثنائية التغطية والتعرية ، وفى داخل عالم أحمد مرسى سوف نكتشف باستمرار هذا التفاعل ، وذلك الحوار بين الغامض الملتبس الذى يتوارى خلف السرّ المكنون وبين المكشوف العارى الذى يشارف على الفضيحة .

ومن مفرداته الأخرى التى كان يؤثر استخدامها ذلك التاج القديم الذى يكلل به رأس الشاعر أو الموسيقىّ ، « الأنا الأخرى » ، الذات المُسَقَّطة على اللوحة ، فكأنه تاج الشوك أو عطيّة الذهب الأسطورية الممنوحة للذات التى تتصدى للفداء وللتضحية بالذات .

وهناك عنده أيضا مفردة القيثارة ، العود ، أداة الموسيقى والشعر ، صامتة خرساء مرة ، أو صداحة بالغناء ، مرات كثيرة : هذه غواية الشعر القديمة التى أزعم أنها لم تبارح دخيلة هذا الفنان فى أى وقت من الأوقات .

اما العجلة الدائرة الكبيرة ، ملقاةً على الأرض عرجاء مهمَلة أو دوّارة منطلقة مرة أخرى ، فهى من علاماته الأثيرة أيضا ، على تجليها الواضح أو خفائها فى داخل بنية التشكيل ، سواء .

وهناك كما نعرف علامات الثعبان ، أو القط ، أو السيف الفولكورى الذى يرفع سيفه وكأنما هى تحية للفنان الراحل العظيم عبد الهادى الجزار ، صديق الفنان وصفيّه القديم الفقيد .

لست أتفق مع قضية ان طائر هذا الفنان ساكنٌ باستمرار ، بما يحمل ذلك من دلالة على نوع من الاستسلام لليأس . ذلك أننا نرى كيف يحلق هذا الطائر ويدوّم ويُسِفّ ويسمو فى العَنان ، وكيف يتخذ أحيانا ألوان البهجة والاحتدام .

هذا الفنان الذى تربى فى بحرى والقبارى ومحرم بك فى اسكندرية ، وعاش واحب وتزوج فى القاهرة ، ويخوض الآن غمار الغربة فى نيويورك ، عرف الموانىء وان لم يعرف المرافىء بعد . جاب الأحياء البلدية العريقة الحافلة باللون والانفعال ، واشتغل وشقى فى شوارع العاقولية ، وبغداد فى العراق ، استلهم تراث الفراعنة والقبط والعرب ، واستبصر الفن الحديث ، فنانٌ جاد ، لأنه ، على وجه الدقة لا تفتنه عن نفسه الشعارات المغْوية ، بل يغوص وراء قيم فنه الصعبة . نهض بعمل شاق ، وشقّ طريقا طويلاً فى الفن والنقد والشعر . وقع على لُقَىً باهرة بعد البحث المخلص ، لُقىّ الجمال العميق الذى بمقدوره ، وهو فقط بمقدوره ، ان يُرهف حساسيتنا أمام آفاق الأشياء ، وأبعاد النفس ، وصلات القُربى والرّحم بعضنا ببعض ، وأن يجلو بصرنا وبصيرتنا ، وأن يزداد به واقعُنا وأحلامُنا غِنىً وخصوبة .

القاهرة : ادوار الخراط

أحمد مرسى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

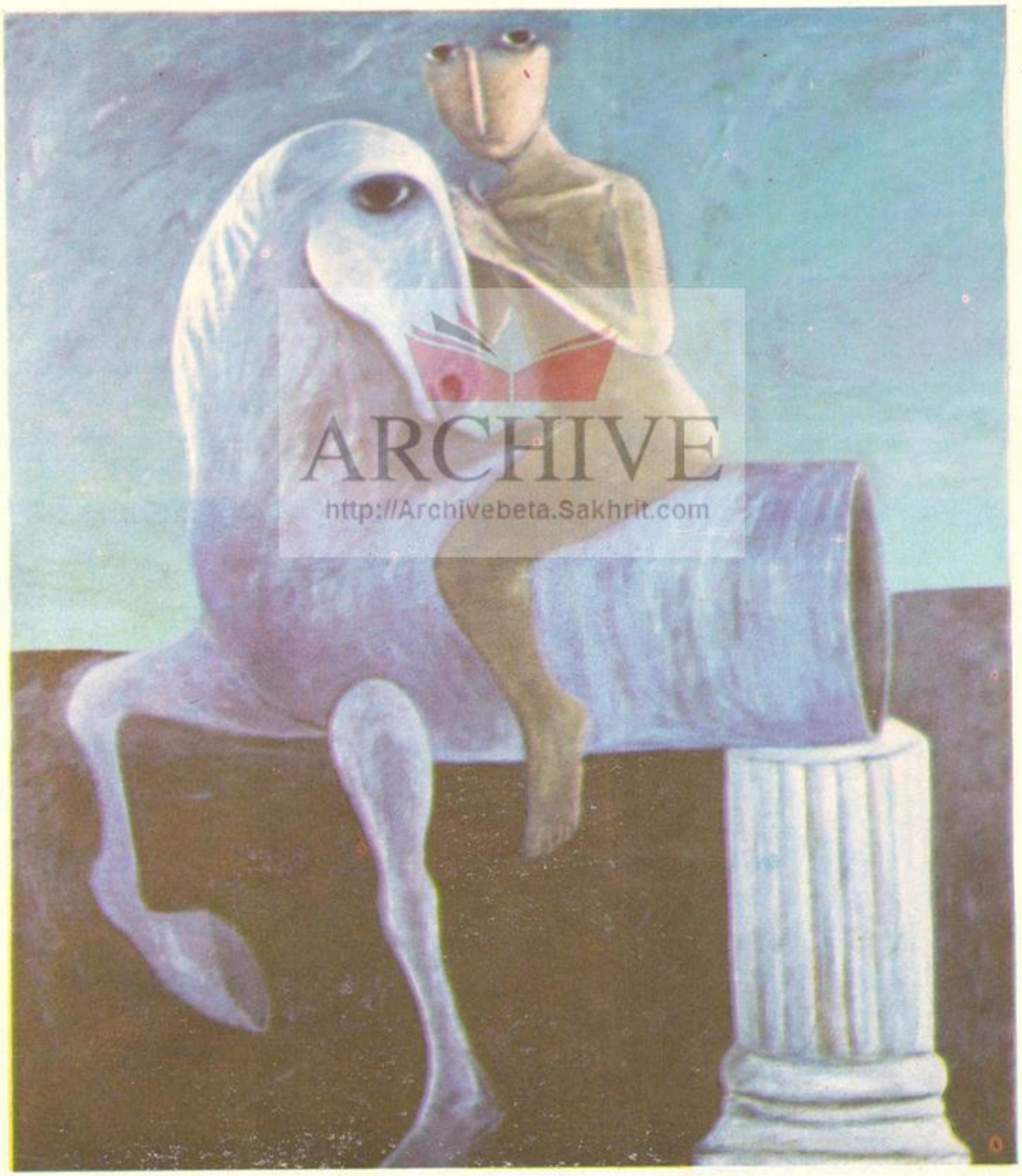
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

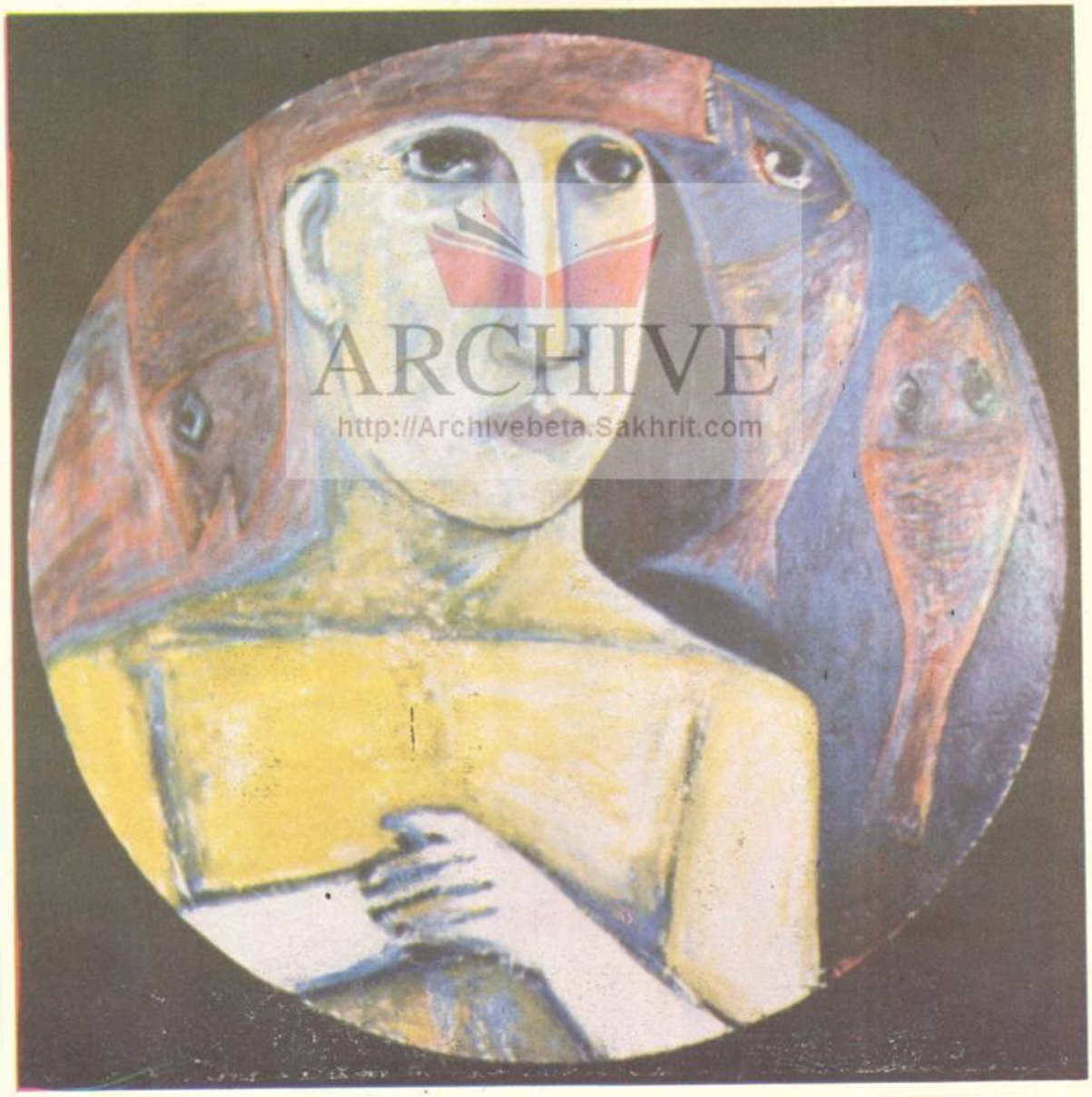
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

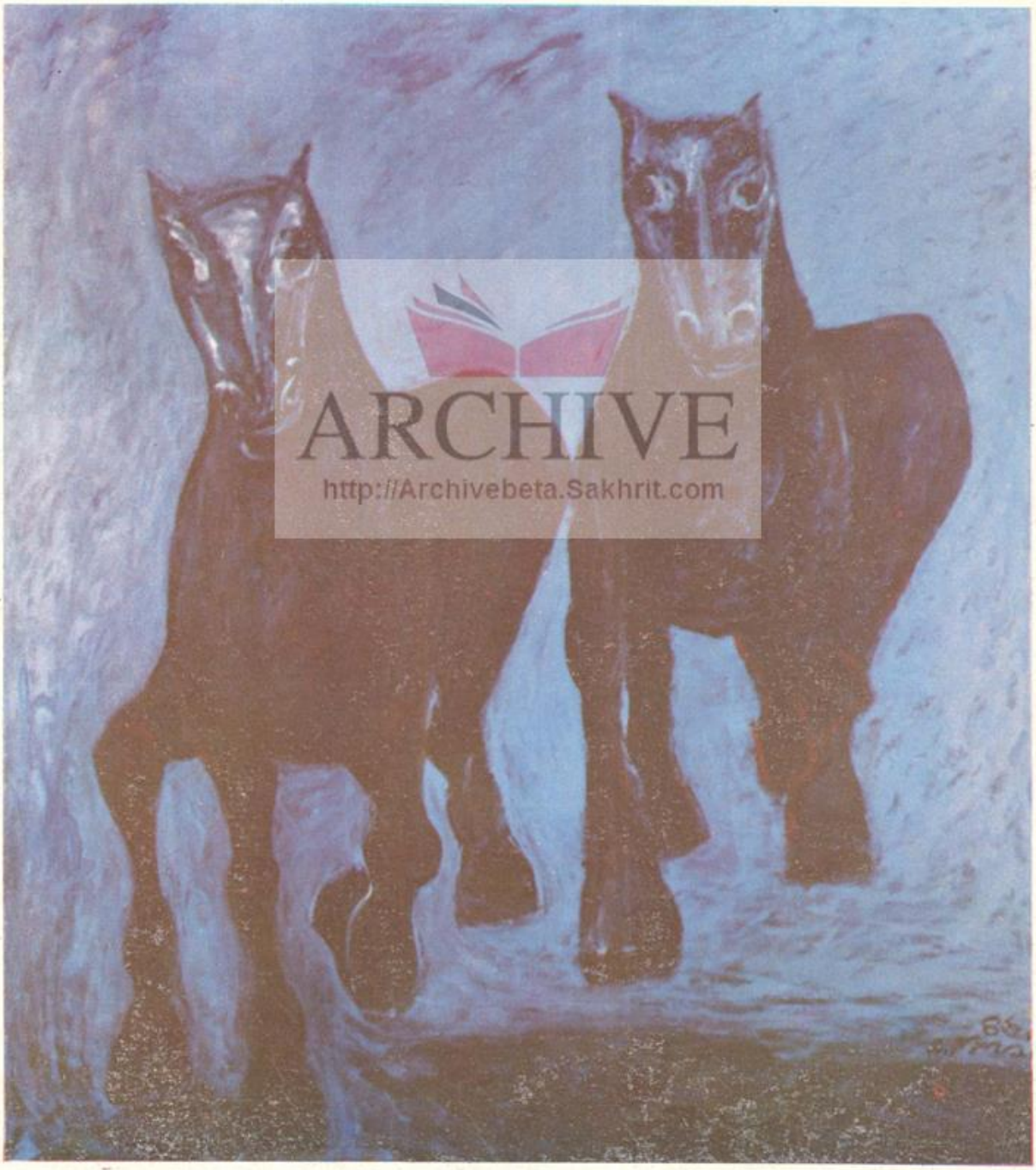
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

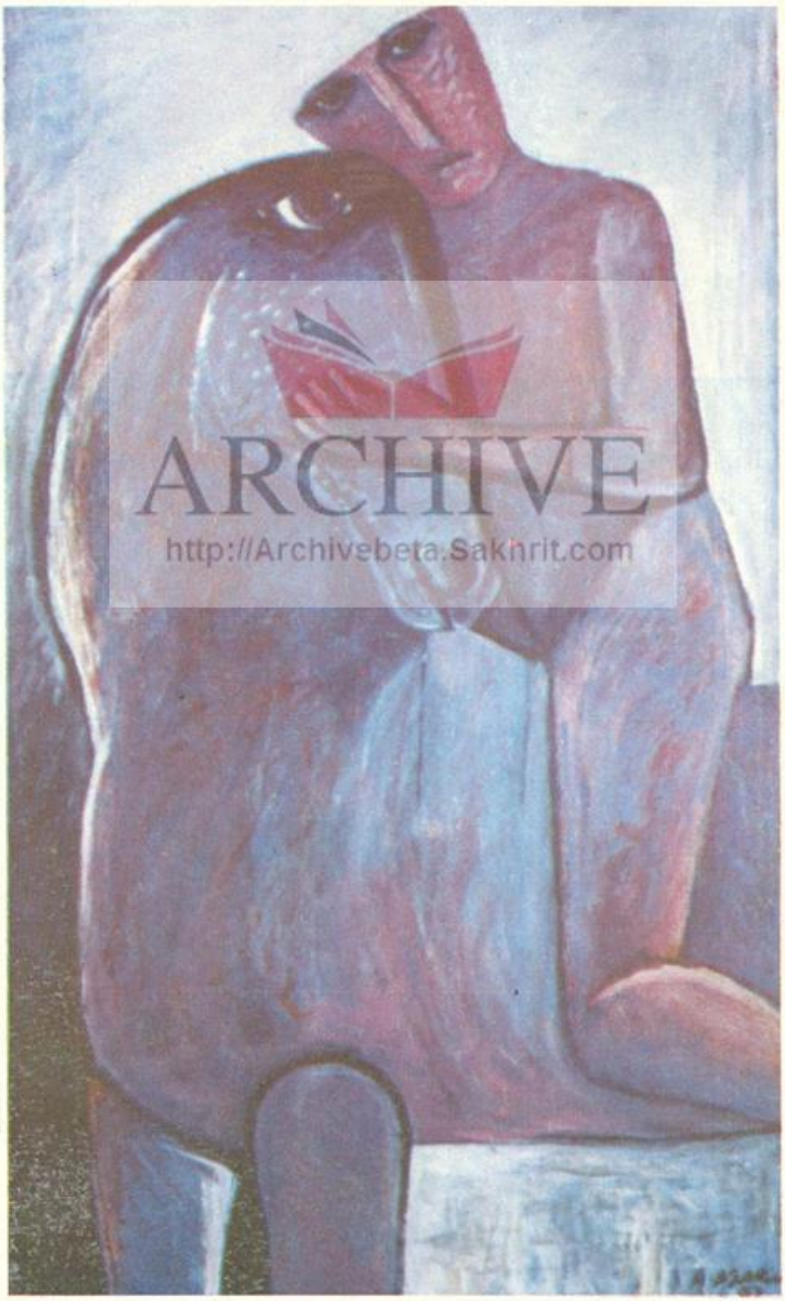
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

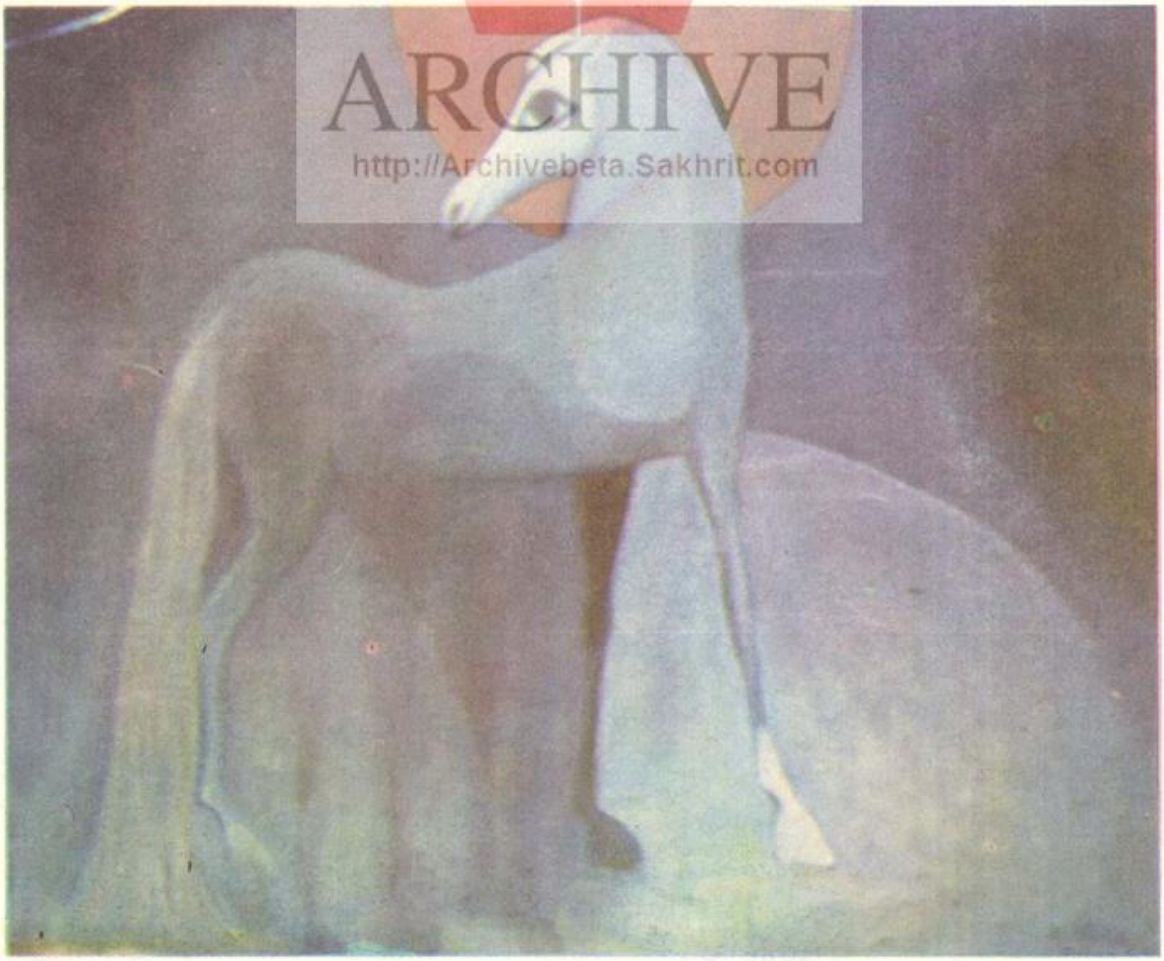

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صورتا الغلاف للفنان أحمد مرســـى

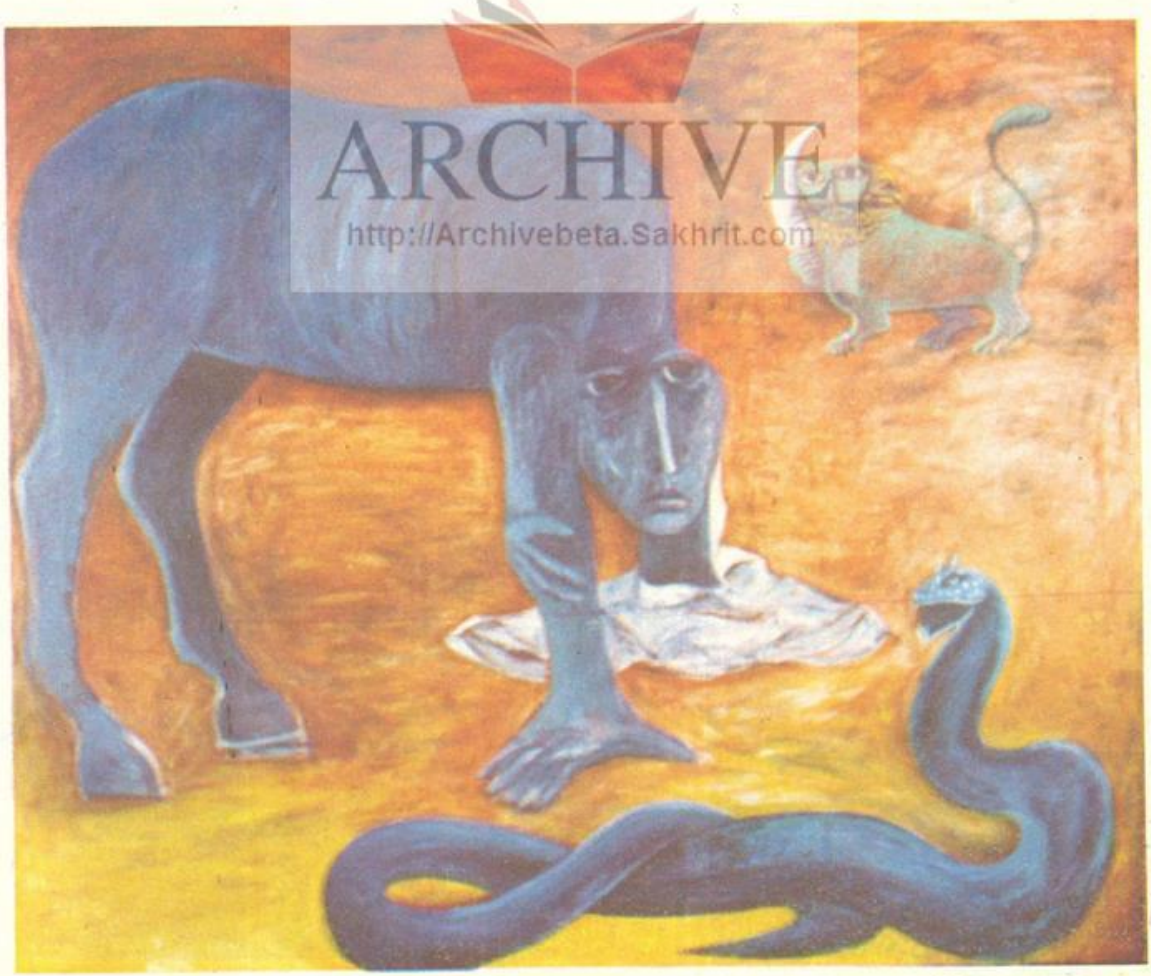

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

طابع الهيئة المصرية العامة للكتاب
رقم الايداع بدار الكتب ٦١٤٥ - ١٩٨٩

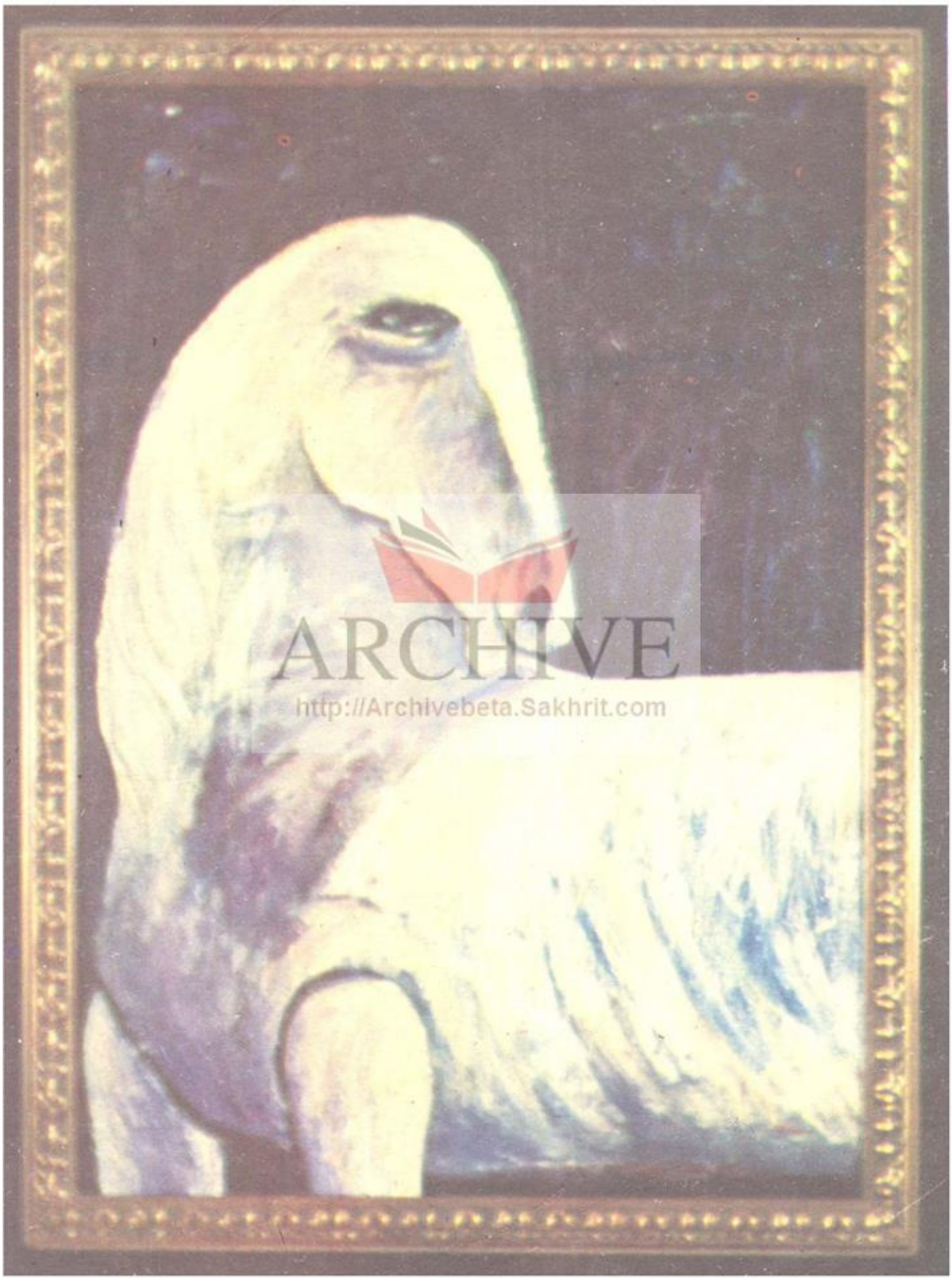
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com